

طبعة مصححة ومحقة

سيرة أهل البيت عليهم السلام



الاستاذ الشهيد

مرتضى مطهري

سيرة
أهل البيت عليهم السلام
(الائمة الأطهار عليهم السلام)

تأليف:
مرتضى المطهري



ترجمة:
مالك وهبي

مراجعته و تقويم النص:

السيد أحمد باقر الموسوي

عبدالكريم الزهيري

حقوق الطبع محفوظة

هوية الكتاب

● اسم الكتاب: سيرة اهل البيت (عليه السلام) (الائمة الأطهار (عليه السلام))

○ المؤلف: الشهيد مرتضى مطهري

● المترجم: مالك وهبي

○ الناشر: منشور سيدي

● عدد المطبوع: ٢٠٠٠

○ المطبعة: ظهور

● الطبعة: الاولى - ١٤٢٦ هـ

○ الشباك: X - ٢٠ - ٨٣٨٦ - ٩٦٤

مراكز التوزيع:

١- قم - پاساژ قدس، مكتبة الإمام الصادق (عليه السلام) - الهاتف: ٧٧٤٠٠٥٥، فاكس: ٧٧٤٤٧٠٦

٢- بغداد - شارع المتنبى - مجمّع الزوراء - الطابق الأول - مكتبة أبي تراب -

النقل: ٠٧٩٠١٧٧١٠١٣، الهاتف: ٤١٦١٣٩٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة في التاريخ و السيرة للمترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

و الحمد لله رب العالمين و صَلَّى الله على رسوله الكريم و آله الطاهرين.
و بعد فهذه مقدمة في التاريخ و السيرة أحببت ذكرها، كنت قد كتبتها يوماً
لبعض المناسبات و قد استفدت من بعض كتابات الاستاذ الشهيد المطهري في
التاريخ.

و عندما نتحدث عن التاريخ نجد له عدة تعريفات يمثل كل منها تعريفاً لعلم
من علوم التاريخ فهناك التاريخ النقلي و يُعني بضبط الحوادث التي وقعت في
الزمان السابق عن زمان سردها و ينقل الوقائع و الأحداث الجزئية سواء أكان
ذلك الحدث مرتبطاً بحياة أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات أم كان مرتبطاً
بحياة افرادها و عظمائها و أمثال ذلك.

و هناك التاريخ العلمي و يُعني بضبط القواعد و السنن التي تهيمن على التاريخ
و على مجريات الأحداث التاريخية. و هذه الدراسة العلمية للتاريخ تحتاج أولاً

إلى تاريخ نقلي، ذلك ان استنباط القواعد و السنن المذكورة لا يتم إلا بعد استقراء الأحداث التي وقعت و تجميعها ثم تحليلها و محاولة استخراج ما يمكن استخراجه بإرجاع المتفرقات إلى أمر واحد يجمع بينها الذي نعني به السنّة التاريخية. و القرآن قد نصّ في موارد عدة على وجود سنن تتحكّم بالتاريخ منها ما هو مشهود و منها ما هو غيبي و نشير على سبيل المثال إلى قوله تعالى في الآية رقم ١٣٧ من سورة آل عمران:

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ .

و فائدة التاريخ العلمي تعميم القواعد على الحاضر و المستقبل بل قد يتمكن الانسان إذا ما أدرك السنن بواقعيتها من التسلّط على مستقبله بحيث يوصله الى ما يهدف إليه ان كان هدفه منجسماً مع تلك السنن. لكن هذا مرتبط الى حدّ كبير بمقدار إيماننا بأن للإنسان يد في تحريك تلك القوانين و إعطائها نتائجها بخلاف ما إذا آمنا بالسير الجبري للتاريخ وقوانينه. وفي هذا التاريخ يلتقي علم الاجتماع مع علم التاريخ.

و المهم هو التاريخ النقلي و أنت إذا استقرأت حياة الأمم الحاضرة و التي خلت فستجد ان ما من أمة الا و اهتمت بهذا النوع من التاريخ بل هو الشائع بين المؤرخين و العلماء و الشعوب و لم تخل أمة من حفظة و كتاب و مؤلفين ينقلون ما حفظوه أو كتبوه عن الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة. و ذلك لما يشتمل عليه ذلك التاريخ من مبررات الفخر و الاعتزاز تارة و الاعتاظ و التبدّل تارة أخرى أو مبررات لحالات قائمة فعلاً حاضرة بين الناس تارة ثالثة و غير ذلك

مما يمكن أن يكون هدفاً لنقل التاريخ.

و مهمة هؤلاء المؤرخين نقل الأحداث بدقة و أمانة، و إن لقيت استهتاراً من قبل كثير بل جلّ المؤرخين. و قد كتب الكثير عن سبب هذا الإهمال المقصود تارة و غير المقصود تارة أخرى بل قد نجد بعض المؤرخين يذكر أسباب الإهمال فما يلبث أن يقع فيها حتى بات يسيطر على الأذهان الاعتقاد باستحالة كتابة تاريخ موضوعي نزيه من كل الجهات و هو اعتقاد له مبرراته إلى حدّ ما.

ذلك ان التاريخ كان دائماً أو غالباً محكوماً للأنظمة التي كانت تعاصر زمن النقل والتي كانت تملك القوة، الأمر الذي كان يمكنها من الاشراف على ذلك النقل فتجوّز نقل ما ترضى عنه و لا يسوؤها و تحذف ما لا يناسبها. بل قد تبتكر شخصيات و احداث، بل و تاريخ لما يلاقي ذلك من هوى لدى حكام ذلك الزمان فكم من فاسق فاجر أبداه المؤرخون عادلاً تقياً ورعاً وكم جاهل صيّره المؤرخون عالماً نحريراً و كم هم الأشخاص الذين اخترعت أسماؤهم و لا مسمّى لهم في طول التاريخ. و كان المؤرخون -إلا ما ندر- ينساقون وراء أهواء حكامهم خوفاً أو طمعاً، و لذا قد نرى التاريخ مشحوناً بكثير من التوافه التي تتعلق بالخليفة الفلاني مغضوضاً فيه النظر عن مهمات الأحداث.

على أن ناقلي التاريخ قد يكونون هم بأنفسهم أصحاب هوى فكري أو أدبي أو سلوكي فنراهم يحاولون أن يجعلوا من التاريخ وسيلة لإثبات ما مال إليه هو اهم و إبطال ما يقوله الآخرون، فيدعوهم ذلك إلى إثبات وقائع أو اختراعها تارة و إلى حذف جملة منها أو تحريفها تارة أخرى.

أضف إلى ذلك كله فقدان وسائل الضبط و النقل و التعرف على الأحداث

البعيدة عن بلد المؤرخ. نعم هذه المشكلة زالت في عصرنا إلا أنه لا زالت الحكومات و الأهواء لدى المستكبرين و أزمهم تتحكم في نقل التاريخ حتى الصحيح الذي وصل إلينا لم يرحموا في هذه الأيام فيراد هدمه أو التشكيك فيه على الأقل.

هذه المشاكل و غيرها قد يكون من أهم آثارها اختلاف التواريخ والمؤرخين فيما بينهم حتى أنك تكاد تجزم أنه ما من مسألة إلا و دار أمرها بين النفي والإثبات ولذا قد نجد من ينعت التاريخ بأنه اختلاق في اختلاق وقد يؤثر ذلك على السدج الذين لا يملكون بدايات الطريق الصحيحة التي تساعد على تمييز الحق من الباطل و هذه نتيجة منطقية لحالة الاختلاف المشهودة بين الكتب الذي قد يصل إلى حد التباين. و لعل الضياع و التردد أهم ما استطاع المؤرخون المنحرفون أن يحققوه، فهم يكتفون بذلك ان لم يستطيعوا إقناع الآخرين بتاريخهم.

إلا ان هذا كله لا يجعلنا متشائمين من إمكانية التوصل إلى تاريخ صحيح نسبياً لأن لكل شيء باب و باب التاريخ بل باب كثير من العلوم هو تحديد المسلّمات سواء العقلية منها أم النقلية و هي تشكّل المدخل للتاريخ و خصوصاً تاريخنا الذي يعتبر القرآن حاكماً على كثير من وقائعه فيصححها أو ينفىها خصوصاً إذا كانت الوقائع مرتبطة بحياة الرسول صلى الله عليه وآله و الأئمة الطاهرين عليهم السلام. مع الأخذ بعين الاعتبار ما اهتم الثقات بنقله و ان كان في بعض الأحيان بشكل متفرق مشّت. إضافة إلى أنه يمكن للمؤرخ المنصف أن يعمل اجتهاده في الأمور التي تثبت باليقين فيفتش عن القرائن المؤيدة أو النافية و غير ذلك مما يساعده للتوصل إلى القدر الممكن من الصحيح من الأحداث.

السيرة:

وهي عبارة عن طريقة حياة اتبعها شخص ما، فطريقة الحياة هذه تسمى السيرة.

والناس عموماً عندما تنظر إلى عظيم من عظمائها تراها تتلَهَّف للتعرف على سيرته بعد أن تجعله مثلاً أعلى يحتذى به أو تراه مبعث فخر لها ولعل الأمم التي كان لها عظماء في تاريخها تكون أشد الأمم مضياً نحو الإمام إذا ما بقيت معظمة لهم فإن العظيم عندما يكون مبعث فخر فإن أمته تسعى للحفاظ على هذا الفخر أو لاستعادته ان ضاع منها والعظيم عندما يكون قدوة تصبح سيرته منهج حياة لأُمته.

ونحن لدينا من العظماء ما لم تحفل به أمة من الأمم ولن تجد لهم في تاريخ غيرنا مثيلاً، بل ان من تعتبرهم بعض الأمم عظماءها نشاركهم في كونهم عظماء لنا كالأنبياء والأوصياء السابقين على نبينا وآله وعليهم السلام، ونزيد عليهم بمن هم أعظم وأعظم، عنيت بذلك رسولنا المكرّم أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله وآل بيته الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين.

ونحن عندما ندرس سيرة الرسول الأكرم ﷺ وأئمتنا الأطهار لا ندرسها لمجرد أنهم عظماء بل لأنهم معصومون على مستوى العلم والعمل والعاطفة فكما أنهم حجة فيما يأمرون وينهون ويحيزون، كذلك هم حجة فيما يعملون ويتركون، ولذا ورد الأمر بالناسي بسيرتهم فهذا هو كتاب الله ينطق بالحق ويقول في سورة الأحزاب الآية رقم ٢١ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا

الله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَذَكَرَ اللهُ كَثِيرًا، فهو عليه السلام أسوة حسنة للمؤمنين، والآية وإن كانت في منطوقها مختصة بالنبي عليه السلام إلا أن الأدلة دلّت - وليس هذا هو محل بيانها - على أن الأئمة عليهم السلام يشاركون الرسول عليه السلام في ذلك.

والتأسي لا يمكن أن يحصل إلا بعد التعرف على سيرة الرسول عليه السلام والأئمة عليهم السلام. هذا إضافة إلى أن سيرة الرسول عليه السلام والأئمة تبين لنا حركة الرسالة وكيفية تعاملها مع كل الظروف والأوضاع، كما ستطلع عليه في هذا الكتاب.

ولدراسة السيرة جوانب مهمة متعددة فلدينا الجانب العبادي والجانب الأخلاقي، وهناك الجانب العسكري والجانب الأمني، وهناك الجهة السياسية والجهة الاجتماعية والجهة الفكرية استيعاب هذه البحوث بأبعادها مع ما تحتاج إليه من تتبع كبير يتطلب مجلدات كبيرة وسنين طويلة بل جهوداً متكاثفة خصوصاً إذا لاحظنا التضارب في النقول التاريخية. فمع أن تاريخنا أغنى تاريخ في تواريخ الأمم إلا أنك لا تكاد تجد مسألة متفقاً عليها كما المحنا إليه فيما سبق والمحنا إلى الأسباب الرئيسة لذلك.

ولسعة بحوث السيرة نجد أنه مهما كتب فيها سواء على مستوى العرض والسرّد أم على مستوى التحليل والاستنتاج لا تزال غير مكتملة وما زالت النفوس عطشى لمزيد من البحوث تكشف المزيد عما خفي وتوضح ما احاطته الغشاوة فتصدى العلماء، العالم تلو العالم لدراسة السيرة من جوانبها المختلفة. وكان من جملتهم المفكر العظيم والفيلسوف الفقيه آية الله الشهيد المطهري الذي عُرف بالأستاذ لممارسة التدريس في جامعات طهران. وقد تناول في محاضراته المتشّتته التي جُمعت في هذا الكتاب جانباً من جوانب السيرة وهو جانب مهم

يستعرضه و يخضعه للتحليل بالمقدار الذي تسمح به اذهان المستمعين. فهو إذا بحث في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام تراه يخصص بحثه في أهم مشكلة اعترضت علياً عليه السلام و يراها المشكلة الأساسية التي لها في كل عصر نظير. وهكذا فهو يستعرض الحدث الأهم في حياة الأئمة عليهم السلام الذين تعرض لهم في هذه المحاضرات و يبين لك ان سيرتهم عليهم السلام و ان بدت مختلفة لهي سيرة متناسقة متكاملة بحيث تطمئن نفسك و تزول التشكيكات التي قد تكون ساورتك.

و الأستاذ الشهيد له باع طويل في الفكر و التحليل اوجب اقبال المجتمع المسلم عليه بروحه كلها قبل الانتصار و بعد الانتصار و للأسف لم يكن معروفاً لدينا نحن المسلمين في لبنان قبل الانتصار بشكل عام كما لم يكن إمامنا الأكبر الخميني المقدّس معروفاً. سامح الله من كان السبب.

و قد كان من محبّي نشر آثار الشهيد ناشر هذا الكتاب و هو من محبّي العلم و طلابه و قد طلب منّي التصدي لترجمة هذا الكتاب. و لا أنكر أنني تردّدت في هذه الخطوة و هي التي تعني أن تكون الوساطة في نقل افكار الشهيد إلى أهل اللسان العربي و هو أمر يقتضي الأمانة. ثم رأيت أن يكون لي سهم في نشر آثاره (قدّس سرّه) فشمرت ساعدي و انكببت على ترجمة الكتاب محاولاً إبراز المعنى بالأسلوب العربي مطابقاً له قدر الإمكان مع ما أراد الشهيد بيانه فنسأل الله التوفيق و التسديد فهو وليّنا، عليه توكلّنا، وإليه المآب.

ثم ها هنا ملاحظات يرجى الإنتباه لها:

اولاً: ان هذا الكتاب عبارة عن جملة من محاضرات القاها الشهيد (ره) في

أمكنة و أزمنة مختلفة فهي ليست كتابات كتبها الشهيد (ره) ، و هذا ما سيفسر لنا الوجه في التكرار و محاولات إيضاح الفكرة ببيانات متعددة.

ثانياً: انه حيث كانت محاضرات فلم يكن الشهيد ينقل النصوص التاريخية أو الروايات بالنص الحرفي إلا ما قل فكان ينقلها بالمضمون الذي فهمه هو (ره) من النصوص و قد راعينا في الترجمة أيضاً ترجمة هذا المضمون و لم نحاول استبداله بالنص الحرفي رعاية للمعنى الذي يريد الأستاذ الشهيد إبرازه.

ثالثاً: في الطبعة الفارسية توجد هوامش منها ما هو للناشر و منها ما هو للأستاذ قد تكون أخذت من كلماته و جعلت هامشاً لكن لم يبين لنا ذلك و لم تعط علامة لما هو من الناشر و ما هو من الأستاذ أما كان منا فقد أشرنا إليه. كما أن في المتن كثير من الجمل قد وضعت بين هلالين و لم يبين في النسخة الفارسية الوجه في ذلك.

رابعاً: اسم هذا الكتاب في الطبعة الفارسية «سیری در سیره ائمه اطهار (عليه السلام)» أي جولة في سيرة الأئمة الاطهار (عليه السلام) لكننا ارتأينا أن عنوان «محاضرات في سيرة الائمة الاطهار (عليه السلام)» أنسب للكتاب. كما يتضح ذلك مما قدمناه أولاً. و أخيراً: لا ننسى أن نشكر اخواننا الذين كان لهم دور في انجاز ترجمة هذا الكتاب.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة شورى الإشراف على نشر آثار الأستاذ الشهيد مرتضى المطهري

يشتمل هذا الكتاب على مقدمة وثمانية فصول يدور الحديث فيها حول سيرة الأئمة الأطهار وبشكل خاص من جهة كيفية التعاطي مع مسألة الخلافة والحكومة.

و مقدمة الكتاب انتخبت من كتابات المفكر الشهيد الأستاذ مرتضى المطهري. وأما الفصول الثمانية فهي عبارة عن جملة من البحوث والمحاضرات ألقاها هذا المفكر الإسلامي العظيم في هذا المجال في أزمنة وأمكنة مختلفة. فالفصل الأول محاضرة ألقاها بتاريخ ٣٠-٨-٤٩ هـ الموافق ل ٢١ رمضان من عام ١٣٩٠ هـ في حسينية الإرشاد تحت عنوان «المشاكل التي اعترضت علياً (عليه السلام)».

و الفصل الثاني عبارة عن محاضرتين ألقيتا في ربيع عام ١٣٥٠ هـ حول صلح الإمام الحسن (عليه السلام).

و الفصل الثالث بحث صغير عن الإمام زين العابدين عليه السلام عرضه الأستاذ الشهيد في ذيل بحث حول «خرافة الثالث عشر من فروردين» القاه باعتبار المناسبة الزمانية وذلك في حسينية الإرشاد بتاريخ ١٣-١-١٣٤٩ هـ الموافق ^(١) لـ ٢٥ محرم من عام ١٣٩٠ هـ ق.

و الفصل الرابع يشتمل على بحث حول «الإمام الصادق عليه السلام و مسألة الخلافة» ألقى ضمن محاضرتين في تلو بحوث حول «صلح الإمام الحسن عليه السلام و «مسألة ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام» وذلك في المجمع الإسلامي للأطباء.

و الفصل الخامس محاضرة تحت عنوان «أسباب شهادة الإمام موسى الكاظم عليه السلام» أقيمت في حسينية الإرشاد بتاريخ ٤-٧-١٣٤٩ هـ الموافق لـ ٢٤ رجب من عام ١٣٨٩ هـ ق.

و الفصل السادس يتضمّن بحثاً عن مسألة «ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام» ضمن محاضرتين أقيمتا في المجمع الإسلامي للأطباء كما أشرنا.

و الفصل السابع هو محاضرة أقيمت تحت عنوان «حديث حول الإمام الحسن العسكري عليه السلام» في مسجد الجامع بسوق طهران بمناسبة الذكرى السنوية لولادته عليه السلام وذلك في سنة ١٣٥٤ هـ ق.

و أما الفصل الثامن فهو عبارة عن محاضرتين حول الإمام المهدي عليه السلام الأولى بعنوان العدل الشامل أقيمت بتاريخ ٢٤-٧-١٣٤٩ هـ الموافق لـ ١٤ شعبان

١ - فإن يوم ٢٥ محرم ذكرى وفاة الإمام زين العابدين عليه السلام فكان يوم ٢٥ مناسبة للحديث عن الإمام عليه السلام (المترجم).

١٣٩٠ هـ في حسينية الإرشاد. و الثانية بعنوان «المهدي الموعود» أقيمت في نفس المكان بفارق أسبوع.

وكما يعلم من اسم الكتاب - الذي اختارته شورى الإشراف على نشر آثار الأستاذ الشهيد. فهذا الكتاب يمثل جولة في سيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام و من البديهي أن تدوين سيرتهم عليهم السلام بحيث يشتمل على جميع الأبعاد لهو عمل عظيم ويحتاج إلى مجلدات ضخمة قد تخرج عن قدرة فرد واحد.

نأمل في أن يساهم هذا الكتاب - الذي ينشر مع غياب الأستاذ الشهيد - في تبين المعارف الإسلامية و خصوصاً التعرف على سيرة المعصومين عليهم السلام مع وضوح أنه لو كان الأستاذ حاضراً لكان قدّم الكتاب بصورة أكمل بدرجات، وأرقى.

١ / ٦ / ٦٧ هـ ش.

شورى الإشراف على نشر آثار الأستاذ الشهيد

مقدمة الكتاب

مقايسة نهج الإمام الحسين عليه السلام مع سائر الأئمة عليهم السلام

التقية:

من الموضوعات التي ينبغي البحث حولها و التحقيق فيها هو المقارنة بين طريقة سيّد الشهداء عليه السلام مع باقي الائمة عليهم السلام. ففي نظر كثير من الناس ان نهج الإمام عليه السلام يختلف عن نهج الائمة الآخرين عليهم السلام كنهج الإمام الحسن و الإمام السجاد و الإمام الباقر و الإمام الصادق و سائر الائمة بل حتى الإمام عليّ امير المؤمنين عليه السلام، فكان الإمام الحسين عليه السلام مدرسة خاصة به، لم يتبعه أي إمام من الائمة عليهم السلام بل سلكوا سبيلاً و تفكيراً آخرين. و قد تعمقت هذه الفكرة في النفوس رويداً رويداً حتى ولّدت عمى و ضبابيةً و إشكالاً في القلوب. أضف إلى ذلك أننا يجب أن نعلم أي أسلوب يجب أن نختار فهل نختار هذه المدرسة أم تلك؟

و حتى يتحدد الموضوع أكثر، نعرض نهجاً أتبعته الشيعة حتى عرفت به، كان أئمة الدين عليهم السلام قد حددوه لهم و هو موضوع التقية الذي لازم الشيعة ملازمة الجود

لحاطم الطائي. وقد مارس الأئمة عليهم السلام كلهم التقية فكيف انفرد الإمام الحسين عليه السلام مع توفر كل المبررات للتقية فإذا لم تكن حقاً فلماذا اتقى الأئمة عليهم السلام وأمروا بالتقية.

زيادة على ذلك فإن هذا البحث عقائدي بغض النظر عن اتحاد نهجهم عليهم السلام و اختلافه فلو فرض اتحادة كأن يمارسوا التقية كلهم أو عدم اتحاده كأن يعرضوا عنها كلهم فإن هذا بحد ذاته بحث عقائدي إذ من وجهة كلامية وأصولية يمكن البحث ان التقية في الأساس هل يمكن أن تكون التقية موجودة حقاً؟ وهل تتوافق مع العقل والقرآن؟

ثم إن موضوع البحث يمكن توسعه في دائرة أكبر من بحث التقية فيقال: في الأصل هناك أمور تعتبر متناقضة ومتعارضة بين سيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام بعضهم مع بعض فيمكن مثلاً أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله قد عمل بنحو وأمر المؤمنين عليهم السلام عمل بنحو آخر أو أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله عليه وآله والإمام علي عليه السلام سلكا مسلكاً والإمام الباقر والإمام الصادق عليهم السلام سلكا مسلكاً آخر. فهذه الاختلافات الظاهرية كثيرة و سوف نورد على ذلك بعض الأمثلة. و حيث أننا نعتقد بعصمتهم عليهم السلام و ان أفعالهم كأقوالهم حجة علينا يأتي السؤال: أي سيرة نتبع و عمل من نختار؟

ولأننا سلمنا بإمامة أهل البيت عليهم السلام و عصمتهم و نعلم أن أفعالهم و أقوالهم حجة، و نعتقد أن الرسول صلى الله عليه وآله هو الذي أمرنا بالرجوع إليهم فنحن أغنى من أهل السنة و الجماعة بالنظر الى الآثار و المآثر الدينية فأحاديثنا و أخبارنا أكثر والحكم الأخلاقية و الاجتماعية عندنا أكثر كما أننا نزيد عنهم في الأدعية القيمة، وهذه الأدعية هي بحد ذاتها باب كبير من المعارف و التعاليم الأخلاقية

والاجتماعية في الإسلام ويجب أن يبحث عنها بحثاً مستقلاً، كما أن ما عندهم من السيرة أقل مما عندنا فمن هذه الجهة أيضاً نحن أغنى منهم. ومن هنا نرى أن بعض من أحصى الأحاديث الموجودة في صحاح السنّة الستة يقول إنها أقل مما هو موجود في كتاب الكافي. طبعاً أنا لم أجّر هذا الإحصاء بل أنقل عن آخرين، كما أنني لا أتذكر عدد ما في الصحاح و عدد ما في الكافي. لكن الذي بيالي أن كتاب الكافي يزيد عن سنّة عشر ألفاً من الأحاديث، وهذا بنفسه من مفاخر الشيعة. ولهذا يرى الشيعة أنفسهم في غنى عن القياس والاستحسان ويفتخرون بهذا.

الآن نريد أن نقول إن هذا الذي يعتبر نقطة قوة عند الشيعة قد يعتبر نقطة ضعف إذا أثير الإشكال الذي قدمناه فيقال: لأن الشيعة ليس لهم معصوم واحد بل عندهم أربعة عشر معصوماً و حيث أن كل واحد من الأئمة عليهم السلام يُنقل عنه سيرة مختلفة عن سيرة الآخر فهذا يوجد نوعاً من الحيرة والضلالة و ضياع الفكر و يوجب الهرج والمرج عندهم و حينئذٍ ستكون هذه وسيلة جيّدة للذين يحاولون استغلال الدين لمقاصدهم الشخصية و صيغ الفساد بصيغة مقدّسة فإذا كان هوى الشخص في عمل ما فإنه يختار حديثاً من جملة الأحاديث المروية عن الأئمة عليهم السلام أو يلاحظ عملاً من أعمالهم عليهم السلام في مورد خاص و يجعله دليلاً على ذلك و النتيجة هي التشتت و الهرج و المرج و عدم توفر أصل ثابت في مجال الأخلاق و المجتمع، و الويل لأمة تفتقد لأصول ثابتة متحدة و يكون كل فرد فيها ذا فكر خاص به. و هذا بالضبط مصداق المثل القائل:

إذا المريض قد زادت أطبأؤه فلا براء له يرجى و شفاء^(١)

و الحق يقال إن هذه السير المختلفة في الظاهر إن لم يتحقق و يجتهد فيها فالآثار السلبيّة التي ذكرت ستترتب. فسواء أكان ائمتنا مختلفي الطريقة أم كانوا متحدين لكن يُرى في الظاهر اختلافات، بل حتى لو كان هناك إمام واحد لكن كانت طريقته تختلف في مواطن عدة فإذا لم نستطع إيجاد حل لهذه الاختلافات فإن الهرج والمرج واقع لا محالة.

مثلاً، عندما نراجع سيرة الرسول صلى الله عليه و آله نجد أنه عاش فقيراً، كان يأكل خبز الشعير و يلبس المرقع، و كذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام، و القرآن يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾^(٢) فإن مقتضى هذه الآية المباركة أن الناس مدعوون للتأسي بالرسول صلى الله عليه و آله أي أن يعيش الجميع فقراء يأكلون خبز الشعير و يلبسون المرقع، لكن عندما نراجع سيرة الإمام المجتبي أو الإمام الصادق عليه السلام أو الأمام الرضا عليه السلام نلاحظ أنهم لم يعيشوا فقراء بل أكلوا الطعام الجيّد و لبسوا اللباس الجيّد ركبوا المراكب الجيّد و استفادوا من طيّبات الدنيا. و الإمام الصادق عليه السلام عندما ذهب إلى بيت شخص ورأى أن بيته صغير مع توفر المال لديه سأله لماذا لا تهبيء لنفسك منزلاً أوسع فقال: هذا البيت لوالدي قد عاش فيه، فقال عليه السلام ان كان أبوك أحق فهل ينبغي أن

١- المثل في الفارسي:

أمید بهبود در او نیست

اگر مریض طبیبش زیاد شد

٢- سورة الأحزاب، الآية ٢١.

تكون مثله و تدفع ضريبة جهالته^(١).

هذه الأمور التي في ظاهرها متناقضة، الأمر الذي يمكن أن يعتبر عند البعض نقطة ضعف في التشييع مع أن الأمر ليس كذلك و من المثل استنفيد ان الأمر ليس كذلك بل نقطة القوة عند الشيعة هي في ذلك.

و أقدمّ لذلك مقدّمة: إذا كان عندنا إمام معصوم واحد عاش بيننا عشرين او ثلاثين عاماً او عاش ٢٥٠ سنة فمن الطبيعي أنه في الفرض الأول لن تطرأ تحولات وتغييرات و موضوعات مختلفة بمقدار كبير كي يمكننا أن نلاحظ طريقة تعامل ذلك الأمام مع الأشكال و الموضوعات المختلفة بحيث نصبح ماهرين في كيفية مواجهة هذه الدنيا المبتذلة و في كيفية تطبيق قواعد الدين الكلية على الموضوعات المختلفة فإن للدين جهتين بيانية و تطبيقية تماماً كالدروس النظرية و الدروس العملية، فإن الدروس العملية عبارة عن تطبيق النظريات على الموضوعات الجزئية المختلفة. و هذا بخلاف ما إذا عاش بيننا ٢٥٠ سنة فإنه سيواجه كل الحالات و الصور وسيظهر لنا كيفية حلّ تلك القضايا بحيث نصير على معرفة بروح التعاليم الدينية ونتخلّص من الجمود و نتخلّص مما يسيمه اهل المنطق «أخذ ما ليس بعلة علة» أو «خلط ما بالعرض بما بالذات». مثل ما إذا اقترن شيثان و كان لأحدهما تأثير في حدوث أمر ثالث بحيث لا تأثير للأمر

١ - هذه الرواية عن أبي الحسن عليه السلام من أنه قال: ان منزلك ضيق فقال: قد احدث هذه الدار أبي فقال أبو الحسن عليه السلام ان كان أبوك احمق ينبغي أن تكون مثله، فعلم الشهيد الأستاذ قد عثر على رواية تشبهها عن الإمام الصادق عليه السلام. الرواية التي نقلناها موجودة في الكافي ج ٦ ص ٥٢٥.

الآخر المقارن. لكننا قد فرضنا أن «ألف» و «ب» اجتماعاً في ظرف وانه يتولد من «ألف» «جيم» فتتخيل ان السبب ل «جيم» هو «ب» أو أن السبب هو مجموع الألف والباء و الحال انه ليس كذلك فهذا من خلط ما بالذات بما بالعرض.

ولا شك أن أئمة الدين عليهم السلام قد عاش كل منهم في زمان و محيط كانت له مقتضياته الخاصة و كان على كل واحد منهم أن يواكب هذه المقتضيات أي أن الدين مرن و يجعل الناس مرتاحين بالنسبة لمقتضيات الزمان. إذن فإن تعدد الأئمة المعصومين أو طول عمر إمام واحد يوفر للإنسان قدرة أكثر على إدراك روح التعاليم الدينية المرتبطة بمقتضيات كل عصر و زمان فيأخذ الروح و يدع الأمور المرتبطة بمقتضيات الزمان فمن الممكن أن يأتي الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بعمل بحكم أن الدين يقتضى ذلك، و قد يأتي بعمل بحكم مقتضيات الزمان كالمثال اذي قدمناه من ان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم عاش فقيراً بخلاف الإمام الصادق عليه السلام. و قد جاء في حديث معروف روي في الكافي كما روي في تحف العقول أنه: مرّ سفيان الثوري في المسجد الحرام فرأى أبا عبدالله عليه السلام و عليه ثياب حسنة غالية الثمن فقال: والله لا تبيته و لا وبيته فدنا منه فقال: يا بن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و الله ما لبس رسول الله صلى الله عليه و آله مثل هذا اللباس و لا علي و لا أحد من آبائك فقال له أبو عبدالله عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه و آله في زمان قتر مقتر و كان يأخذ لقتره و إقتاره و إن الدنيا بعد ذلك أرخت عزاليها^(١) فأحق أهلها بها أبرارها ثم تلا

١ - يقال أرسلت السماء عزاليها إشارة إلى شدة وقع المطر، و المراد هنا الدنيا قد فتحت باب خيراتها.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ فنحن أحق من أخذ منها ما اعطاه الله، غير أنني يا ثوري ما ترى علي من ثوب انما لبسته للناس ثم اجتذب يد سفيان فجرّها إليه ثم رفع الثوب الأعلى و أخرج ثوباً تحت ذلك على جلده غليظاً فقال هذا لبسته لنفسه و ما رأيته للناس ثم جذب ثوباً على سفيان اعلاه غليظ خشن و تحته ثوب لين فقال لبست هذا الأعلى للناس و لبست هذا لنفسك تسرها»^(١).

فبين الإمام عليه السلام لسفيان أنه إذا كان الرسول صلى الله عليه وآله كذلك فلا يجب أن يكون سائر الناس مثله لأن ذلك ليس جزءاً من قوانين الإسلام بل يجب أن يكون عندك تدبّر و قوة نظر بحيث تأخذ ذلك العصر بعين الاعتبار فإن قانون الإسلام هو المواساة و المساواة فلا بد أن يلحظ ماذا كان عليه أكثر الناس في ذلك الزمان وكيف كانوا يعيشون. طبعاً الحياة كانت مهتأة للنبي ﷺ بكل أشكالها حيث أنه كان إماماً و قائداً و الناس وضعت أرواحها رهن إشارته. لكن الرسول الاكرم لم يجعل لنفسه ميزة بأي حال من الأحوال مع كون الحالة العامة كذلك. ففانون الإسلام هو المواساة و المساواة و العدل و الإنصاف و سلوك المسلك الملائم حتى لا تتولّد في روح الفقراء عقدة و لا يتألم الصاحب أو الجار الذي يرى أعماله. فلو كانت سعة العيش متوفرة في زمان النبي و هذه الرخص موجودة لم يكن

١ - لم يذكر الأستاذ الشهيد الرواية ينصها بل نقل مضمونها مازجاً له الشرح و قد نقلنا الرواية أولاً ثم نقلنا الشرح، و هي موجودة في الكافي ج ٦ ص ٤٤٢ و هناك رواية مثلها تجدها في الكافي.

الرسول ﷺ ليعيش كذلك، فالناس أحرار في ارتداء هذا اللباس أو ذاك القديم أو الجديد من هذا القماش أو ذاك بهذه الطريقة أم بتلك والدين لا يعتني بهذه الأشياء وإنما يعتني بالأمر الأساسية (مثل التألم لآلام الآخرين والمواساة والمساواة والعدل والإنصاف) ثم يبين له الإمام عليه السلام أنك إذ تراني على هذا النحو فإنني ملتفت دائماً إلى حقوق المتعلقة بمالي... إذن لا يوجد بين نهجي ونهج النبي اختلاف أساسي ومعنوي.

وقد جاء في الحديث انه حصل جفاف في عصر الإمام الصادق عليه السلام فقال الإمام عليه السلام للناس: إذهب وبع ما عندنا من قمح مخزون ومن الآن نهىء خبزنا بشكل يومي من السوق (وخبز السوق كان مركباً من قمح وشعير). فالإمام لا يقول لك كل خبز القمح أو خبز الشعير أو أخلط القمح بالشعير بل يقول إن سيرتك في الناس يجب أن تكون على أساس الإنصاف والعدالة والإحسان.

فمن خلال اختلاف سيرة الرسول الأكرم ﷺ والإمام الصادق عليه السلام نستطيع أن نصل إلى روح الإسلام، ولو لم يبين لنا الإمام الصادق عليه السلام هذا الشق من عمل الرسول ﷺ المرتبط بمقتضيات عصره ﷺ لحسبناه جزءاً من شرع الإسلام. ولكنا بضميمة الآية الواردة في سورة الأحزاب رقم ٢١ التي فيها أمر بالناسي بالنبي ﷺ شكلنا قياساً من كبرى وصغرى وقيدنا الناس بهذا القيد حتى يوم القيامة لكن بيان الأمام الصادق عليه السلام وتوضيحه واختلاف مسلكه عليه السلام مع مسلك النبي ﷺ قد علمنا وأخرجنا من الجمود وأوجد لنا معرفة بالروح والمعنى ومن الطبيعي أن الإمام الصادق عليه السلام قد تصدى للبيان وإلا لكان علينا أن نمتلك مقدراً من قوة

الفكر وقوة الاجتهاد حتى لا تنوهم التعارض والتناقض والتضاد بينهما.
و هذا الجمود كثيراً ما نلاحظه عند الإخباريين^(١) إلى درجة أنهم يحرمون
التدخين.

وبناء على ما ذكرنا فإن أحد الحلول لما يبدو من فروقات بين السير هو
التوجيه على أساس اختلاف مقتضيات الزمان وهو جمع عرفي^(٢) - على ما هو
المصطلح - بين السير المختلفة حتى انه يمكن الاستفادة من هذا الطريق لحل ما قد
يبدو من تعارض في الاقوال وإن لم يلتفت إليه الفقهاء.

مثال آخر: عرض على الإمام علي عليه السلام حديث «عَيَّرُوا الشَّيْبَ وَ لَا تَشَبَّهُوا
بِالْيَهُودِ».

وقد كان الإمام عليه السلام نفسه غير عامل بهذا الحديث إذ لم يكن يخضب شعره،
فقال عليه السلام: ان هذا العمل كان مختصاً بزمان النبي صلى الله عليه وآله. كان تكتيكاً حربياً حتى لا
يراهم العدو عجزة و مستنّين، فهي حيلة حرية اعتمدها الرسول صلى الله عليه وآله أما اليوم
«فامرؤ و ما اختار».

فلولا سيرة الإمام علي عليه السلام و لو لم يكن هذا التوضيح لقلنا أن النبي صلى الله عليه وآله أمر

١ - يقسم علماء الشيعة إلى إخباريين وأصوليين والإخباريون يرون أصالة حرمة مشكوك
الحيّة بينما الآخرون يرون أصالة الحل والإباحة، وعلى هذا الأساس تطرح مسألة التدخين
فحيث نشك في تحريم الله لها فالأولون يقولون بحرمة. ومن العلماء من يرى ان الفروقات بين
القسمين أساسية و منهم من يرى عكس ذلك.
المترجم

٢ - الجمع العرفي اصطلاح أصولي يراد به انه عندما يكون هناك تعارض بين فعل أو قول
معصوم مع معصوم آخر أو بين قول معصوم و بين قول آخر و فعل آخر له، فإن أحد طرق حلّ
التعارض أن يجمع بالنحو الذي يراه العرف أمراً لا غبار عليه.
المترجم

بخضاب اللحي و لكننا إلى يوم القيامة مراقبين للحي الناس خضبوها أم لا؟
 إذن فهذا من طرق رفع التناقض. ومن الطبيعي انه حل يحتاج إلى إطلاع كامل.
 و أذكر أن احد العلماء المطلعين، مستقل التفكير في مسألة اخبار التفويض التي
 كثيراً ما قرعت الأسماع أنه كيف يعطي الله الصلاحيات (مثل صلاحيات وزير
 العدل) وكان يقول مثلاً^(١)...

و يجب التنبه إلى نكتة هي ان هناك مسائل تشكّل روح التعاليم الدينية وهي
 القوانين الكلية الإلهية وهذه المسائل غير قابلة للتغيير و التبديل وهي ناشئة من
 المصالح العليا و العامة للبشر، فهي موجودة و ثابتة ما دامت البشرية. و البشر من
 حيث أنهم بشر عليهم إلتزام تلك التشريعات.

الفصل الأول

مشاكل الإمام علي عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله وحبيبه وصفيّه وحافظ سرّه، ومبلّغ رسالاته، سيّدنا ونبينا ومولانا أبي القاسم محمّد (صلى الله عليه وآله) الطيبين الطاهرين المعصومين.

ومن كلام له عليه السلام: دعوني والتمسوا غيري فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول وإن الآفاق قد أغامت والمحجّة قد تنكرت واعلموا أنني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم^(١).

نعلم أن علياً عليه السلام لم يكن يأبى طيلة فترة خلافة الخلفاء عن بيان أن الخلافة حق مطلق له ومع ذلك نرى أنه بعد مقتل عثمان إثر الثورة الدموية ضدّه وعندما توافد الناس على بيت علي عليه السلام وأحاطوا به وأصرّوا على مبايعته وعلى أن يتولّى زمام الأمور، كان عليه السلام يمانع ويبيد كراهة في قبول الخلافة، والجميل التي نقلناها عن

نهج البلاغة يقول عليه السلام:

دعوني والتمسوا غيري، ثم يبين العلة في إيبائه حتى لا يتوهم أحد - والعباد بالله - أنه عليه السلام لا يرى نفسه أهلاً للخلافة والأصلح للحكم بعد النبي صلى الله عليه وآله، فيبين أن الأوضاع مضطربة تماماً وأمامنا مستقبل مضطرب مشوش. ذلك في قوله عليه السلام: «فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان» يعني أننا مقبلون على أمرٍ متشابه ذو وجوه مختلفة وألوان متعددة فليس لدينا مستقبل واضح وبعد ذلك يبين الإمام عليه السلام بقوله: «وأن الآفاق قد أعامت» فإن الغيم إذا زاد لا يستطيع الإنسان أن يرى ما أمامه «المحجّة قد تنكرت» فالجادة الأساسية بدت طريقاً كثير التعرجات وغير واضحة فلا يتمكن الناس من تشخيص تلك الجادة لكن الإمام عليه السلام أتمّ الحجّة في آخر كلامه بقول: «واعلموا اني إن أحببكم ركبت بكم ما أعلم» أي أنني إذا تولّيت الخلافة أسير فيكم بما أراه لا بما أنتم تريدون.

ولهذا يذكر في آخر كلامه «إنني لكم وزير خير لكم مني أمير»

هذا الكلام يشهد أن الإمام عليه السلام يرى المشاكل التي ستعترضه أثناء خلافته وهي تلك المشاكل التي ظهرت فيما بعد. فما هي تلك المشاكل؟
ولن أستطيع أن أشرح كل تلك المشاكل في جلسة واحدة. فبحثي سيكون حول المشكلة الكبرى التي عاناها علي عليه السلام وأريد أن أبينها أما المشاكل الأخرى فسأشير إليها بنحو إجمالي حتى نصل إلى المشكلة الأهم والمعضلة الكبرى التي ابتلي بها الإمام عليه السلام.

أ- مقتل عثمان

وأول مشكلة لاقاها عليه السلام والتي على أساسها قال: «إنا مستقبلون أمراً ذو وجوه وألوان...» هي مسألة مقتل عثمان.

عليه السلام ورث الخلافة عن خليفة قتله الثائرون عليه الذين لم يجيزوا دفنه وكانت اعتراضاتهم كثيرة. هذه الفئة الثائرة كانت مرتبطة بعلي عليه السلام فما هو رأي الآخرين؟ إذ لم يكن تفكير كل الناس كتفكير الثوار حتى علي عليه السلام لم يكن فكره منسجماً لا مع الثوار ولا مع عامة الناس.

عليه السلام السفير بين الثوار وعثمان وهي سفارة عجيبة، فإنّ علياً عليه السلام المخالف لسيرة عثمان مخالف أيضاً لفتح باب قتل الخلفاء، لا يريد للخليفة أن يقتل حتى لا يفتح باب الفتنة على المسلمين وهذا بحدّ ذاته له قصّة الخاصة^(١).

عليه السلام كان يعلم أن مقتل عثمان سيكون مسألة (توجب الفتنة) خصوصاً مع الإلتهفات الى نكتة عجيبة - كشف عنها اليوم علماء الاجتماع والمؤرخون ومحققو تاريخ الإسلام كما كشف عنها عليه السلام في نهج البلاغة - تلك هي مساهمة بعض حاشية عثمان في قتله، فقد كانوا يريدون له أن يقتل كي يوقفوا الفتنة في دار الإسلام ليستفيدوا من تلوث ماء الورد هذا (وهذا المعنى موجود في نهج البلاغة).
هذه مشكلة ولا يمكنني أن أبحث فيها أكثر من ذلك.

١ - الإمام علي عليه السلام بحث في مسألة مقتل عثمان في أربعة عشر موضعاً في نهج البلاغة.

ب - مشكلة النفاق^(١)

يختلف مخالفو علي عليه السلام عن مخالف النبي صلى الله عليه وآله فإن مخالفه صلى الله عليه وآله كانوا جماعة كافرة وثنية يحاربون الرسول صلى الله عليه وآله تحت شعار الوثنية وكانوا ينكرون الله والتوحيد علناً، حاربوه صلى الله عليه وآله تحت شعار «أعلوا هبل» وكان للنبي صلى الله عليه وآله أيضاً شعاره الواضح «الله أعلى وأجل».

أما الإمام علي عليه السلام فقد واجهته طبقة من العلماء الفاسقين تظاهروا بالإسلام وهم في الواقع ليسوا بمسلمين. شعاراتهم شعارات إسلامية لكن أهدافهم خلاف الإسلام. والد معاوية أبوسفیان في ظلّ «أعلوا هبل» حارب النبي صلى الله عليه وآله فكانت حرب النبي صلى الله عليه وآله له سهلة. أما ابن أبي سفيان معاوية فقد عمل بروح والده وسعى نحو ذات الأهداف لكن بشعار قرآني:

«وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا» وهو شعار راقٍ.

أفلم يكن هناك شخص ليسأل معاوية أنت الولي الشرعي لدم عثمان؟ وهل تربطك به قرابة؟ وعلى أي أساس تطالب بدمه؟ فقد كان لعثمان ولد وأقارب وأرحام أقرب منك ثم ما هي علاقة الإمام علي عليه السلام بمقتل عثمان؟

إلا أن رجلاً داهية مثل معاوية أنما يطرح ذلك وسيلة ليستفيد منها، وقد كان نشر العيون حول عثمان حتى إذا قتل فليرفعوا فوراً قميصه الملوّث بالدم ويبعثوا

١ - هذا العنوان غير موجود في الأصل الفارسي وكان مدموجاً مع العنوان السابق لكن ارتأينا فصل العنوان لأن الاستاذ الشهيد فصل بينهما في الحديث وإن كان هناك ربط ما بين العنوانين كما هو واضح.

به إليه، وما كاد عثمان يقتل، وقبل أن يجف قميصه الملوّث بالدم أرسلوا القميص مع أصابع^(١) زوجة عثمان إلى معاوية. هنا سال لعاب معاوية وأعطى أمره بتعليق الأصابع على المنبر ثم نادى «أيها الناس الظلم عمّ الدنيا والإسلام لا يعمل به، هذه أصابع زوجة الخليفة مقطوعة» ثم أمر بوضع القميص على عمود خشب طويل وأخذوه الى المسجد أو مكان آخر ثم ذهب بنفسه إلى حيث القميص موجود وأخذ يبكي الخليفة المظلوم وبكنه الناس في الشام كما أقيم العزاء فيها مدة من الزمن، فتهياً الناس للتأثر لعثمان. ممّن نأخذ دم عثمان؟ يجب أخذه من عليّ عليه السلام مع الثّوار الذين بايعوه يداً واحدة وإلا فلماذا هم الآن في عسكره.

هذه مشكلة كبيرة اندلعت بسببها حرب الجمل وصفين. افتعلها هؤلاء ذووا النوايا الخبيثة.

ج - إصرار حاسم في تطبيق العدالة

لدى عليّ عليه السلام مشكلات أخرى مرتبطة بنهجه من جهة والتغيير الذي طرأ على المسلمين من جهة أخرى، كان عليّ عليه السلام رجلاً غير قابل للتبديل ومّرت سنون بعد النبي ﷺ اعتاد فيها المجتمع الإسلامي على تقديم الامتيازات للأفراد ذوي النفوذ وقد أبدى عليه السلام في هذا المجال صلابة عجيبة و كان يقول لست ممن ينحرف عن

١ - عندما هجم الثوار يريدون قتل عثمان ألقت بنفسها على بدن عثمان ف ضرب سيف يدها عندما أريد ضرب عثمان وقطع اصبع من إصابعها أو أكثر.

العدالة قيد شعرة حتى أن أصحابه عليه السلام كان يطلبون منه شيئاً من المداراة فكان يجيبهم: «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور والله ما أطور به ما سمر سمير»^(١) أتأمروني أن أحصل على النصر والتوفيق السياسيين بالظلم والتخلى عن تحصيل الحق للضعفاء فوالله لن أفعل ذلك ماختلف الليل والنهار ومادام الفلك يجري.

د- الصراحة والصدق في السياسة

مشكلة الخلافة الثالثة^(٢) هي صدقه وصراحته عليه السلام في السياسة الأمر الذي لم يرضَ به عدد من أصحابه، وكانوا يقولون له ان السياسة لا تتوافق مع كل هذه الصراحة بل لابدّ من مزجها بشيء من الخدعة والدهاء وان حلاوة السياسة في الحيلة (وما أعرضه مذكور في نهج البلاغة) بل البعض اتهم الإمام عليه السلام بأنه لا يملك حسن السياسة فانظروا إلى معاوية كم هو بارع فيها وقد كان عليه السلام يجيب: «والله ما معاوية بأدهى منّي ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس ولكن كل غدره فجرة وكل فجرة كفره ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة» فهو عليه السلام يقسم أنكم مشتهون فمعاوية ليس أدهى بل هو غادر فاجر وأنا لأأريد الغدر والانحراف عن طريق الحق فأرتكب الفسق والفجور ولولا أن الله تبارك وتعالى يرى الغادر عدواً لرأيتهم أن أدهى الناس عليّ. فالغدر فسق وفجور ومثل هذا الفجور كفر وأنا أعلم ان كل غادر خاسر يوم القيامة وله لواء يومها. (والظاهر

١- نهج البلاغة الخطبة ١٢٤.

٢- كانت هذه هي المشكلة الثانية بعد أن كان الاستاذ تحدّث عن مشكلة النفاق ومشكلة مقتل عثمان كمشكلة واحدة.

(المترجم)

أن المغدور بهم أيضاً يكونون تحت لواء الغادر). هذه أيضاً مشكلة أخرى لعليّ عليه السلام.

هـ- الخوارج: مشكلة عليّ عليه السلام الأساسية

ما سبق كان مقدمة لهذه المشكلة الأساسية التي أريد التّعرّض لها وهي انه في زمان النّبيّ ﷺ لم يكن الأمر مجرّد أن هناك فئة بناها وفئة أخرى انضمت تحت لوائه بل كان رسول الله ﷺ يعلم ويفقه فئة ربّاهم حتى تمكّنت التربية الإسلامية في أرواحهم فقد تحمّل النّبي ﷺ طوال مدة ١٣ سنة التي قضاها في مكة أنواع الأذى والآلام من أهل قريش وكان يأمر بالصبر مهما طلب منه أصحابه الإذن في الدفاع متسائلين إلى متى تتحمّل الأذى؟ وإلى متى يأخذنا هؤلاء ويعذبوننا؟ يضعون الصخور على صدورنا ممددين على رمال الحجاز الحارّة؟ وإلى متى نبقي نُجلد؟ ومع ذلك لم يكن النّبي ﷺ يعطي الإذن بالجهاد والدفاع. وفي النهاية اقتصر ﷺ على الإذن بالهجرة حيث هاجرت جماعة إلى الحبشة وكانت هجرة مثمرة. فماذا كان يفعل النّبي ﷺ خلال هذه المدة ١٣ سنة؟ كان يرّبي ويعلم ويحقّق العمق الأساسي للإسلام و تلك الجماعة التي علّمها بلغت الألف رجل حين الهجرة كانت فئة قد وعّت روح الإسلام و ترّبي أكثرها بالتربية الإسلامية.

الشرط الأول للنهضة هو وجود جهاز تعليمي تربوي يتشكّل من مجموعة تعلّمت وتربّت ووعّت الأصول والأهداف والتكتيك المطلوب وهؤلاء يمكنهم أن يشكّلوا المحور المركزي ثم يصير الآخرون الملتحقون بهم خلايا لهم ويحاولون أن يصيروا مثلهم. وهنا يكمن سرّ الموفقية في الإسلام.

وعليه، فهناك فوارق بين حال علي عليه السلام وبين حال النبي صلى الله عليه وآله أحدها ان النبي صلى الله عليه وآله كان يواجه كفاراً أي الكفر الصريح والمشكوف بلا ستار، يواجه كفراً يعلن عن نفسه ويقول أنا الكفر. لكن علياً عليه السلام كان يواجه الكفر المستور وهو النفاق، كان يواجه قوماً هدفهم هدف الكفار لكن تحت ستار الإسلام ستار القدس والتقوى، تحت لواء القرآن وظاهر القرآن.

الفرق الثاني انه خلال حكم الخلفاء وبشكل خاص فترة خلافة عثمان لم يثابر على التربية والتعليم بالشكل المطلوب لما ابتدأه الرسول صلى الله عليه وآله فالفتوحات الإسلامية زادت لكنها لوحدها لا تثمر شيئاً. النبي صلى الله عليه وآله بقي ١٣ سنة في مكة ولم يأذن للمسلمين حتى أن يدافعوا عن أنفسهم كأنهم لم يكونوا لائقين به فإذا أريد فتح باب الجهاد والفتوحات فلا بد أن يكون بشكل يتناسب مع فتح باب الثقافة الإسلامية بحيث إذا تحققت فتوحات جديدة وجب أن يواكبها تحرك ثقافي واسع للإلتحاق بالإسلام وليعي أولئك الذين جذبهم الإسلام أصول الإسلام وحقائقه وأهدافه ويعوا قشره وعمقه. لكن إهمال ذلك في عصر الخلفاء أدّى إلى إنتشار ظاهرة في المجتمع الإسلامي وهي بروز فئة مرتبطة بالإسلام مؤمنة به لكنها لا تعرف إلا ظاهر الإسلام دون أن تصل إلى عمقه، فئة كان كل جهدها أن تصلّي مثلاً لا أن تتعرّف وتتطلع على الأهداف الإسلامية.

برزت فئة عابدة زاهدة والثغفات على جباههم من كثرة السجود على مدى ساعة أو ساعتين أو خمس ساعات وعلى أكفهم وأطراف ركبهم من كثرة سجودهم على الأرض ووضع الأيدي والركب على التراب والرمال. وعندما يرسل الإمام عليه السلام ابن عباس إليهم - على إثر طغيانهم - يعود ليقول: «لهم جباه

قرحة لطول السجود وأيد كثنات الإبل عليهم قمص مرحضة. هم مشمرون»^(١) فهو يبين آثار العبادة والزهد وفوق ذلك استعدادهم وتصميمهم القاطع «الآن إملأ الحوض ماء».

هذه الفئة فئة العبّاد الجهّال، التّسّاك الجهال، فئة الجمود المقدّس قد برزت في المجتمع الإسلامي لم تتعرف على التربية الإسلامية وان كانت متعلقة بالإسلام لكنها ملتصقة بقشره التصاقاً محكماً.

ويصف عليّ عليه السلام هذه الفئة بقوله: «جفاة طغام عبيد أقزام، جمعوا من كل أوب وتلقطوا من كل شوب ممن ينبغي أن يفقه ويؤدّب ويعلم ويدرّب... ليسوا من المهاجرين والأنصار ولا من الذين تبوّأوا الدار والإيمان»^(٢) فهم شعب خشن فظّ غليظ القلب لكن حياتهم حقيرة ليس في روحهم عزّة بل ذلّة وهم أراذل القوم لم يعلم من أين أتوا. أناس جدد عليهم أن يجلسوا على مقاعد الدراسة الأولى ليتعلموا الإسلام، فهم جهال لا علم لهم لا يدرون ما القرآن ولا يفهمون معناه ولا يفهمون سنّة النبي ﷺ، يجب أن يعلموا ويربّوا إذ لم يحصلوا التعليم والتربية الإسلامية انهم ليسوا من المهاجرين والأنصار الذين أشرف الرسول ﷺ على تربيتهم فهم يفتقدون التربية الإسلامية.

استلم عليّ عليه السلام الخلافة في ظرف وجدت فيه هذه الفئة في كل مكان حتى ان جيشه عليه السلام يضمّ بعضاً منها وقد رأينا ما حدث في صفّين وخديعة معاوية وعمر

بن العاص التي سمعتم بها مراراً. فعندما شعرا باقتراب الهزيمة خططا واستفادوا من هذه الفئة فأمرأ برفع القرآن على رؤوس الرماح «أيها الناس، نحن جميعاً أهل القرآن، جميعنا أهل القبلة، فلماذا نحارب، وإن أردتم الحرب فهيّا اضربوا هذا القرآن»، انسحبت هذه الفئة فوراً وقالت: نحن لا نحارب القرآن و جاؤوا إلى علي عليه السلام ليقولوا: ان القضية انتهت والقرآن بيننا و حينئذٍ لا معنى للحرب، فقال لهم علي: ألا تعلمون أنني من أول يوم قلت لهؤلاء أن نتحاكم الى القرآن و هو يقضي بيننا لنر من هو صاحب الحق. هذه أكاذيب، هؤلاء لم يجعلوا القرآن بيننا بل جعلوا بيننا غلاف القرآن وأوراقه حتى يعودوا من جديد: فيما بعد للقيام ضد القرآن فلا تهتموا بهم وأنا إمامكم أنا القرآن الناطق فاضربوا وتقدموا. فتعجبوا من هذا الكلام وقالوا كنّا نعتقد أنك رجل جيّد وكنّا نمدحك فتبين أنك طالب جاه، أطلب منا محاربة القرآن، لا، نحن لا نحارب. مالك الأشتر كان منشغلاً بالاقتحام فطلبوا من الإمام عليه السلام أن يأمر مالك الأشتر فوراً بالتراجع. وأنه لا حرب بعد مع أتباع القرآن وقد أكثروا الضغط حتى أرسل إليه أن يا مالك إرجع فلم يرجع وطلب الإذن بالاستمرار إذ لم يبقَ إلا ساعة أو ساعتين وتتمّ الهزيمة الساحقة لهؤلاء فلما رأوا أنه لم يتراجع قالوا إما أن تسحب مالك وإما أن نقطعك بسيوفنا إرباً إرباً، أنت تقااتل القرآن فأرسل عليه السلام: يا مالك إذا أردت أن ترى علياً حيّاً فارجع.

ثم أتت مسألة الحكمين حيث اتفق على تعيين حكمين (بعد أن صارالقرآن بيننا). عيّن أولئك الشيطان عمروبن العاص. واقترح علي عليه السلام ابن عباس العالم الفطن فرفضوا لأن «ابن عباس هو ابن عمك ومن أقربائك نريد رجلاً ليس من عائلتك» فقال: مالك الأشتر فرفضوا فصار يعدد لهم وهم يرفضون ولم يقبلوا إلا

بأبي موسى الأشعري. ومن هو أبو موسى، هل هو من جيش الإمام علي عليه السلام؟ لا بل كان والياً على الكوفة فعزله الإمام عليه السلام فهو رجل يضم في قلبه عداوة لعلي عليه السلام أتو بأبي موسى الذي مرّت عليه حيلة عمرو بن العاص، حيلة هي بلعبه أشبه منها بأمر جدّي وقد سمعتم بها مرارا. وعندما أدركوا أنهم خدعوا اعترفوا باشتباههم لكنهم باعترافهم هذا وقعوا في اشتباه آخر إذ لم يعترفوا باشتباههم بالتخلّي عن حرب معاوية وأنه كان من المفروض متابعة الحرب وإن الحرب لم تكن ضدّ القرآن بل لأجل القرآن، بل زعموا أن ذلك الموقف صحيح، كما أنهم لم يعترفوا باشتباههم في اختيار أبي موسى الأشعري وأنه كان ينبغي اختيار ابن عباس أو مالك الأشتر. بل قالوا لقد كفرنا إذ رضينا بمبدأ قبول الحكيم والقرآن يقول: إن الحكم الله فالحكم منحصر بالله وليس لأي إنسان حق التحكيم، فأصل تعيين الحكم كفر و شرك، وجميعنا كفر ونحن تبنا «نستغفر الله ربّنا ونتوب إليه» ثم جاؤوا إلى علي عليه السلام قائلين له أنت كفرت أيضاً فعليك أن تستغفر (فانظروا ما هي المشكلة هل إن مشكلة علي عليه السلام كانت معاوية أم هذا التقديس الجاف، عمرو بن العاص هو مشكلة علي عليه السلام أم هذا التقديس الجاف) فقال لهم عليه السلام أنتم مخطئون وليس التحكيم كفراً وأنتم لا تفقهون معنى قوله تعالى (إن الحكم إلا لله) فهي تعني أن التشريع هو من الله فقط أو من شخص يأذن له الله بذلك ونحن لم نرد من أحد أن يسنّ قانوناً بل قلنا القانون قانون القرآن وليأت شخصان يحكما وفق القرآن فإن الله لا يأتي كي يحكم في النزاعات. فقالوا: الكلام ما ذكرنا فقط، فقال لهم علي عليه السلام: أنا لا أقرّ بذنوبكم لم أرتكبه، وأي شيء كان على خلاف الشرع لم أقل عنه أنه خلاف الشرع؟ وكيف أكذب على الله والنبي وأقول إن التحكيم مخالف للشريعة وكفر؟ لا ليس كفراً فافعلوا ما تشاؤون.

مسلك عليّ عليه السلام مع الخوارج

افترقوا عن عليّ عليه السلام وصاروا فرقة عرفت باسم الخوارج أي الخارجين على عليّ عليه السلام بدأوا بجرح قلب عليّ عليه السلام ولكن الإمام عليه السلام كان يداريهم قدر الإمكان ما داموا لم يحملوا السلاح حتى أنه عليه السلام لم يقطع عنهم روايتهم من بيت المال ولم يقيد من حريتهم وكانوا يتجرأون على عليّ عليه السلام ويهينونه أمام أعين الآخرين وعليّ عليه السلام يبدي الحلم. في يوم كان عليه السلام يتحدث على المنبر وأحدهم كان يشوش، وفي يوم آخر كان عليه السلام على المنبر فسأله شخص سؤالاً أجاب عليه السلام عنه بالبداهة جواباً بديعاً تعجب منه الجميع ولعلهم كبروا، وكان أحد الخوارج حاضراً فقال: «قاتله الله كافراً ما أفقهه» فأراد أصحابه عليه السلام أن يضربوا رأسه فقال عليه السلام: دعوه فهو قد شتمني فلکم على أكثر التقادير أن تشتموه، دعوه. كان عليه السلام يصلي يوماً جماعة عندما كان خليفة المسلمين (فانظروا إلى حلم عليّ عليه السلام) ولم يكونوا يقتدون به وكانوا ينكرون إسلام عليّ عليه السلام ويعتبرونه كافراً ومشركاً، وأثناء قراءته للحمد والسورة قال ابن الكوّاب وهو منهم- بصوت عالٍ: اقرأ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾^(١) أراد أن يقول: نحن نعلم أنك أول المسلمين إسلاماً ولك سابقة وخدمات ونعرف عبادتك لكنك عندما أشركت فلا أجر لك عند الله أبداً.

كيف تعامل عليه السلام معه؟ عندما شرع الخارجي بتلاوة تلك الآية سكت عليه السلام عن

القراءة عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾^(١) وأنتم ﷺ القراءة عندما انتهى الخارجى من الآية فأعادها الخارجى مرةً وثانية وفي كل مرة كان ﷺ يسكت عن القراءة، ثم كرّر الرجل التلاوة فأكمل ﷺ حينئذٍ ولم يعتن به وتلا قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(٢) وأنتم ﷺ صلاته.

أصول مذهب الخوارج:

لم يكتفِ الخوارج بذلك المقدار ولو اكتفوا لم يكونوا ليشكلوا تلك المشكلة لعلي ﷺ لكنهم رويداً رويداً بدأوا يلتفتون حول بعضهم البعض وشكّلوا حزباً بل فرقة إسلامية (يقال لها إسلامية لكنهم في الواقع ليسوا بمسلمين بل هم في نظرنا كفّار) وأبدعوا مذهباً في العالم الإسلامي جعلوا له أصولاً وفروعاً وقالوا: على من يكون منا أن يعتقد كفر عثمان وعليٍّ ومعاوية وكل الذين سلّموا بالتحكيم نحن كنّا كفاراً وتبنا والمسلم منهم هو من تاب.

وقالوا: ليس للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أي شرط ويجب القيام ضد كل إمام جائر مهما كانت الظروف وان كنّا على يقين بأن القيام غير مفيد. وهذا الأمر أعطاهم سمة جاذبة عجيبة.

أصل آخر أصنّوه لمذهبهم يكشف أيضاً عن ضيق أفقهم وجهلهم هو ان العمل

١ - سورة الأعراف الآية ٦٥.

٢ - سورة الروم الآية ٦.

جزء الإيمان ولا إيمان بلا عمل، فالمسلم لا يكون مسلماً بمجرد ان ينطق بالشهادتين، بل المسلم إذا صلى وصام ولم يشرب الخمر وترك القمار ولم يكذب واتقى كل كبيرة فهو في أول درجات إسلامه، والمسلم إذا كذب كافر نجس وليس مسلماً وإذا استغاب مرّة أو شرب الخمر فقد خرج عن دين الإسلام فاعتقدوا أن مرتكب الكبيرة ليس مسلماً والنتيجة هي أنهم هم وحدهم العبّاد المسلمون في الدنيا (ان هو إلا قول يقولونه) فلا يوجد تحت ظلّ السماء مسلمون غيرهم، وغير ذلك من الأصول التي اخترعوها لأنفسهم، وحيث أن من أصولهم ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب غير مشروط بأي شرط وأنه يجب الوقوف بوجه كل إمام ظالم وحيث ان علياً عليه السلام عندهم من الكفار، فقالوا: انه لم يبقَ إلاّ الثورة على عليّ عليه السلام فنصبوا خيمة خارج المدينة وأعلنوا التمرد. وفي تمردهم كانوا يعتمدون أسساً جافة خشنة فكانوا يقولون: الآخرون ليسوا بمسلمين فإذن لا يمكننا الزواج منهم ولا تزويج نساتنا لهم وذبائحهم - أي اللحم الذي يكون من ذبيحة أولئك - حرام فليس لنا أن نشترى من قصّابهم وفوق ذلك قتل نساتهم وأطفالهم جائز. وحيث ان الناس عندهم يجوز قتلهم بدأوا بالإغارة خارج المدينة والقتل فأوجدوا وضعاً عجيباً، والتقوا يوماً بأحد أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يمرّ هو وزوجته الحامل فطلبوا منه البراءة من عليّ عليه السلام فلم يفعل فقتلوه وبقروا بطن زوجته واعتبروهم كفاراً. وهؤلاء أنفسهم مرّوا ببستان نخل يعتقدون حرمة مال صاحبه فمدّ أحدهم يده وأكل تمرّاً فأرعبوه رعباً لا يعلم إلاّ الله حدّه قائلين له أتتعدّى على مال أخيك المسلم.

ردّة فعل عليّ عليه السلام مع الخوارج:

وصل بهم الأمر أن عليّاً عليه السلام رش الطحين أمامهم فلا مجال بعد لتركهم أحراراً فأرسل إليهم ابن عباس يحدّثهم فعاد يقول: رأيت جهاً ذات ثفنتان من كثرة السجود وأيدٍ كثفنتا الإيل وعليهم قمصان قديمة زهيدة وهم مشمّرون فلم يحقق ابن عباس تقدماً. فذهب عليه السلام بنفسه إليهم وخطب فيهم وكان من تأثيره عليهم أن خجل ٨ آلاف وانسحبوا من ١٢ ألفاً ورفع عليّ عليه السلام لواء سماء الأمان فمن استظلّ به فهو في أمان فاستظلّ به ٨ آلاف وبقي أربعة آلاف على إصرارهم فأعمل عليه السلام السيف فيهم، في هؤلاء النساك ذوي الثفنتان على الجباه وقطع رقابهم ما عدا عشرة أشخاص استطاعوا الفرار أحدهم عبد الرحمن بن ملجم هذا العابد!. يقول عليّ عليه السلام في نهج البلاغة (وعلي وجود عجب وهنا تظهر عظمتة عليه السلام) «أنا فقأت عين الفتنة ولم يكن ليحتريء عليها أحد غيري بعد أن ماج غيبتها واشتدّ كلبها»^(١) أي فتنة هذا التعبد الجاف لأن هذه الفتنة المسماة بالعابدة لا يمكن أن

١ - نهج البلاغة - خطبة ٩٢.

يعني بعد أن صارت الأوضاع موجبة للشك والترديد والشبهة حتى ان ابن عباس عندما ذهب ورأى حصل عنده الشك وصار القضاء ضابطاً ملوثاً وهو عليه السلام نفسه ذكر ان الأفق قد ملأه الضباب والوضوح لم يكن يسمح لجندي مسلم أن يحارب باسم الإسلام أو أن يذهب للحرب وهو مطمئن بأنه يعمل لمصلحة الإسلام عندما يواجه جمعاً يراهم أكثر عبادة وزهداً منه وأقل ارتكاباً للذنب أكثر منه صلاة وآثار العبادة ظاهرة على الوجوه فكانت اليد ترتجف إذا شهر السيف والقلب يتزلزل ان كيف يشهر السيف على هؤلاء فلولاً عليّ عليه السلام وأتباع عليّ عليه السلام ولو لا يكونوا مطمئنين بعلي عليه السلام لكان شهر السيف على أولئك محالاً. فالأوضاع كثيرة الشبهات عظيمة ولهم الحق في ذلك ولو كنّا نحن وإياكم مكانهم لم تكن يدنا لتتحرك إلى تلك الناحية.

يقتلهم إلا أحد فريقين: أحدهما فريق لا يعتقد بالله والإسلام كأصحاب يزيد الذين قتلوا الإمام الحسين عليه السلام. أما أن يتجرأ أحد من المسلمين للوقوف بوجههم أو ينطق بكلمة ضدهم فهذا كمصارعة الأسد ليس بمقدور أي كان ويحتاج إلى بصيرة كبصيرة علي عليه السلام الذي أحسّ بخطرهم على المجتمع الإسلامي (حيث سنعرض ذلك الإحساس الذي شعر به عليه السلام ونستنبطه من كلامه عليه السلام) فهؤلاء من جهة يذكرون الله و يقرأون القرآن ومن جهة أخرى يضربهم عليه السلام بالسيف. يقمعهم ويقتلهم. هذا يحتاج إلى بصيرة كبصيرة علي عليه السلام فقد قال عليه السلام: «ولم يكن ليجترأ عليها أحد غيري» فلم يكن لأحد من المسلمين وان كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله مثل هذه الجرأة بأن يشهر السيف عليهم لكنني شهرته وأفتخر بذلك. ثم يقول عليه السلام «بعد أن ماج غيبتها» أي فقأت عين هذه الفتنة بعد أن كانت في ظلمات تموج موجاً عالياً مظلماً. «واشتدّ كلبها» وهذه جملة رائعة فالكلب عندما يكلب أي يجن (باصطلاح العامة) يمرض مرضاً خاصاً وتنتقل جرثومة هذا المرض إذا عضّ إنساناً أو حيواناً عبر لعابه وتدخل في دم المعضوض وبعد مدة يصير هو أيضاً كلباً مثلاً إذا عضّ هذا الكلب حصاناً فإنه سيصير كلباً بعد مدة وكذلك الإنسان. يقول علي عليه السلام ان هؤلاء المتعبدین ظهوروا ككلاب كلبة فبأي شخص يتصلون يصير مثلهم وكما ان الناس إذا رأّت كلباً كلباً يرى كل شخص ان له الحق في إعدام ذلك الكلب حتى لا يعض فيسري المرض إلى غيره، وأنا رأيت هذه الكلاب الكلبة ولم أجد حيلة إلا القضاء عليهم وان لم أفعل فلن يمضي وقت إلا وهذا الداء قد سرى في المجتمع الإسلامي فيغرق في الجمود والقشريات والتجبر والجهل والحقاقة فرأيت ان الإسلام في خطر، فأنا الذي فقأت عين هذه

الفتنة التي لم يكن ليتجرأ على ذلك أحد غيري بعد أن ماجت الظلمات وارتقت الشبهات والشكوك حولهم واستكلبوا والسراية تزيد يوماً - بعد يوم إلى الآخرين.

خصوصيات الخوارج:

للخوارج خصائص. فمنها: الشجاعة الزائدة والتضحية فقد كانوا مبدئين يضحون تضحية عجيبة وتحكى القصص عن تضحياتهم.

الخاصية الثانية: انهم كانوا عباداً عبادة زائدة وهذا هو الشيء الذي أوقع وزاد في إيقاع الناس في الشك والشبهة حيث يقول علي عليه السلام لا جرة لأحد غيري على قتل هؤلاء.

الخاصية الثالثة: تلك الجهالة وذلك الجهل الزائد الذي كان يحوطهم نسأل الله الأمان منه ومما جرى على الإسلام جراء هذه الجهالة والجهل.

نهج البلاغة كتاب بديع من كل الجهات فتوحيدة بديع، مواظبه بديعة، أدعيته وعبادته بديعة والتحليل التاريخي لزمان علي عليه السلام بديع. علي عليه السلام يحلل ويحلل أمر معاوية وعثمان والخوارج وسائر ما جرى في أيامه تحليلاً عجيباً.

فمن كلام لعلي عليه السلام عن الخوارج:

«ثم أنتم شرار الناس»^(١) يخاطب هؤلاء النّسّاك بذلك لِمَ؟ فلو كنّا نحن

لتساءلنا مهما كان الأمر فهؤلاء غير مضرّين بل لا بأس بهم. فإننا نصف أمثال

هؤلاء بالحسنى لكن أتعلمون لماذا يخاطبهم عليّ عليه السلام بـ «أنتم شرار الناس» يبين ذلك بالعبارة التالية «ومن رمى به الشيطان مراميه وضرب به تيهه». فسبب كونكم شرار الناس أنكم سهام في أيدي الشيطان، قد جعلكم الشيطان أسهماً يضعها في قوسه يضرب بها هدفه. فعليّ عليه السلام يقول: أنتم وسائل قاطعة جداً بيد الشيطان. ويلتفت إلى أمر وهو أنه في زمان عليّ عليه السلام وجدت فئة منافقة كعمرو بن العاص ومعاوية كانا عالمين ويعرفان الواقع حقاً، والله يعرفون علياً أكثر من غيره وهذا أمر يشهد به التاريخ من أن معاوية كان محباً لعليّ ويحاربه (ولا يُغفل عن طلب الدنيا والحرص والعقدة النفسية) ويدل على ما ذكرنا أنه بعد استشهاد عليّ عليه السلام كان يسأل معاوية كل شخص كان مقرباً لعليّ ممن كان يأتي إليه ويطلب منه أن يصف علياً عليه السلام وعندما كانوا يصفون علياً كانت دموع معاوية تجري ويقول: هيهات أن يأتي الزمان بمثل عليّ عليه السلام كان هناك أناس كعمرو بن العاص ومعاوية يعرفون علياً ويعرفون حكم عليّ عليه السلام وأهدافه لكن طلب الدنيا لم يكن ليريحهم. هذه الفئة المنافقة كانت تستغلّ هذا التعبّد الجاف وتستخدمهم أسهماً يضربون بها أهدافهم وهذا أمر قد تكرر دائماً.

هذه المشكلة الكبرى التي اعترضت علياً عليه السلام نراها موجودة دائماً في الدنيا فداًئماً هناك منافق، الآن يوجد - والله - معاوية وعمرو بن العاص لكن باللسنة مختلفة وداًئماً يوجد أمثال ابن ملجم وأهل العبادة الجافة والسهام التي هي آلات في يد الشيطان. وهناك دائماً استعدادات للوقوع في الخديعة واطلاق التهم بحيث أن مثل عليّ عليه السلام يقال عنه كافر ومشرك.

أحدهم وصف ابن سينا بأنه كافر: (١)

وابن سينا أنشد هذه الرباعية:

ليس تكفيري بسهل أو جزاف ولا إيمان أقوى من إيماني..
 في الدهر واحد مثلي وهو كافر إذن فليس في الدهر مسلم (٢)
 وما دام الإسلام يمتلك عالماً عظيماً فسيقال لهذا العالم من قبل المتعبدین
 الجافين هذا ليس مسلماً بل هو كافر، ليس شيعياً أو يقال مثلاً من أعداء علي عليه السلام
 ولأنقل لكم قصة حتى تنتبهوا أيها المسلمون ولا تكونوا من خوارج النهر وان
 وسهام الشيطان.

اتصل بي يوماً أحد الأصدقاء تليفونياً ليقول لي: إنني متعجب جداً إذ سمعت
 بأمر عجيب أيها الشيخ: ان إقبال الباكستاني الذي احتفيتم به وأقمتم له ذكرى يقال
 انه في كتابه أهان الإمام الصادق عليه السلام.

قلت له: ما هذا الكلام؟ فقال راجع الصفحة الفلانية من الكتاب الفلاني: قلت له:
 أنت رأيت هذا؟ قال: لا لكن شخصاً محترماً جداً أخبرني بذلك. فتعجبت إذ أن
 بعض إخواني مثل السيد سعيدي كان قد قرأ ديوان إقبال من أوله إلى آخره ولم ير

١ - دائماً عندما يقابل الجهال وعديمي المعرفة العلماء ذوي القدرات والآداب ويرون احترام
 المجتمع لهم لا يدرون ماذا يفعلون ولا يملكون الوسائل فإن آثار العلم واضحة وإذا نفوا عنهم
 الأدب فالأدب فيهم متجلي أو أن نفوا عنهم العقل فهم يرون عقولهم فلا يملكون إلا أن يقولوا هذا
 كافر هذا ليس مسلماً.

- ٢

محکمتر از ایمان من ایمان نبود	کفر جو منی گزاف و آسان نبود
بس در همه دهر يك مسلمان نبود	در دهر جو من یکی و آن هم کافر

فيه مثل هذا الشيء فقلت له: أولاً المسألة ليست مجرد ذكرى وتجليل بل كان وسيلة لهدف، فنحن لم نحتفل بشخص إقبال.

إقبال جعلناه نصب أعيننا من أجل مجموعة من الأهداف الإسلامية فإن لم تكن حاضراً فسوف ترى ذلك في الكتاب الذي سينشر.

ثم اتصلت فوراً بالسيد غلام رضا سعيدي وسألته عن الأمر فنفي وجود مثل هذا الشيء، فقلت: لا يمكن لهذه الكذبة بهذه الضخامة أن تكون بلا أصل. بعد ساعة أو ساعتين تذكر شيئاً فقال: فهمت الآن ما هي القصة المسألة أنه عندما احتل الإنكليز الهند وثار عليهم المسلمون كان هناك شخصان اسم أحدهما جعفر واسم الآخر صادق كانا عميلين للإنكليز، طعنا النهضة الإسلامية بخنجر في ظهرها وإقبال ذم هذين الرجلين في كتابه وأعتقد ان التوهم آتٍ من هنا. قلت لنرى. أتيت بالكتاب ونظرت في الصفحة التي أشار إليها الأول فرأيت فيه قول إقبال: «حيثما يوجد خراب في هذه الدنيا فهناك صادق وجعفر» وقبل صفحتين يقول:

جعفر من بنغال وصادق من دكن عار الدين عار العالم عار الوطن^(١) فهو إذن يتحدث عن جعفر البنغالي وصادق الدكني ثم تحققت من المسألة تاريخياً فعلمت انه عندما احتل الإنكليز الهند كان من قياديي النهضة ضد الإنكليز رجلان شيعيان اسم أحدهما سراج الدين والآخر طيفو سلطان (والظاهر ان سراج

الدين في جنوب الهند وطيفو سلطان في شمالها) (وإقبال يحترهما) فأتى الإنكليز وزرعوا جعفرأ في تشكيلة سراج الدين وكان شريكاً في قطع الطريق ورفيق القافلة وزرعوا في تشكيلة طيفوا سلطان صادق الذي صار أيضاً شريكاً في قطع الطريق ورفيق القافلة. وقد طعن هذان الشخصان الثورة من الخلف فنتج عن ذلك أن تمكّن الإنكليز من استعمار الهند مدة ٣٠٠ سنة. وهذان الشخصان يعتبران عند الشيعة من الخائنين كما ان الأمر كذلك عند السنّي الهندي والباكستاني فكانا من المذومين المنفور منهما وصارا رمزاً للخيانة، أما سراج الدين وطيفو سلطان فقد كانا محترمين عند الشيعة لأنهما شيعيان بطلان وكانا محترمين عند السنّة لكونهما من أبطال المسلمين وكانا كذلك محترمين عند الهنود لأنهما بطلان وطيان.

ولم تمضِ ثلاثة اشهر على انعقاد مجلس الذكرى حتى كنت أسأل كل يوم هل ان إقبال الذي تقرأ أشعاره في مدح الإمام الحسين (عليه السلام) قد أهان الإمام الصادق (عليه السلام)؟ والذي يثير الضحك في المحافل العامة ويؤلمني أن هذه القضية قد اشتهرت في المحافل غير الإسلامية من أن إقبال الباكستاني أهان جعفر البنغالي وصادق الدكني والمسلمون يجلسون ويقولون أن إقبالاً شتم الإمام الصادق. فانظروا إلى عقول المسلمين. وقد كنا نخجل ونحن نواجه هذه المحافل حيث يقولون انظروا إلى ضيق الأفق في فكر المسلمين وإلى أي حدّ هو منحطّ.

عندما كان رسول عليّ (عليه السلام) في الشام وقد دعا معاوية إلى إقامة صلاة الجمعة يوم الأربعاء وأمر بإعلان ذلك. صلّى الجمعة يوم الاربعاء ولم يعترض أحد فطلب معاوية ممثل عليّ (عليه السلام) سراً وقال له: إذهب إليه وقل له اني آتيك بمئة ألف ضارب

سيف لا يميزون بين يوم الجمعة و يوم الأربعاء.

حسينية الإرشاد تعتبر اليوم مذنبه لأنه قد بحث فيها يوماً عن الفلسطينيين وطلب من الناس مساعدة الفلسطينيين فأخذت جماعة من اليهود من جواسيس إسرائيل وما أكثرهم في هذا البلد وللأسف فإن كثيراً من مسلمينا من جواسيسها، أخذت على نفسها أنه سيأتي يوم يشيرون فيه إشاعة على حسينية الإرشاد^(١).

أنا لا أريد إلا شيئاً واحداً هو أن افتحوا أعينكم واعلموا أن اليهود في هذه البلاد و جميع البلاد الإسلامية كُثُر وأعين هؤلاء و أموالهم في عمل مستمر فلا تكونوا من خوارج النهران. فإلى متى يضرب الإسلام باسم الإسلام وان لم تتعظ من هذه الدروس فمن أي شيء سنتعظ؟ ولماذا نجتمع كل سنة ونقيم المجلس باسم علي عليه السلام؟ لأن حياة علي عليه السلام مدرسة. وأحد دروسها المبارزة مع الخوارج ومجاهدة المتعبدین الجامدين ومحاربة النفاق والجهالة. علي عليه السلام لا يريد شيعياً جاهلاً. علي عليه السلام لا يريد شيعة يتأثرون بما يسئ إلى المحتالون واليهود و بكل جهد من بث الإشاعات و يقولون أن إقبال الباكستاني قد أهان الإمام الصادق عليه السلام فتسري بين الناس كالبرق أن إقبال الباكستاني - والياذ بالله - ناصبي - هذا الرجل المخلص لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، من دون نظر في كتابه أو مراجعة لتاريخه على الأقل من سفارة باكستان أو من أي مكان آخر.

لا يريد علي عليه السلام هكذا شيعة بل ينفر منهم. إفتحوا أعينكم وافتحوا آذانكم فلا تقولوا بمجرد أن تسمعوا شيئاً يقال كذا. فهذه ال «يقال» قد يكون مصدرها ومنبعها

أمكنة خطرة بل حقّقوا وبعد التحقيق فما شتم بينكم وبين الله ان تقولوه فقولوه
لكن لا تتطقوا بلا تحقيق.

عبد الرحمن بن ملجم يأتي و يقتل علياً عليه السلام فانظروا كم صقّ له أحد الخوارج
وأشدد له رباعية أول أبياتها:

يا ضربةً من تقي ما أراد بها الا ليلغ من ذي العرش رضوانا
ثم يقول لو وزنت أعمال العباد مع ضربة ابن ملجم لرجح عمل ابن ملجم هذا ما
يفعله الجهل بالإسلام والمسلمين.

استشهاد علي عليه السلام:

ابن ملجم هو أحد الزهّاد التسعة ذوي العبادة الجافة الذين عقدوا الإتفاقية
المعروفة في مكة يقررون فيها أن منشأ كل الفتن التي حدثت في المجتمع
الإسلامي من أشخاص ثلاثة عليّ و معاوية و عمرو بن العاص ويعيّن ابن ملجم
لقتل علي عليه السلام والموعّد ليلة التاسع عشر من شهر رمضان.

لماذا اختاروا هذه الليلة؛ يقول ابن أبي الحديد: أنظر للجهل فقد اختاروا ليلة
التاسع من شهر رمضان، بادّعائهم ان عملنا عبادة كبرى وسيكون الثواب أعظم لو
أتينا به في ليلة القدر.

قدم ابن ملجم إلى الكوفة وبقي منتظراً الليلة الموعودة. في هذه الأثناء يتعرف
على فتاة خارجية إسمها قطام فيعشقها و يتيم بها إلى حدّ ينسى ما كان يراود ذهنه
من أفكار ثم يذهب طالباً منها الزواج حينئذٍ تعلن له الموافقة بمهر عظيم ومن حبه
لها يقول: حاضر لكل ما تطلين. قالت: ثلاثة آلاف درهم فيقول لها: لا بأس

قالت: وعبد، قال: نعم. قالت: وجارية قال: نعم قالت: و قتل عليّ بن أبي طالب طلبت ذلك و هو الذي تصوّر نفسه انه في منحى معاكس لمسألة قتل عليّ عليه السلام فارتجف وقال: نحن نريد الزواج حتى نعيش سعداء و قتل عليّ لا يبقى لنا مجالاً للزواج والحياة، قالت هذا طلبي فإن أردت وصالي فعليك بقتل عليّ فإن بقيت حيّاً تحقق الوصال وإلا فلا شيء. فكّر في الأمر مدّة وأنشد هذين البيتين :

ثلاثة آلاف و عبد وقينه و قتل عليّ بالحسام المسمّم

ولا مهر أعلى من علي وان علا ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

يقول: أنها طلبت هذه الأمور مهراً لها ثم يقول: وليس في الدنيا مهر بهذا العلوّ وقد صدق في ذلك، يقول: أي مهر مهما علت قيمته فهو ليس يصل إلى عليّ، مهر امرأتي دم عليّ، ثم يقول: وليس في العالم فتك و حتى يوم القيامة كفتك ابن ملجم وقد صدق.

انظروا ماذا أوصى عليّ عليه السلام حينذاك؟ عليّ عليه السلام وهو مشرف على الموت وهناك أمران يتركهما خلفه أحدهما معاوية والقاسطين المنافقين الذين ترأسهم معاوية والآخر أمر أهل العبادة الجافين وهما أمران بحدّ ذاتهما متضاربان فماذا يعمل أصحاب عليّ عليه السلام بعده؟ فقال: «لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه»^(١). صحيح ان الخوارج قتلوني لكن لا تقتلوه من بعدي لأن قتلهم من بعدي سيكون لصالح معاوية لا لصالح الحق وخطر معاوية أشدّ من خطرهم وهؤلاء حمقى عديمي المعرفة أما هو فمن أول

الأمر كان يسعى للباطل وإلى باطله وصل.

عليّ عليه السلام ليس في قلبه ضغينة على أحد، دائماً يتكلم ضمن أسس، ابن ملجم الذي أخذ وأسر، جاؤوا به إلى المولى عليّ عليه السلام فحدّثه عليه السلام بصوت خافت من أثر الضربة وقال له: لماذا فعلت ذلك؟ وهل كنت إماماً سيئاً لك؟ (ولست أدري أن الإمام عليه السلام هل نطق بذلك مرة أو مرتين أو أكثر لكن الذي نقل أنه قال له ذلك) فكأن ابن ملجم تأثر بكلامه وبروحية عليّ عليه السلام فقال: «أَفَأَنْتَ تُنْفِذُ مَنْ فِي النَّارِ»^(١)، قد كنت سيء الحظ إذ قمت بهذا العمل. وذكروا أن علياً عليه السلام حدّث ابن ملجم مرّة أخرى فأجابه بفظاظة قائلاً: يا علي قد عاهدت الله أن يُقتلَ بهذا السيف الذي اشتريته شرّ خلق الله ولطالما كنت أدعو ربّي بذلك، فقال له عليه السلام: قد استجيب دعاؤك لأنك ستُقتلَ بهذا السيف.

رحل عليّ عليه السلام من هذه المدينة الكبيرة (الكوفة) وكانت الناس ما عدا الخوارج- تتمنى المشاركة في تشييع عليّ عليه السلام والبكاء والنحيب عليه.

وفي ليلة الحادي والعشرين والناس لا تدري ماذا يجري على عليّ عليه السلام ارتحل عليه السلام بعد انتصاف الليل وما كاد عليه السلام يمضي من الدنيا حتى تولّى أبناء عليّ عليه السلام الإمام الحسن والإمام الحسين عليه السلام ومحمد بن الحنفية وأبو الفضل العباس وبعض خواص الشيعة الذين لم يتجاوزوا الستّة أو السبعة أشخاص، تولّوا في تلك الليلة غسل عليّ عليه السلام وتكفينه ودفنه سرّاً في مكان يظهر أن الإمام عليه السلام كان قد عبّئ لهم ولم يعلموا أحداً بذلك. والروايات تقول أن مكان دفن عليّ عليه السلام قد دفن فيه بعض

الأنبياء العظام. ثم أخفوا محلّ القبر.

علم الناس في صبيحة اليوم التالي ان علياً عليه السلام قد دفن في الليلة السابقة سألوا عن محلّ الدفن فلم يرشدوهم إليه، بل كتب البعض ان الإمام الحسين عليه السلام قد ذهب إلى المدينة موحياً بأنه يأخذ الجنازة، حتى يظن الناس ان علياً عليه السلام دفن في المدينة.

لماذا هذا التكتّم؟ السبب هو هؤلاء الخوارج فإنهم لو علموا مدفن علي عليه السلام لتجرأوا عليه ولنشوا قبره ولأخرجوا جسم علي عليه السلام المقدّس. فمادام في الدنيا خوارج يحكمون يبقى محل الدفن مخفياً على غير أبناء علي عليه السلام وأبناء ابنائه من الأئمة الطاهرين عليهم السلام حتى مضت ١٠٠ سنة تقريباً وانقرض الخوارج وسقط الأمويون و جاء عصر العباسيين فلم يكن محذوراً الاعلان عن مرقد علي عليه السلام فكشف عنه الإمام الصادق عليه السلام لأول مرّة.

يقول صفوان -الذي يذكر اسمه في سند الدعاء الذي يقرأ بعد زيارة عاشوراء - كنت في خدمة الإمام الصادق عليه السلام في الكوفة فأخذني إلى قبر علي عليه السلام وأرشدني إليه وأمرني عليه السلام - والظاهر أنه لأول مرّة - أن تنصب خيمة على مرقد الشريف و من ذلك الوقت عرف قبر علي عليه السلام.

فالمشكلة الكبرى التي لاقاها علي عليه السلام لم تكن مختصة بحال حياته بل استمرت حتى مئة سنة من وفاته عليه السلام إذ بقي المرقد مخفياً خوفاً من هؤلاء.

السلام عليك يا أبا الحسن السلام عليك يا أمير المؤمنين فكم ظلمت أنت وأولادك؟ أنا لست أدري من هو أشدّ مظلوميّة أمير المؤمنين عليه السلام أم ابنه أبو عبدالله الحسين عليه السلام؟ فكما انّ جسم علي عليه السلام لم يكن ليسلم من شرّ العدى فإن بدن ابنه

العزیز الحسین علیه السلام لم یسلم من شرّ العدى ولعله لهذا یقال: «لا یوم کیومک یا أبا عبدالله»

الإمام الحسن علیه السلام أخفی بدن علی علیه السلام، لماذا؟ حتی لا تحصل الجرأة والجسارة على بدن علی علیه السلام أما فی كربلاء فالأمر مختلف والفرصة لم تسنح لزیّن العابدین کی یخفی بدن الحسین علیه السلام فور استشهاده علیه السلام وكانت النتيجة أن حصل ما أودّ ذكره. یقول الشاعر:

ما الحاجة للباس القديم وهو تحت الحافر

لم یبق بدن لکی تستره الثیاب^(١)



الفصل الثاني

صلح الإمام الحسن عليه السلام

الجلسة الأولى:

بسم الله الرحمن الرحيم

يقع صلح الإمام الحسن عليه السلام مورد تساؤل^(١) في القديم وفي الأزمنة اللاحقة وبشكل خاص في زماننا نحن، أنه كيف حدث أن صالح الإمام الحسن عليه السلام معاوية ويقوى التساؤل إذا أجريت مقارنة مع حرب الحسين عليه السلام ليزيد وعدم استسلامه له ولابن زياد.

وفي اعتقادي ان الذين لا يدققون في عمق المطلب يرون هذين النهجين متناقضين ومن هنا ذكر البعض أن روحية الإمام الحسن عليه السلام تختلف عن روحية الإمام الحسين عليه السلام وأن الحسن بطبعه طالب للصلح بخلاف الإمام الحسين عليه السلام الذي هو رجل حرب وثورة.

بحثنا الآن في أن صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية وعدم استعداد الإمام

١ - فقد كان الصلح في زمان الإمام الحسن عليه السلام مورد اعتراض، كما كان كذلك في زمان الأئمة الآخرين عليهم السلام.

الحسين عليه السلام بأي وجه من الوجوه للصلح هل هما ناشئان من روحتين مختلفين بحيث لو فرضنا أن الإمام الحسين عليه السلام كان مكان الإمام الحسن عليه السلام لكان الأمر مختلفاً ولحارب الإمام الحسين عليه السلام حتى آخر قطرة دم وكذا لو فرضنا الإمام الحسن عليه السلام كان في موقع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء فلم تكن الحرب لتقع ولا خلت النتيجة، أم إن اختلافهما عليهما السلام ناشىء من اختلاف الظروف فكانت تقتضي في زمن الإمام الحسن عليه السلام شيئاً وفي عصر الإمام الحسين عليه السلام تقتضي شيئاً آخر.

وحتى نبحت في الظروف المختلفة بينهما عليهما السلام لابدّ من بحث أمرهم فالباحثون اقتصروا في بحثهم هذا الموضوع على أن ظرف الإمام الحسن عليه السلام كان مغايراً لظرف الإمام الحسين عليه السلام وتقدير المصلحة في عصر الإمام الحسن عليه السلام كان يقتضي هذا وتقديرها في عصر الإمام الحسين عليه السلام كان يقتضي ذاك. وهذا أمر نحن نقبله وسنبحث فيه لكن هنا أمر لابدّ من بحثه وهو بحث أساسي يتعلق برأي الإسلام وتشريعه في الجهاد وحيث أن صلح الإمام الحسن عليه السلام و عدم صلح الإمام الحسين و حربه عليه السلام مرتبطان بباب الجهاد فعلينا إذن أن نبين قواعد الإسلام في هذا الباب ولم أجد من تعرّض لهذا البحث فيمن تطرّق لمسألة صلح الإمام الحسن عليه السلام. ثم بعد ذلك نعود لمسألة صلح الإمام الحسن عليه السلام لنرى على أي أساس كان. وما هو الأساس الذي جعل الإمام الحسين عليه السلام يحارب.

النبوي والصلح

ثم إننا سنرى أن مسألة لا تختصّ بصلح الإمام الحسن عليه السلام فإن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

نفسه قد سلك سبيلاً سليماً في السنين الأولى للبعثة وطوال مدة وجوده ﷺ في مكة بل حتى السنة الثانية من هجرته إلى المدينة مع ما كان يراه من المشركين من ضيق وألم وأذى حتى ان كثيراً من المسلمين مات تحت الضرب بالسوط وقد كان المسلمون يطالبون بالإذن بالجهاد ويعتبرون أنهم وصلوا إلى الحد الأقصى وكانوا يتساءلون عن وضعهم إذا ساء الأمر أكثر ولم يكن يعط لهم الإذن وأقصى ما أعطي لهم الإذن بالهجرة الى الحبشة. وعندما هاجر النبي الأكرم ﷺ من مكة إلى المدينة نزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(١) وجاء الإذن بالجهاد للذين أصابهم الظلم وتعرضوا للضرب.

هل الإسلام دين الحرب أم دين صلح؟ فإن كان دين الصلح فعليه أن يبقى كذلك إلى الأبد وقد قيل ان الحرب ليس عمل الدين أصلاً، الدين إنما عمله الدعوة فإن حَقَّق شيئاً على هذا الصعيد فبه وإلا فيقنع بذلك. وان كان دين حرب فلم لم يؤذن للمسلمين في الدفاع عن أنفسهم بالجهاد طوال الثلاثة عشر سنة في مكة؟ أم ان الإسلام دين صلح^(٢) كما هو دين حرب؟ فقد تجب الحرب في ظرف ولا تجب في ظرف آخر.

أيضاً فإننا نرى الرسول ﷺ في المدينة حارب المشركين في بعض الحالات وفي حالات أخرى حارب أهل الكتاب وفي حالات مغايرة عقد الصلح مع المشركين كما حدث في الحديبية حيث عقد صلحاً مع مشركي مكة وهم من ألدّ

١ - سورة الحج، الآية ٣٩.

٢ - المقصود بالصلح الأعم من عدم الحرب.

أصحابه ﷺ لم يكونوا يميلون إلى ذلك، كما أننا نرى عقد الرسول ﷺ المعاهدة مع اليهود لعدم تعرض أي من الطرفين للآخر. فعلى أي أساس يكون ذلك؟

عليّ ﷺ والصلح:

أمير المؤمنين ﷺ نراه أيضاً في موقع يحارب وفي موقع آخر لا يحارب. فبعد النبي الأكرم ﷺ تأتي مسألة الخلافة والآخرين يتسلطون عليها والإمام عليّ ﷺ لم يحارب هنا، لم يحمل السيف وكان يقول: قد أمرت بعدم الحرب ويجب أن لا أحارب، ومهما كان يرى من فظاظة من قبل الآخرين كان ﷺ يقابلهم باللين لدرجة أن السيدة الزهراء ﷺ سألته عن ذلك: «مالك يا ابن أبي طالب اشتملت شملة الجنين وقعدت حجرة الظنين؟»^(١) تقول له: مالك جالس في البيت جامعاً يداك ورجلاك كهيئة الجنين وهو في الرحم واعتزلت كالمتهم يخجل أن يخرج من البيت، أنت ذلك الرجل الذي تفر منه الأسد في ميادين القتال و تسلط عليك هذه المشاكل لماذا؟ فيبين لها عليّ ﷺ أن وظيفته كانت حينذاك تلك وهنا وظيفته هذه. وطوال مدة الـ ٢٥ سنة يتخذ عليّ ﷺ سبيل السلم وعندما يثور الناس ضد عثمان، الثورة التي أدت إلى مقتله لم يكن عليّ ﷺ جزءاً من الثائرين ولا من مؤيديهم بل توسط بينهم وبين عثمان وقد سعى كي تصل الأمور إلى أن تتحقق مطالب الثائرين وهي مطالب محقة ترجع إلى شكائهم من ولاية عثمان والمظالم

التي ترتكب من جهة ومن جهة أخرى ان لا يقتل عثمان. وهذا المعنى مذكور في نهج البلاغة والتاريخ ينطق به بشكل قطعي و مسلم به وكان ﷺ يقول لعثمان: أخاف أن تكون كبش هذه الأمة المقتول وإن قتلت فإن القتل باب سيفتح على هذه الأمة وستكون فتنة بين المسلمين لا تنطفئ أبداً بقي ﷺ حتى أواخر عهد عثمان واسوأ مراحل عهده، وسيطاً بين الثوار و عثمان.

في بداية خلافة عثمان عندما تطوى حيلة عبد الرحمن بن عوف بعد أن يبقى رجلا علي ﷺ وعثمان (طريقة علي ﷺ) كانت على ذلك النحو أيضاً. والقضية كانت ان ألف عمر شوري من ستة أشخاص لانتخاب خليفة) فانسحب ثلاثة منهم أحدهم لصالح أمير المؤمنين ﷺ وهو الزبير والثاني لصالح عثمان وهو طلحة والثالث لصالح عبد الرحمن بن عوف. بقي ثلاثة ولكن عبد الرحمن سحب ترشيحه فانحصر الخليفة بمن يعطيه عبد الرحمن صوته لأن الإمام علي ﷺ عنده صوتان وعثمان كذلك و عبد الرحمن كذلك و من يعطيه صوته عبد الرحمن يصبح ذا أربع أصوات فيكون الخليفة طبقاً للشورى التي شكّلها عمر، جاء عبد الرحمن إلى أمير المؤمنين ﷺ عارضاً عليه أن يعطيه رأيه شرط العمل بكتاب الله وسنة النبي وسيرة الشيخين فقال له ﷺ: «أبايعك على العمل بكتاب الله وسنة النبي وبما أعرفه». ثم ذهب الى عثمان قائلاً له: أبايعك على كتاب الله وسنة النبي وسيرة الشيخين فوافق عثمان الذي انحرف فيما بعد عن سيرة الشيخين أيضاً. حينها جاؤوا إلى علي ﷺ معترضين أن كيف جرى الأمر كذلك متسائلين عن الموقف الذي سيتخذه علي ﷺ فأجاب ﷺ:

«والله لأسالمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليّ

خاصة»^(١) أي ما دام الظلم واقعاً عليّ فقط لكن عمل المسلمين مستمر وذلك الذي يحلّ محلّي - وان كان بغير حق - سيّدبر الاعمال مع هذه العجالة فأنأ أسلم ولن أخالف.

بعد عثمان وفي زمان معاوية يأتي الناس لمبايعة عليّ ﷺ، حينئذ أمير المؤمنين ﷺ يعلن حرباً دموية ضدّ المتمرّدين الناكثين والقاسطين والمارقين، أصحاب الجمل وصفين والنهروان لكن بعد حرب صفين مع مسألة تمرّد الخوارج وخديعة عمرو بن العاص ومعاوية أذ رفعوا القرآن على رؤوس الرماح ودعيا لجعل القرآن بين الفريقين فصدقتهم جماعة وانقسم جيش أمير المؤمنين ﷺ فلم يكن أمام أمير المؤمنين خيار غير قبول التحكيم مع أنه ﷺ لم يكن يميل إلى ذلك. وهذا العمل يشبه الصلح. أي وافق على أن يحكم الحكمان وفق القرآن وشرع الإسلام الا أن عمرواً بن العاص ختم المسألة بنحو أفقد التحكيم قيمته حتى بالنسبة لمعاوية انتهت المسألة كلعبة فابو موسى خدع لكن الخديعة لم تنتج خلع عليّ ﷺ وإبقاء معاوية بل قد تمّت بشكل فهم الجميع أن هذين الحكّامين لم يتفقا وأحدهما احتال على الآخر، لأن أحدهما قال: قد خلعت كليهما والآخر يقول: صدق في خلع أحدهما وكذب في خلع الآخر فإنني لا أقبل به، وبدأ العراك والسبّ ولمّا ينزلا عن المنبر، والفضيحة ان لماذا خدعتني؟ وصار معلوماً أن القضية بلا معنى.

وكيف كان فقد وقعت مسألة التحكيم، لكن لماذا قبل عليّ ﷺ بها ولم لم يعط

أمراً بالاستمرار بالحرب حتى وان ضغط عليه الخوارج! فإن غاية ما سيحصل أن يستشهد كما حل مع ابنه الحسين عليه السلام وأيضاً تتساءل لماذا لم يقاتل الرسول ﷺ في البداية فأقصى ما سيحصل ان يستشهد كما حصل مع الإمام الحسين عليه السلام ولماذا صالح في الحديبية؟ فغاية ما هنالك القتل كما كان مع الإمام الحسين عليه السلام. كما تتساءل لماذا لم يحارب الإمام علي عليه السلام في ابتداء الأمر بعد وفاة النبي ﷺ و غاية ما في الأمر أن يقتل فليكن كما قتل الإمام الحسين عليه السلام ولماذا استسلم للتحكيم؟ وأقصى ما سيحدث أن يقتل فليكن كما كان الأمر مع الإمام الحسين عليه السلام.

هل هذا الكلام صحيح أم لا؟ ثم بعد ذلك نتحدث عن صلح الإمام الحسن عليه السلام وعن الأئمة الآخرين الذين عاشوا حالةً شبيهة بحالة صلح الإمام الحسن عليه السلام. فالمسألة إذن ليست مسألة صلح الإمام الحسن عليه السلام و حرب الإمام الحسين عليه السلام بل المسألة أوسع من ذلك و يجب أن تُبحث بشكل كلي.

وحتى تتبين لنا الكليات التي على أساسها ندخل في التفاصيل أقرأ لكم بعض ما ورد في كتاب الجهاد من الفقه.

موارد الجهاد في الفقه الشيعي:

نعلم ان في الإسلام جهاداً. والجهاد أقسام ومن أقسامه الجهاد الابتدائي وهو يعني انه إذا كان الآخرون (غير مسلمين) وبشكل خاص اذا كانوا مشركين فالإسلام يجيز للمسلمين مهاجمتهم للقضاء على الشرك وان لم يكن هناك عداوة سابقة. وشرط هذا الجهاد أن يكون المجاهد بالغاً عاقلاً حرّاً (أي ليس عبداً) رجلاً فلا يجب على النساء كما يشترط إذن الإمام أو نائبه الخاص. ففي نظر الفقيه

الشيعي هذا النوع من الجهاد لا يجوز إلا في حضور الإمام عليه السلام أو من يعينه الإمام عليه السلام بشخصه. فلا يجوز للحاكم الشرعي في هذا الزمان إعلان هذا الجهاد.

القسم الثاني: هو الجهاد عندما يتعرض المجتمع الإسلامي لهجوم الأعداء فهنا الجهاد يكون دفاعياً، أي يكون العدو قاصداً للاستيلاء على البلاد الإسلامية كلها أو بعضها أو يريد الاستيلاء على الأفراد يأخذهم أسرى وان لم يرد الاستيلاء على الأرض أو أنه يهاجم يريد إتلاف أموال المسلمين أو يغير ليلاً أو بالشكل المعروف في هذه الأيام يريدون أخذ المواد الأولية من معادن وغيرها يريدون أخذها بالقوة أو يريد العدو الاعتداء على حرمة المسلمين و شرفهم على أولاد وذرية المسلمين. وبشكل عام ان تتعرض الأموال أو نفوس أو الأراضي أو أي أمر من الأمور المحترمة عند المسلمين لهجوم العدو حينئذٍ يجب على كل مسلم رجلاً كان أم امرأة حراً كان أم عبداً أن يشارك في هذا الجهاد^(١).

هذا الذي ذكرته هو كلام الفقهاء، كلام المحقق^(٢) والشهيد الثاني^(٣) الذي أنا بصدد ترجمته.

المحقق عنده كتاب اسمه الشرايع و هو من متون الفقه الشيعي المسلمة وقد

١ - ولعله أيضاً يجوز لغير البالغ المشاركة في هذا الجهاد.

٢ - المحقق الحلّي من العلماء المعروفين له كتب قيّمة في الفقه منها شرايع الإسلام ويعتبر من الكتب التي يفتخر الدهر بمثلها وقد تصدّى كثير من العلماء لشرحه كما جعل مادة دراسية في الحوزات العلمية.

٣ - الشهيد الثاني زين الدين الجبعي العاملي.

شرحه الشهيد الثاني في كتاب «مسالك الأفهام» و هو شرح ممتاز و الشهيد الثاني أيضاً من أكابر و أعظم الدرجة الاولى من فقهاء الشيعة.

هنا يقولان ان إذن الإمام ليس شرطاً. و مورد هذا النوع من الجهاد نظير الوضع الذي نحن عليه الآن فيما قامت به إسرائيل من احتلال لأرض المسلمين فهنا يجب على المسلمين رجالاً و نساءً أحراراً و عبيداً قرييين أم بعيدين أن يهبوا للمشاركة في هذا الجهاد المسمى بالدفاع و هو لا يتوقف بأي وجه على إذن الإمام و قولنا «و لا يختص بمن قصدوه من المسلمين بل يجب على من علم بالحال النهوض إذا لم يعلم قدرة المقصودين على المقاومة»^(١) فكل من علم بالأمر عليه واجب الدفاع الا إذا علم أن المقصودين بالهجوم قادرين على الردّ و إلا فيجب و كلما كان الانسان أقرب كلما كان الوجوب عليه أكد.

القسم الثالث: و هو نظير الجهاد لكنه ليس جهاداً عاماً بل خاصاً و تختلف أحكامه عن أحكام أنواع الجهاد الأخرى فالجهاد العام له أحكامه الخاصة مثل أن من يقتل فهو شهيد لا يغسل و لا يكفن بل يدفن بشيابه مع الدم.

دم الشهداء أولى من الماء و هذا الجرم أولى من مئة ثواب^(٢) هذا النوع الثالث يصطلح عليه بالجهاد لكن ليست أحكامه أحكام الجهاد نعم أجره أجر الجهاد و الفرد فيه شهيد. و هو أن يكون الفرد في غير الإسلام بل في دار

١- مسالك الأفهام ج ١ ص ١١٦.

الكفر و تهاجم تلك الدار من كفّار آخرين بحيث يكون هناك خطر عليه أيضاً لوجوده بينهم (كما لو فرضنا وجود شخص في فرنسا و وقعت الحرب بين ألمانيا و فرنسا) فما هو وظيفته حينئذٍ مع كونه ليس من جماعتهم؟ وظيفته أن يحفظ نفسه بأي شكل من الأشكال و إذا توقف حفظ حياته على أن يشارك في الحرب فعليه المشاركة لا مواساة للقوم الذين هو بينهم بل دفاعاً عن نفسه فإن قتل فأجره أجر شهيد و هناك موارد أخرى في الإسلام يعتبر الفرد فيها شهيداً لكن لا تترتب عليه أحكام الشهيد كالدفن بثيابه بدون غسل و كبعض الأحكام الأخرى. و من تلك الموارد ان يتعرض شخص لهجوم عدو يريد نفسه أو ماله أو عرضه و ان كان ذلك العدو مسلماً كأن يكون في بيته نائماً فيأتيه لصّ (حتى و ان كان اللص مسلماً بل من الممكن - على قول الحاج كلباسي - أن يكون من مصليّ صلاة الليل)^(١) و سطا على البيت يريد سلب المال فهل يمكن للإنسان هنا أن يدافع عن ماله؟ نعم. و قد تقولون يحتمل أن يقتل و لو كانت نسبة الاحتمال ١٠ بالمئة فإن حفظ الروح واجب أيضاً مع هذه النسبة. لكن نقول حيث كان المقام مقام دفاع عن المال فإنه يمكنه أن يدافع و يقدم و ان كانت النسبة ٥٠ بالمائة. أما إذا كان الخطر متوجهاً لغير المال كالنفس أو العرض فهنا يجب عليه الدفاع و ان كان احتمال قتله مئة بالمئة وليس له أن يقول ان المعتدي يريد قتلي فيتردد؛ كلّاً. بل عليك أن تقتله أنت ان كان قاصداً لذلك، عليك أن تقاوم لا أن تقول لا أقدم على قتله و ان كان هو يريد قتلي.

١ - إشارة الى تلك القصة التي جاء فيها انه قيل للحاج كلباسي: سطا لصّ على البيت الفلاني في نصف الليل فقال: فمتى صلى ذلك اللصّ صلاة الليل؟

قتال أهل البغي

عرضنا ثلاثة أنواع من الجهاد. وهاهنا نوع رابع يصطلىح عليه بـ «قتال أهل البغي» و معناه أنه إن وقعت حرب داخلية بين طائفتين من المسلمين تريد إحدى الطائفتين أن تبغي على الأخرى فعلى جميع المسلمين أن يسعوا أولاً إلى الصلح بينهما و يتوسطوا للمصالحة بين الطرفين فإن عاند أحدهما و لم يقبل الصلح فعلى المسلمين أن يدخلوا الحرب لصالح الفئة المظلومة. هذا أمر قد نصّ القرآن عليه: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(١) و أولى من ذلك ما لو خرج قوم ضد الإمام العادل فلا بدّ من محاربتهم لأنّه إمام عادل و إمام بالحق قاموا ضده و الغرض أن الحق معه لا معهم.

و من موارد الجهاد أيضاً - و هو إلى حدّ ما محلّ خلاف بين الفقهاء - الأمر بالمعروف و النهي المنكر إذا أدّى إلى إسالة الدم. و هي مرتبة من مراتب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

الصلح في الفقه الشيعي

من المسائل المطروحة في كتاب الجهاد مسألة الصلح و التي يطلق عليها بحسب الاصطلاح الفقهي الهدنة أو المهادنة، و المهادنة تعني المصالحة، و الهدنة

تعني الصلح. فما معنى الصلح؟ هو اتفاق على عدم الاعتداء، اتفاقية عدم حرب وما يقال له اليوم التعايش السلمي بين الأطراف. هنا أيضاً أذكر عبارة المحقق في الشرايع: «المهادنة وهي المعاهدة على ترك الحرب مدة معينة».

ففي الفقه هذه المسألة المطروحة أن الطرف الآخر ان كان من أهل الحرب كالمشرك فإن عقد الصلح معه ممكن لكن لا بد من تحديد مدة فلا يجوز عقده إلى مدة مجهولة و يدّعي بأننا على عجلة من أمرنا، لا لا يصح الاستعجال، بل يجب تعيين المدة ستة أشهر، سنة، عشر سنين أو أكثر. كما عقد النبي ﷺ في الحديبية صلحاً لمدة عشر سنين. ثم يقول «وهي جائزة إذا تضمنت مصلحة للمسلمين»^(١) وقد ذكرنا أن موارد الجهاد ما إذا هاجم العدو أرض المسلمين فإن تحرير الأرض واجب على كل حال لكن لو فرضنا أن المصلحة تقتضي عقد الصلح مع ذلك المحتل فهل نعقد الصلح أم لا؟ يقول إذا اقتضت المصلحة ذلك فليعقد الصلح لكن ليس إلى أمد غير محدود بل لمدة معينة إذ لا يمكن أن تكون المصلحة قاضية بالإبقاء على الاحتلال إلى أجل غير محدد. وإذا كانت المصلحة تعني ترك الخصام إلى مدة معينة فكيف تكون مصلحة المسلمين قاضية بذلك؟ يقول: «أما قلّتهم عن المقاومة» فعندما لا يملكون القدرة، والحرب يراد بها تحقيق هدف معين فلا بدّ من الصبر حتى تحصل القدرة «أو لما يحصل له الاستظهار» أي يرجى في مدة الصلح كسب القوة أي التخطيط لتحصيل الدعم. «أو لرجاء الدخول في

١ - فليس الأمر أن الحرب واجبة دائماً و الصلح حرام دائماً، لا الصلح جائز بل أن الشهيد يقول: معنى الجواز هنا أنه ليس حراماً فقد يجب في بعض الموارد.

الإسلام مع التبرّص» أي يؤمل أن يدخل المحتل في دين الإسلام وهذا عندما لا يكون المهاجم مسلماً فنعتقد الصلح ونسعى لهزيمته روحياً كما حصل في صلح الحديبية على ما سأذكر فيما بعد «و متى ارتفع ذلك وكان في المسلمين قوة على الخصم لم يجز».

إذا كان هذا بحثاً في أمر الصلح المسمّى بالمهادنة و رأينا انه في نظر الفقه الإسلامي يجوز الصلح في ظروف خاصة سواء أكان الصلح إتفاقية أم كان مجرد ترك حرب فهنا أمران إذ تارة نطلق الصلح و نريد به عقد إتفاقية صلح و ذلك عندما تقابل قوة قوة أخرى فيعقدان بينهما عقد الصلح كما فعل النبي ﷺ بل والإمام الحسن عليه السلام أيضاً. و تارة أخرى نطلق الصلح و نريد به اختيار درب المسالمة و عدم الحرب و قد ذكروا أنه عندما لا يكون هناك قدرة على المقاومة ولا فائدة من الحرب فلا نحارب و على هذا الأساس لم يحارب المسلمون في صدر الإسلام، فقد كان المسلمون حينذاك قلةً و لو أرادوا الحرب لاقتلعت جذروهم و لم يكن ليبقى لهم أثر لا لهم ولا لعملهم. و قد ذكرنا أن المصلحة في مدة ترك الحرب قد تكون تحصيل الدعم أو تحصيل تأثير معنوي على الطرف الآخر. هنا يصل الكلام إلى صلح الحديبية الذي كان على ذلك الأساس كما أن صلح الإمام الحسن عليه السلام كانت المصلحة فيه أكثرها من هذه الجهة.

صلح الحديبية: عقد النبي ﷺ في زمانه صلحاً أوجب حيرة أصحابه بل و انزعاجهم لكنهم أدركوا صوابية العمل بعد سنتين من الصلح. ففي السنة السادسة للهجرة بعد حرب بدر تلك الحرب الدموية التي أوجدت أعظم الضغائن لدى

قريش على النبي ﷺ و بعد معركة أحد استطاع المشركون فيها إلى حدّ ما الانتقام فغضب المسلمون من المشركين غضباً شديداً. و على كل حال، كان النبي في نظر قريش أعدى أعدائها كما ان قريشاً كانت في نظر المسلمين أعدى أعدائهم، ففي السنة السادسة و في شهر ذي القعدة و هو أحد الأشهر الحرم التي كانت سنة الجاهلية فيها وضع السلاح و كان الأعداء في غير الأشهر الحرم ان نال أحدهم من الآخر يبيده لكن في الأشهر الحرم كانوا يمتنعون عن أي عمل من هذا القبيل احتراماً لها. فأراد النبي ﷺ الاستفادة من هذه السنّة و الذهاب إلى مكة للعمرة فقط لا يقصد بذلك أي أمر آخر فأعلن عن نيته و تحرك يرافقه ٧٠٠ شخص على رواية أو ١٤٠٠ على رواية أخرى و عندما خرجوا من المدينة أحرموا و حيث ان حجّهم كان حجّ قران كان عليهم سوق الهدي أي يعينونه للفداء و يعلمونه بعلامة كأن يقلدوه بحذاء و كان هذا أمراً متبعاً سابقاً فكان كل من يرى ذلك يعلم ان هذا الحيوان معيّن للفداء فأمر النبي ﷺ الذين معه أن يعلموا ٧٠٠ من الإبل يضعونها أمام القافلة حتى يعلم من يرى أننا نريد الحج و لسنا طلباب حرب. لباسهم كان لباس الحجيج. و حيث أنّ الأمر لم يكن سرياً و صل الخبر الى قريش فخرجوا رجالاً و نساءً كباراً و صغاراً من مكة و أقسموا أن لا يؤذن لمحمد ﷺ بدخول مكة. و أعلنوا عن استعدادهم للحرب مع ان الشهر من الأشهر الحرم و هذا منافٍ حتى لقانون الجاهلية. و عندما اقترب النبي ﷺ من معقل قريش استقر مكانه و تتالت الرسل و الوفود من الطرفين. و في ابتداء الأمر أرسلت قريش عدة مبعوثين للاطلاع على ما يريد النبي فكان ﷺ يقول نريد الحج ثم نرجع و كان كل مبعوث يعود إلى قريش يطمئنهم أن النبي لا يريد الحرب فرفضوا، حينئذٍ قرر

المسلمون ومعهم النبي ﷺ أننا يجب أن ندخل مكة وأن أدى بنا ذلك إلى الحرب لسنا طلباً حرب لكن ان حاربونا حاربناهم وكانت بيعة الرضوان التي بايع فيها المسلمون النبي ﷺ على ذلك إلى أن جاء ممثل من طرف قريش وأعلن عن استعداد قريش لعقد اتفاقية فأبدى النبي ﷺ استعداده أيضاً والكلمات التي كان ﷺ يطلقها كانت سلمية، فقال «ويح قريش أكلتهم الحرب»^(١) ماذا يريدون وقد قضت عليهم الحرب فليخلوا بيني وبين الناس فإما أن أموت فيتحقق مرادهم على يد غيرهم أو انتصرت فتنتفع قريش لأنني منهم فيفتخروا بذلك». فلم يفد هذا الكلام وطلبوا عقد صلح فأرسلوا سهيلاً ابن عمرو وتم عقد الصلح على أن يعود النبي ﷺ هذه السنة إلى المدينة وله الحق في أن يأتي السنة المقبلة ويبقى ثلاثة أيام في مكة، يعتمر فيها ثم يعود وكان في الصلح بنوداً تعتبر بحسب الظاهر في ضرر المسلمين. منها انه إذا التحق أحد المشركين - من الآن - بالمسلمين فلقريش الحق في استرداده أما إذا أحد من المسلمين التحق بقريش فليس للمسلمين حق استرداده. بعض البنود كانت ثقيلة جداً. لكن في المقابل تحرر المسلمون في مكة وخرجوا من الضغط الذي كانوا يعانونه وهمة النبي ﷺ كانت في ذلك ولذا قبل بكل الشروط الصعبة. وقع الصلح والمسلمون منزعجون يقولون: يا رسول الله هذا عار علينا أتينا مكة ثم نعود أفيصح ذلك؟ لا بدّ من الذهاب فأبى عليهم النبي ﷺ ذلك فالاتفاق قد تمّ، ثم أمر بأن يضحي بالأضاحي حيث هم ثم قصّ شعره ﷺ

١- الويح: تطلق في مقام البهجة والانشراح، والويل: تطلق في مقام الشدة والضيق وليس في اللغة الفارسيّة ما يقابل كلمة الويح، بل «واي» ان اطلقت في مقام السرور كانت بمعنى الويح.

علامة على الخروج من الإحرام. ففي ابتداء الأمر لم يرد المسلمون ذلك لكنهم وافقوا عليه بانزعاج شديد وكان عمر بن الخطاب أشدهم استياءً جاء إلى أبي بكر يقول له: أو ليس هذا نبياً؟ قال: نعم. قال: فما الذي حصل؟

كان النبي قد رأى رؤيا أنه سيدخل مكة وكان قد أخبر المسلمين بها، في الحديبية جاؤوا إليه يسألونه عن الرؤيا ودخول مكة، فقال: نعم، قالوا: فما الذي حصل ولماذا لم يتحقق المنام؟ قال أنا لم أرى في المنام ولم أقل أننا سندخل مكة هذه السنة أنا رأيت ورؤياي صادقة أننا سندخل مكة: قالوا: فما هذا الصلح الذي يقضى بأنه ان جاء أحدهم إلينا فلهم الحق في استرداده وليس لنا مثل هذا الحق؟ فقال لهم: إذا جاء أحد منهم إلينا مسلماً فإننا سنطلب منه الذهاب و ليتحمل المسلمون في مكة الآن حياتهم في ظل الاستضعاف لعل الله يجعل لهم مخرجاً وفي ظل ظروف صعبة أرجع عليه السلام أفراداً. سهيل بن عمرو المتقدم ذكره كان له ولد مسلم في جيش المسلمين فأسلم ابنه الآخر وجاء إلى المسلمين وما كاد يصل حتى جاء سهيل يطلبه بناء على الاتفاقية فطلب النبي ﷺ من ابن سهيل واسمه أبو جندل الذهاب قائلاً: إن شاء الله يجعل لكم أيها المستضعفون مخرجاً، فاضطرب ونادى المسلمين أن لا تدعوهم يردوني إلى الكفار، يريدون إخراجي من ديني فتأذى المسلمون و طلبوا من الرسول ﷺ الإذن بعدم السماح بأخذه فقال: بل يذهب هو أيضاً. والنتيجة هي أنه بمجرد عقد الصلح و صيرورة المسلمين أحراراً، أحراراً في تبليغ ونشر الدعوة فقد دخل في الإسلام خلال سنة أو أقل من قريش بمقدار يفوق عدد الذين أسلموا خلال عشرين سنة. ثم تطورت الأمور لصالح المسلمين بحيث اضطرت قريش للتنازل حتى عن ذلك البند وأحدثت هيجاناً

عملياً ومعنوياً في مكة.

وهنا قصة لطيفة ينقلها التاريخ وهي أن رجلاً اسمه أبو بصير من مكة شجاع وقويّ قد أسلم وجاء المدينة فأرسلت قريش رجلين في طلبه من الرسول ﷺ طبقاً للإتفاق، فقال لهما الرسول ﷺ: وهو كذلك، ومهما أصرّ أبو بصير على أن لا يؤذن بأخذه «فإنهم سيردونني عن ديني» لم يوافق الرسول ﷺ وقال: هناك إتفاق بيننا، وديننا لا يسمح بنقضه فلا بدّ من الذهاب وسيجعل الله لك مخرجاً وعاد مع الرجلين اللذين كانا مسلحين بينما كان هو أعزل. عندما وصلوا إلى ذي الحليفة حيث مسجد الشجرة تقريباً وهو موضع الإحرام للحج، يبعد عن المدينة سبعة كيلومترات استراحوا وقال أبو بصير لأحدهما الذي كان السيف بيده ان سيفك جيّد أرني أنظر إليه فأعطاه إياه فما أن أخذه حتى ضربه به وقتله وقرّ الآخر كالبرق عائداً إلى المدينة فسأله النبي ﷺ عن الخبر فأخبره أن صاحبه قتل صاحبي فلم تطل المدة حتى جاء أبو بصير قائلاً يا رسول الله قد وفيت أنت بالإتفاق وهو يقضي أنه إن جاء أحد إليك تسلّمه إليهم وقد سلّمتني إليهم فدعني أنصرف كما أرى وانطلق إلى ساحل البحر الأحمر وأخذ نقطة جعلها مركزاً له. وما أن علم المسلمون الذين كانوا يعانون الالم والأذى والضرب، أن النبي ﷺ الله عليه وآله لا يجير أحداً لكن أبا بصير قد اتخذ ساحل البحر مركزاً اتجهوا نحوه الواحد تلو الآخر حتى بلغ عددهم ٧٠ شخصاً وشكّلوا قوة وكانت طريق قريش من هناك فلم تعد تستطيع الذهاب والإياب فكتبوا إلى النبي ﷺ يرجون منه إعادة أولئك إلى المدينة متخليين عن تلك المادة من الإتفاقية.

وعلى كل حال فإن إتفاقية الصلح كانت تهدف إلى تهية الناس روحياً

للأعمال اللاحقة وهذا ما حصل وقد ذكرنا أن المسلمين قد تحرّروا في مكة و صار الناس - بعد هذه الحرية - يدخلون في الإسلام جماعات جماعات و كل الموانع ارتفعت.

حان الآن البحث عن ظروف زمان الإمام الحسن عليه السلام و ظروف زمان الإمام الحسين عليه السلام فلنر هل هي نوعان من الظروف بحيث لو فرضنا أن الإمام الحسن كان في موقع الإمام الحسين عليه السلام فهل سيأتي بما أتى به الإمام الحسين عليه السلام؟ أو لو فرضنا أن الإمام الحسين كان مكان الإمام الحسن عليه السلام فهل سيأتي بما أتى به الإمام الحسن عليه السلام أم ليس الأمر كذلك؟ لكن من المسلّم به أن الظروف مختلفة.

الآن أشير فقط إلى هذه النكته وهي أننا لو سألنا هل الإسلام دين صلح أم دين حرب؟ فبماذا نجيب؟ فإذا رجعنا إلى القرآن نرى تشريع حرب كما نرى تشريع صلح فالآيات التي تدعو للحرب مع الكفار و المشركين كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾^(١) وغيرها من الآيات كما ان هناك آيات في الصلح كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾^(٢) و في آية أخرى يقول: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾^(٣) إذن الإسلام دين أيّ منهما؟ الإسلام لا يجعل الصلح قاعدة في كل الظروف كما أنه لا يقبل الحرب دائماً بل هما تابعا للظروف و الأهداف، و المسلمون سواء كانوا في زمن الرسول صلى الله عليه وآله أو في زمن أمير المؤمنين أو في زمن الإمام الحسن أو في عصر الإمام الحسين أو الأئمة الآخرين عليهم السلام أو

١ - سورة البقرة الآية ١٩٠.

٢ - سورة الأنفال الآية ٦١.

٣ - سورة النساء الآية ١٢٨.

في زماننا ففي كل زمان و على أي حال يجب أن يكون سعيهم لتحقيق الهدف وهدفهم الإسلام و حقوق المسلمين، يجب أن يأخذوا الظروف و الأوضاع بعين الاعتبار فإن كانوا بالقتال يمكنهم تحقيق الهدف بشكل أفضل فعليهم سلوك هذا الطريق و إذا رأوا أحياناً أن الهدف يمكن تحقيقه بالصلح بشكل أفضل فعليهم اختيار هذا السبيل.

ففي الأصل ليس صحيحاً إما الحرب و إما السلم بل لكلٍ شرطه الخاص و ظرفه.

و صلى الله على محمد و آله الطاهرين



سؤال و جواب:

سؤال: في الفقه الشيعي لا يصحّ البحث: هل ان صلح الإمام الحسن عليه السلام جائز أم غير جائز؟ لان الفقه الشيعي يعتمد على رؤية الأئمة عليهم السلام و في كل موضوع هناك دائماً أصول تتفرع منها سائر القضايا. ففقه المحقق أو غيره من علماء الشيعة في الأصل مبني على رؤية الأئمة عليهم السلام.

الجواب: تنبيه مفيد جداً و في محله كما أنه صحيح الا ان بحثنا ليس من جهة ان الإمام الحسن عليه السلام قد اتبع الفقه الشيعي أم لا، بل البحث من جهة ان القواعد الفقهية المذكورة هل تتوافق مع المنطق أم لا؟ فقد رأيت ان نبحت في المسألة بقطع النظر عن أي بحث آخر فنطرح القواعد الفقهية ثم نرى هل تنسجم مع المنطق أم لا

تنسجم (لأن الإنسان عندما يطرح المسألة بصورة كلية فهذا يساعده على علاج المسألة في الموارد الخاصة و نحن لا نريد في بحثنا الاستناد إلى التعبد. وفي رأينا ان ما نملكه من فقه من مسائل هي مسائل منطقية سواء استفدناها من سيرة الأئمة عليهم السلام أم من مكان آخر).

فنحن نلاحظ موارد مشروعية الجهاد ثم نتساءل هل هناك مجال للإشكال فيها أم لا؟ وكذلك موارد مشروعية الصلح فهل هي منطقية أم ليست كذلك؟ أردنا أن نتفهم الأمور بهذه الطريقة و الجهاد المشروع موافق للمنطق كما ان الصلح حيث يشرع هو كذلك. و بعد أن قبلنا ذلك منطقياً نبحت في إن ما قام به الإمام الحسن عليه السلام هل كان في ظرف يقتضي الحرب لكنه صالح و ان ما قام به الإمام الحسين عليه السلام هل كان في ظرف يتطلب صلحاً لكنه جاهد؟ (لأنه في الإسلام أساسان الجهاد و الصلح) أم لا بل الإمام الحسن عليه السلام صالح في ظرف يقتضي صلحاً و الإمام الحسين عليه السلام جاهد في ظرف يقتضي جهاداً. وكذلك الحال بالنسبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام و النبي صلى الله عليه وآله و الأمر مقطوع به بالنسبة لهما. خصوصاً بالنسبة للنبي صلى الله عليه وآله لأنه صالح في مورد و حارب في مورد آخر.

سؤال: هل يختلف فقه إخواننا السنة عن فقه الشيعة في أمر الجهاد أم لا؟ وإن كان هناك اختلاف فما هو؟

و سؤال آخر: ذكرتم أن الجهاد بشكل عام مورده التسلّط على المال أو النفس. فهل التسلّط الفكري ملحوظ هنا و في هذه الصورة ما هو نوع الجهاد؟

الجواب: بالنسبة الى فقه أهل السنة لا بدّ أن أراجع الموضوع ثم أعرضه عليكم لكن ما أعلمه بالإجمال أن شروط الجهاد عندهم لا تختلف كثيراً عنها عندنا و لو

كان هناك خلاف ففي بعض التحديدات غير المعتبرة عندهم من جهة أننا نشترط في بعض الموارد وجود إمام معصوم أو نائبه الخاص و هذان الشرطان منفيان عندهم.

أما بالنسبة للسؤال الثاني فالمسألة لم تكن مطروحة في الفقه سابقاً لأنه أمر ظهر حديثاً فهنا لا بدّ من ملاحظة القواعد وإلا فالمسألة لم تكن في السابق مذكورة.

الجلسة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد: البحث حول صلح الإمام الحسن عليه السلام. وقد تعرّضنا في الجلسة السابقة لجملة من الكليات في مسألة الحرب و الصلح من وجهة نظر الإسلام وبشكل خاص من وجهة نظر الفقه الشيعي وذكرنا -و التاريخ دالّ عليه - أن الصلح جائز للمسلمين في ظروف خاصة بل قد يكون لازماً واجباً وقد أتى به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في بعض المواقع بل عقده مع المشركين وطبعاً حارب في مواقع أخرى. ثم ذكرنا بعض الكليات في الفقه الإسلامي و تعرّضنا لما يطلق عليه الحسن العقلي و انه من غير المعقول ان نعتبر ان الدين أو النظام (مهما كان اسم هذا النظام) انه كان يجيز قانون الحرب فليس معنى ذلك انه لا يجيز الصلح في أي حالة من الحالات و في أي ظرف من الظروف و العكس ايضاً خطأ بأن ندّعي أننا أنصار الصلح و ضد الحرب دائماً. فالحرب عندما تكون مقدمة للصلح أكمل و الصلح الذي يهيئ فرصة الحرب يهيئ فرصاً أكثر للفوز و النصر: هذه كليات تعرّضنا لها في الجلسة السابقة و قد وصل البحث إلى الحديث عن زمان الإمام الحسن عليه السلام و انه في أي وضع كان و الظروف التي في ظلها صالح عليه السلام و في الواقع كان عليه السلام مضطراً إلى الصلح، و الحديث عن وجه اختلاف هذه الظروف عن ظروف الإمام الحسين عليه السلام حيث كان عليه السلام رافضاً للصلح. و التفاوت كبير جداً و سنبدأ بعرض

وجوه الاختلاف و أكل إليكم أيها السادة الحكم.

الفوارق بين ظروف الإمام الحسن و ظروف الإمام الحسين

الفارق الأول: هو أن الإمام الحسن كان على مسند الخلافة و معاوية كان والياً، و هو حتى ذلك الوقت لم يكن يسمي نفسه خليفة و لم يكن يتعامل معه الناس على أنه أمير المؤمنين و كان عنوانه انه شخص طاغ معارض قام في زمان أمير المؤمنين تحت شعار رفض خلافته لأن علياً آوى قتلة عثمان الذي كان خليفة بالحق للمسلمين بل كان يتهم علياً بالمشاركة في قتل خليفة المسلمين و يتهم علياً بأنه ليس خليفة بالحق. معاوية على أساس أنه معارض و فئة معارضة ثار و على أساس مواجهة حكومة غير حقّة لوّث يدها بدم الحكومة السابقة. فإلى ذلك الوقت لم يعلن نفسه خليفة و لم تعلنه الناس كذلك. كان يقول بكل بساطة إننا قوم لسنا مستعدين للانقياد إلى تلك الخلافة. انتقلت الخلافة إلى الإمام الحسن بعد أمير المؤمنين و قوة معاوية تزداد يوماً - بعد يوم - ولأسباب تاريخية خاصة كان الوضع الداخلي أثناء خلافة أمير المؤمنين والذي ورثه الإمام الحسن يزداد ضعفاً إلى درجة أن يعلن معاوية التعبئة العامة و الاستعداد لفتح العراق، بعد ١٧ يوماً من استشهاد أمير المؤمنين و هي المدة التي اقتضاها وصول الخبر سريعاً إلى الشام.

و هنا نرى خصوصية وضع الإمام الحسن فهو خليفة ثار عليه باغ و طاغ فلو قتل الإمام الحسن في هذه الحال يعني مقتل خليفة المسلمين و هزيمة لمقام الخلافة. و مقاومة الإمام الحسن ستؤدي به الى القتل كما أدت مقاومة

عثمان إلى مقتله و مقاومته ليست كمقاومة الإمام الحسين عليه السلام لأن الإمام الحسين عليه السلام كان وضعه وضع رجل معارض يقف في وجه الحكومة الموجودة^(١) فإن قتل في هذا الحال فقتله عليه السلام مبعث فخر كما صار فعلاً كذلك. عارض الوضع الموجود والحكومة الفعلية و شيوخ الفساد لانهم ليسوا أهلاً للحكم، و طوال عشرين سنة يبينوا أنفسهم من أي صنف من الناس هم. و قد ثبت عليه السلام على كلامه رغم ما تعرّض له من ضغوط الى أن قتل لهذا كانت ثورته باعثة على الفخر. وضع الإمام الحسن عليه السلام من هذه الجهة معاكس تماماً لوضع الإمام الحسين عليه السلام أي أحدهما في مركز الخلافة له من يعارضه وإذا قتل فقد قتل خليفة للمسلمين و هذه بحدّ ذاتها مسألة مهمة، حتى الإمام الحسين عليه السلام كان ليحترز عن أن يقتل من هو في مقام النبي و من استلم خلافته عليه السلام و نرى ان الإمام الحسين عليه السلام سعى إلى أن لا يقتل في مكة، لماذا لأن ذلك موجب لهتك مكة ما دام سيقتل عليه السلام على كل حال فلماذا يقتل في حرم الله و بيت الله المستلزم لهتك حرمة البيت أيضاً. كما نرى ان أمير المؤمنين عليه السلام عندما ثار الثائرون^(٢) ضد عثمان سعى بشكل مكثّف كي تتحقق مطالبهم من دون أن يقتل عثمان (و هذا المعنى موجود في نهج البلاغة) دافع عن عثمان إلى حدّ يصفه عليه السلام بقوله: «و لقد دافعت عن عثمان حتى خشيت أن أكون

١ - لا أريد أن أتعرض من جهة الفرق هذا بأن الإمام الحسين عليه السلام كان معارضاً محقاً و الإمام الحسن عليه السلام كان إماماً بالحق و معارضه يعترض بالباطل. إنما أتعرض للمسألة من الجهة الاجتماعية.

٢ - وهي ثورة حقّة و اعتراضاتهم صحيحة (كما أن أهل السنّة يوافقون على صحتها) و لهذا أكرمهم الإمام علي عليه السلام في خلافته و كان من جملة الثائرين و قتلة عثمان محمد بن أبي بكر و مالك الاشتر و قد غدوا من الخواص المختصّين بأمير المؤمنين عليه السلام كما كانوا كذلك من قبل.

آثماً»^(١) فهل دافع عن عثمان لأنه عليه السلام كان من أنصاره؟ لا، بل كان ذلك الدفاع الشديد لأجل ما قاله لعثمان «أخشى أن تكون الخليفة المقتول». و قتل خليفة المسلمين مشكلة كبرى في العالم الإسلامي وهذا عدم احترام لمركز الخلافة لهذا كان عليه السلام يقول لعثمان: مطالب هؤلاء مشروعة فحقق لهم مطالبهم وليعودوا وأمير المؤمنين عليه السلام لم يرد الطلب من الثوار ترك معارضتهم وترك مطالبهم المحقة مع معاندة عثمان إذ إن هذا يوجب أن تزداد يد الخليفة بسطة وتزداد المظالم، لكنه لم يرد أيضاً أن يقتل عثمان وهو في مركز الخلافة وأخيراً حدث ما لم يكن يودّ الإمام عليه السلام حدوثه.

والنتيجة ان الإمام الحسن عليه السلام إذا قاوم فإن النتيجة النهائية التي كانت ستحصل حسب ما تدلّ عليه ظواهر التاريخ هي القتل لكن مقتل إمام وخليفة في مركز الخلافة أما مقتل الإمام الحسين عليه السلام فهو مقتل رجل نائر.

هذا أحد الفوارق بين ظروف الإمام الحسن والإمام الحسين عليه السلام.

الفرق الثاني: وهو أن قوات أهل العراق - يعني الكوفة - وإن كانت ضعيفة إلا أنها ليست إلى حدّ الضعف الكلّي بحيث إذا أراد معاوية فتح الكوفة فإنه سيستطيع من تحقيق ذلك بسهولة فتح النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لمكة - من دون تشبيه - وإن كان كثيراً من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام قد خانوه والمنافقون قد كثروا حتى اضطرب وضع الكوفة بسبب علل ومجريات تاريخية معيّنة. وإحدى إفرازات ذلك الوضع ظهور الخوارج الذي يعلّله أمير المؤمنين عليه السلام بالفتوحات غير المنظّمة. تلك

الفتوحات التي توالى من دون أن يتعلّم الناس و يتربّوا التعليم و التربية الكافيين كما ذكر ذلك في نهج البلاغة «قوم لم يتعلموا أو يتأدّبوا»، لم يعرفوا الإسلام، و لم يتعرّفوا على عمق التعاليم الإسلامية، جاؤوا واختلطوا بالمسلمين بل ادّعوا أنهم أكثر إسلاماً من غيرهم.

و على كل حال فقد تعددت الفئات في الكوفة. و يجب أن نعترف أن الذي لا يتّقى بأصول أخلاقية و إنسانية و لا يرتبط بدين و إيمان فإن يده مبسوطة أكثر من المرتبط بهذه الأمور و أمثالها.

جعل معاوية في الكوفة معقلاً صنعه بالمال و كان يكثر من بثّ العيون في الكوفة لبيذلوا المال و يشتروا الضمائر من جهة، و لينشروا الشائعات التي تضعف المعنويات من جهة أخرى، هذا كلّ من ناحية.

و في الوقت نفسه لو أراد الإمام الحسن عليه السلام الوقوف لكان بإمكانه تشكيل جيش لمواجهة معاوية، يصل تعداده على الأقلّ إلى ثلاثين أو أربعين ألف شخص بل لعلّه - كما ذكر في التاريخ - كان بإمكانه تأليف جيش يصل عدد أفراده ألف يتمكن معه من مواجهة جيش معاوية الجرّار و الذي كان يصل عدد أفراده إلى ١٥٠ ألفاً. لكن ماذا ستكون النتيجة؟ في صفّين و عندما كانت قوّة العراق أكثر وأحسن حالاً حارب أمير المؤمنين عليه السلام ١٧ شهراً و عندما دنت ساعة الهزيمة لمعاوية نفّذ مكيدته برفع القرآن على رؤوس الرماح. فلو أراد الإمام الحسن عليه السلام الحرب لكانت حرباً طويلة الأمد بين طائفتين عظيمتين من مسلمي الشام و العراق و سيكون ضحيّتها عشرات الألوف من الطرفين من دون أن تكون هناك ثمرة للحرب بل احتمال الانتصار على معاوية كان معدوماً حسب المعطيات التي

يقدمها لنا التاريخ والاحتمال الأقوى أن تنتهي المعركة بهزيمة الإمام الحسن (ع).
فأين الفخر في أن يحارب الإمام الحسن (ع) سنتين أو ثلاث تتلف عشرات
الأولوف من الأرواح قد يصل عددها إلى مائة ألف ولا تثمر إلا التعب وعود كل
فريق إلى مكانه أو غلبة معاوية ومقتل الإمام الحسن (ع) وهو في سدة الخلافة.
بخلاف الإمام الحسين (ع) الذي حارب بجمع يبلغ ٧٢ شخصاً حتى انه (ع) أذنَ
لهم بالرحيل وانكم إن أردتم الذهاب فاذهبوا وأبقى وحدي لكنهم ثبتوا معه (ع)
حتى قُتلوا فكان مقتلهم مبعث فخر تمام الفخر.

إذن، وفي هذه العجالة لدينا فرقان. أحدهما ان الإمام الحسن (ع) كان خليفة
وقتله قتل خليفة وهو في مركز الخلافة. والثاني أن قوات الإمام الحسن (ع) كان
بامكانها بشكل أو بآخر أن تواجه معاوية فتطول الحرب ويقتل الكثير من
المسلمين من دون أية نتيجة مرجوة.

العوامل المؤثرة في ثورة الإمام الحسين (ع) و مقارنتها مع

ظروف الإمام الحسن (ع)

وهناك فروق شاسعة من نواحٍ أخرى بين الإمام الحسن (ع) والإمام
الحسين (ع). فإن نهضة الإمام الحسين (ع) أثّرت فيها ثلاثة عوامل رئيسية كان كل
واحد منها مخالفاً لحال الإمام الحسن (ع):

العامل الأول: الذي كان من أسباب نهضة الإمام الحسين (ع) ان الحكومة
الظالمة عندما قررت أخذ البيعة من الإمام الحسين قرّرت أخذه أخذاً شديداً لا
تساهل فيه. وكان جواب الإمام الحسين (ع) فقط: لا أباع، ولم يبايع. أما الإمام

الحسن فكيف كان الأمر معه؟ هل أن معاوية طلب من الإمام الحسن البيعة عندما قرّر عليه السلام الصلح؟ لا بل كان من بنود الصلح أن لا يطالب بالبيعة. والظاهر أنه لم يدع أحد من المؤرخين أن الإمام الحسن عليه السلام ومن معه مثل الإمام الحسين وإخوانه وأصحابه وشيعته، قد أتوا يبايعون معاوية، أبداً لم يكن هناك حديث عن البيعة. وعليه فاليبيعة كانت من الدوافع التي جعلت الإمام الحسين عليه السلام يقاوم وهذا الدافع مفقود بالنسبة للإمام الحسن عليه السلام.

العامل الثاني: في نهضة الإمام الحسين عليه السلام دعوة الكوفة له عليه السلام على أساس أنها بلدة جاهزة، بعد عشرين سنة خيّر أهل الكوفة حكم معاوية وشعروا بالأذى في زمانه و تحمّلوا مظالم معاوية حتى صاروا في الواقع ضعافاً، حتى أن البعض^(١) قال ان الكوفة كانت مستعدة تمام الاستعداد لكن أمراً ما حدث بدّل الأوضاع. كتب أهل الكوفة ١٧ ألف رسالة للإمام الحسين عليه السلام يعلنون فيها أستعدادهم الكامل. صحيح أنهم خذلوا الإمام الحسين عليه السلام عندما قدم إليهم الأمر الذي يكشف عن عدم إكمال الاستعداد لديهم إلا أنه من جهة تاريخية لو لم يستجب الإمام الحسين عليه السلام لتلك الرسائل فإن من المسلّم به ان التاريخ سيدينه وسوف يقال أن الظروف كانت مساعدة له جداً وقد ضيّعها.

بالنسبة للإمام الحسن عليه السلام فالأوضاع كانت على العكس تماماً فالكوفة كانت مرهقة متعبة، وكانت متفرقة متشتتة كانت كوفة الألف نوع من العقائد المختلفة،

كانت بحيث أن أمير المؤمنين (عليه السلام) في أواخر خلافته يشكو مراراً من أهل الكوفة وعدم كفاءتهم و يدعو أن يأخذه الله من بينهم و يسلّط عليهم حكومة تليق بهم حتى يعرفوا فيما بعد قيمة حكم عليّ (عليه السلام).

و هذا الذي ذكرته من أن الكوفة مهتأة معناه ان الحجة قد تمّت على الإمام الحسين (عليه السلام) لا أنني أريد إدعاء ما يقوله البعض من أن الكوفة كانت على استعداد واقعي و أن الإمام الحسين (عليه السلام) كان في الواقع يعتمد على أهل الكوفة. كلام، لكن الحجة تمّت بشكل عجيب على الإمام الحسين (عليه السلام) بحيث أنه حتى لو فرضنا أن الاستعداد لم يكن تاماً فإنه لم يكن في وسع الإمام الحسين (عليه السلام) تجاهل هذه الحجة. أما بالنسبة للإمام الحسن (عليه السلام) فالأمر كان على العكس - من جهة إتمام الحجة - فإن أهل الكوفة كانوا يبدون عدم استعدادهم و كان الوضع الداخلي في الكوفة سيئاً بحيث أن الإمام الحسن (عليه السلام) نفسه كان يحتاط من كثير من أهل الكوفة عندما يخرج حتى أنه عندما كان يأتي للصلاة كان يرتدي درعاً تحت لباسه لأن الخوارج و عملاء معاوية كانوا أكثر و احتمال القتل كان وارداً و قد حدث أن رُمي الإمام (عليه السلام) بسهم و هو في الصلاة إلا أن السهم لم يؤثر لأنه كان يرتدي الدرع. و ألا لقتله السهم.

إذن كانت الحجة تامة على الإمام الحسين (عليه السلام) من جهة دعوة الناس له و حيث تمّت الحجة فلا بدّ من ترتيب الأثر. أما بالنسبة للإمام الحسن (عليه السلام) فكانت الحجة على الخلاف و كان جلّ أهل الكوفة يعلنون عدم استعدادهم.

العامل الثالث: في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

فبغض النظر عن طلبهم البيعة منه التي لم يكن حاضراً لأن يعطيهم إياها، و بغض

النظر عن دعوة أهل الكوفة إياه و تتميم الحجة عليه حيث أجابهم لما دعوه إليه، فَبَغَضَ النظر عن كل هذا فهذا عامل يكفي وحده كي يثور الإمام الحسين عليه السلام بناء عليه. أي لو لم يطلبوا منه البيعة و لم يدعه أهل الكوفة لثأر عليه السلام أيضاً؛ و هو عامل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. فمعاوية من أول يوم استلم فيه الخلافة و في طول عشرين سنة كان كل ما قام به من أعمال على خلاف شرع الإسلام. و هذا الحاكم الجائر المتجبر قد رأى كل الناس جوره و عدوانه، غيّر أحكام الإسلام، عاث في بيت مال المسلمين فساداً، أراق الدماء المحترمة، قام بذا، و قام بذلك و كان أكبر جرم ارتكبه أن جعل إينه شارب الخمر لاعب القمار و اللاهي مع الكلاب ولياً للعهد و أعلنه خلفاً له بالقهر و القوة. فرأى الإمام عليه السلام أن من الضروري الاعتراض عليه و النبي صلى الله عليه وآله يقول: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً عهده، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم و العدوان، فلم يغير عيه بفعل أو قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا و ان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان...»^(١).

و لا ريب في أن الأمر في زمان معاوية كان كذلك بالقوة^(٢) كما ان ماهية معاوية كانت واضحة للإمام الحسن عليه السلام لكن معاوية في زمان أمير المؤمنين عليه السلام كان معارضاً يدّعي أنه لا يريد إلا الثأر لعثمان و الآن يعلن استعداداه للعمل بكتاب الله و سنة النبي صلى الله عليه وآله و سيرة الخلفاء على أفضل ما يرام و ان لا يعين خلفاً له بل

١ - تاريخ الطبري ج ٧ ص ٣٠٠.

٢ - القوة المقابلة للفعل (مترجم).

الخلافة من بعده للإمام الحسن عليه السلام و من بعده للإمام الحسين عليه السلام فمعاوية مقرّر بحقهم و إنما تطلّب تسليم الأمر إليه (كما جاء في بنود الاتفاق هذا التعبير) أي التفويض و ليبق الإمام الحسن جانباً هذه المدة فهو يطلب التفويض و سينفّذ الشروط. أرسل ورقة بيضاء ذيلها بختمه قائلاً أي شرط يراه الحسن بن علي فليكتبه على هذه الورقة و أنا موافق عليه فأنا لا أريد أكثر من أن أستلم زمام الأمور أما العمل بشريعة الإسلام فسألتزم به تمام الالتزام». و إلى الآن لم يصل صابون هؤلاء إلى لباس الناس^(١).

و الآن لنفترض أننا في مواجهة التاريخ و أن معاوية قدّم مثل هذه الورقة البيضاء للإمام الحسن و قيل بتلك الالتزامات على أن يعتزل الإمام الحسن جانباً. فأنت لماذا تريد الخلافة ألا تريدها لأجل إجراء القوانين الإسلامية؟ سأقوم بذلك. فالمسألة هي تطبيق الكتاب و السنة سواء توليت ذلك أنت أم أنا أم أنك تريد الحرب لمجرد أن تكون أنت على رأس السلطة؟ إذ لو لم يسالم الإمام الحسن في هذه الظروف لكانت الحرب دائرة مستمرة، سنتين أو ثلاث مع مقتل عشرات الألوف و الدمار الذي سيحصل و النتيجة أن الإمام الحسن سيقتل أيضاً و لكان الإمام الحسن اليوم ملاماً على صفحات التاريخ إن كان من اللازم في مثل هذه الظروف الصلح، و النبي صلى الله عليه وآله صالح في عدة مواقع. فهناك موارد الصلح فيها واجب إذ لو كنّا نحن في ذلك الزمان لقلنا: أليست المسألة هي أن معاوية يريد أن

يحكم فليحكم فهو لا يريد منك أن تعتبره خليفة و تعترف به أميراً للمؤمنين^(١) كما لا يريد منك مبايعته. وإذا خفت على شيعتك فالصلح يوجب أن يكون تمام شيعة أبيك في أمن و أمان و يتجاوز عن كل الضغائن تجاه الذين حاربوه في صفين و من حيث الإمكانيات المالية فهو مستعد أن يقطع قسماً من أموال الدولة ليخصك بها حتى تتمكن بهذه الطريقة من الاستغناء عنه مالياً. و إدارة شؤون نفسك و أهل بيتك و شيعتك.

لو لم يقبل الإمام الحسن عليه السلام بالصلح في هذه الأجواء لأدانه التاريخ لكنه عليه السلام عندما قبل فإدانة التاريخ توجهت إلى معاوية. و قد وافق معاوية على كل تلك الشروط بما يملك من قوة.

فيما بعد تسجل لمعاوية انتصار سياسي و كشف عن أنه سياسي محض أي ليس في وجوده و شخصيته إلا شخصية سياسية لأنه ما أن جلس على كرسي الخلافة و صار صاحب قدرة حتى داس على كل بنود الاتفاق و لم يعمل بأي منها و أثبت أنه رجل مخادع حتى انه عندما أتى إلى أهل الكوفة قال لهم بصريح العبارة: «ما قاتلتكم لتصلوا و تصوموا و تحبوا و لكن لأتأمر عليكم». و عندما انتبه إلى خطأ هذه الجملة استدرك و قال ان تلك الأمور يمكنكم أن تؤدوها بأنفسكم و ليس من ضرورة لأن أشدد عليكم فيها.

و كان قد تعهد أن الخلافة من بعده للإمام الحسن بن علي ثم الحسين بن علي عليه السلام لكنه بعد مضي ثماني سنين من حكمه بدأ يطرح ولاية العهد لابنه يزيد

١ - و قد ذكروا ان معاوية لم يكن يأمل بأن يخاطبه الإمام الحسن عليه السلام بأمر المؤمنين.

كما ضيق على شيعة أمير المؤمنين عليه السلام أشد المضايقة مع أنه جاء في الاتفاق أن لا يضيق عليهم كما و صار في صدد الانتقام منهم. فلا فرق بحسب الواقع بين عثمان و معاوية الا أن الأول استطاع بنحو أو بآخر أن يحفظ مقامه بين المسلمين (غير الشيعة) على أنه أحد الخلفاء الراشدين مع ما كان عنده من زلل. لكن معاوية عرف من أول الأمر كسياسي محتال و بحسب رأي فقهاء و علماء الإسلام بشكل عام (و ليس فقط نحن الشيعة) فإن معاوية و من بعده قد خرجوا بالكلية عن سلسلة خلفاء النبي صلى الله عليه وآله الذين أتوا لتطبيق الإسلام و اعتبروا من السلاطين والملوك.

و بناء عليه عندما نريد مقارنة وضع الإمام الحسن عليه السلام بوضع الإمام الحسين عليه السلام نرى أنه ليس هناك أي مجال لذلك.

و هنا قضية أخرى أردت التّعرض، لها و هي ان الإمام الحسين عليه السلام كان عنده منطق بليغ جداً و حجة قاطعة ما هي؟ «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله... كان حقاً على الله أن يدخله مدخله» و لكن بالنسبة للإمام الحسن عليه السلام لم تكن المسألة مطروحة بهذا النحو بل أقصى ما يمكنه عليه السلام التمسك به أن هؤلاء سيفعلون كذا و كذا. و فرق شاسع بين (ان جاؤوا سيفعلون كذا) و بين (أنهم فعلوه) ففي الصورة الثانية نملك بالفعل الدليل و الحجج ضدّهم. و هذا معنى ما يقال أن صلح الإمام الحسن عليه السلام هيئاً أرضية ثورة الإمام الحسين عليه السلام فكان من الضروري أن يجلس الإمام الحسن عليه السلام جانباً الى مدة حتى تتضح ماهية الأمويين المخفية عن أعين الناس حتى يتوفر الأساس لنهضة تقام ضدّهم فتكون مبررة من الجهة التاريخية. إذن إتفاقية الصلح أوضحت فيما بعد ان معاوية لا يريد الالتزام بنودها

حتى ان عدة من الشيعة جاؤوا إلى الإمام الحسن عليه السلام قائلين هذا الصلح كأنه لم يكن - وقد صدقوا في ذلك لأن معاوية أعلن نقضه - فطالبوه بالنهوض فأجابهم أنه لم يحن وقتها ولا بدّ من مهلة حتى يتضح أمر معاوية أكثر وحينذاك تكون النهضة. وهذا يعني أن الإمام الحسن عليه السلام لو بقي حياً إلى ما بعد معاوية وكان في نفس موقع الإمام الحسين عليه السلام لثار قطعاً.

و على هذا الأساس يعتبر كل عامل من هذه العوامل الثلاثة مقياساً صحيحاً و مشروعاً جدياً في ثورة الإمام الحسين عليه السلام و يتبين ان وضع الإمام الحسن عليه السلام مغاير تماماً لوضع الإمام الحسين عليه السلام. طلبوا من الحسين عليه السلام البيعة و لم تطلب من الحسن عليه السلام (و البيعة بحدّ ذاتها شيء مهم) كما ان الحجة قد تمّت على الإمام الحسين عليه السلام من ناحية أهل الكوفة و كان الناس يقولون ان الكوفة قد استيقظت بعد عشرين سنة فهي بعد هذه الأعوام التي عاشتها مع معاوية غير الكوفة قبل العشرين سنة فالآن عرفوا من هو عليّ و من هو الحسن و من هو الحسين (عليهم السلام) و عندما كان يذكر اسم الحسين عليه السلام كانت الدموع تجري (فقد أينعت الثمار و اخضرت الأرض فاقبل يا ابن رسول الله و نحن مستعدون تمام الاستعداد). و الأمر الثالث هو ما ارتكبه الحكومة من فساد (لا أقول فساد الحاكم فإن فساد الحاكم شيء و فساد الحكومة شيء آخر) و معاوية قبل أن يستلم زمام الأمور في زمان الإمام الحسن عليه السلام لم تكن ماهيته قد اتضحت حتى يتهيأ المجال (للقيام) تحت عنوان الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و يتحقق تكليف بالفعل على هذا الصعيد بخلافه في عصر الإمام الحسين عليه السلام فإن الأمر قد كان كذلك بكل وضوح.

بنود الإتفاق

و سأذكر الآن بعض بنود الإتفاق كي يتّضح لكم حاله وقد رتبت المواد بهذا الشكل:

١ - تسليم الأمر لمعاوية بشرط العمل بكتاب الله و سنة النبي و سيرة الخلفاء الراشدين.

(و من اللازم هنا أن أبيّن) أن أمير المؤمنين عليه السلام كان منطقته يقول أنا لا أثور حتى أكون الخليفة أو يكون غيري الخليفة، و ان كانت الخلافة من حقي فإن هذه وظيفة الناس، إنما أثور عندما ينحرف الذي تسلم الخلافة بأعماله و قد جاء في نهج البلاغة «و الله لأسالمن ما سلّمت أمور المسلمين و لم يكن فيها جور إلّا علي خاصة»^(١).

فمعنى هذا البند في الواقع ان الإمام الحسن عليه السلام قد عبّر عن استعدادة للتناحي ما دام الظلم واقعاً عليه وحده إذ حرم من حقه، إذا كان الغاصب للخلافة سيجري أمور المسلمين في مجراها السليم.

٢ - بعد معاوية الأمر للحسن و إذا حدث له شيء فهو للحسين.

و معنى هذه الجملة ان الصلح مؤقّت لا أن الإمام عليه السلام صالح و انتهى الأمر و تخلّى عن كلّ شيء و خلّى بين معاوية و الخلافة يعمل ما يشاء فلا يشمل فترة ما بعد معاوية إذن لا حقّ لمعاوية أن يعيّن خلفاً له.

٣- كان معاوية قد سنّ في الشام لعن أمير المؤمنين عليه السلام وأموراً غير لائقة في حقّه فجاء في متن الصلح أن هذه السنة السيئة يجب أن تتوقّف «فعلى معاوية التخلّي عمّا لا يليق بأمر المؤمنين و عن لعنه في الصلوات و ان لا يُذكر عليّ عليه السلام إلا بخير» وهذا أيضاً وافق عليه معاوية.

كانت هناك حملة إعلاميّة ضدّ عليّ عليه السلام فكانوا يقولون أننا لنلعن علياً بسبب أنه - والعياذ بالله - خرج عن دين الإسلام. وبهذا البند تتم الحجّة على معاوية فانك إذا كنت ترى علياً عليه السلام رجلاً يستحق اللعن فلماذا تعهّدت بأن لا يذكر إلا بالحسنى و ان لم يكن عليه السلام مستحقاً لذلك وكان ما تعهّدت به هو الصحيح فلماذا كنت تلعنه؟ إلا أن معاوية قد داس على هذا البند أيضاً ودامت سنّته السيئة مدة ٩٠ سنة.

٤- «تسليم الأمر لمعاوية لا يشمل ما في بيت المال في الكوفة، الذي كان يحوي ٥ ملايين درهماً كما ان على معاوية أن يرسل إلى الحسن كل سنة مليوني درهم» و الهدف من هذا البند أن لا يضطر الشيعة للتوسّل إلى حكومة معاوية لقضاء حوائجهم و ان يعلموا أنهم إذا احتاجوا شيء فالإمام الحسن والحسين عليه السلام يتولّان قضاءه. «وان يتميّز بنو هاشم في العطايا و الهدايا عن بني أمية و يدفع مليون درهم يقسم بين عوائل الشهداء الذين قتلوا في حرب الجمل و صفين و يجب أن يؤدّى هذا المال في خراج (دار ابجرد) و (دار ابجرد) بلدة من نواحي شيراز جعل خراجها مختصاً ببني هاشم.

٥- تحقيق الأمن للناس في أية بقعة من بقاع الأرض كانوا، في الشام أو العراق أو اليمن أو الحجاز و أن يعيش السود و الحمر في أمان و على معاوية التغاضي عن اضطراباتهم».

و المقصود التخلّي عن الأحقاد القديمة لأن هؤلاء كانوا أكثر الذين حاربوا معاوية في صفين «و أن لا يؤاخذ أي شخص بأخطائه السابقة و لا يؤاخذ أهل العراق بالضغائن القديمة و أن يحيى أصحاب عليّ في أمن و أمان أينما كانوا و لا يضيق على موالي عليّ و ان لا يكون أنصار عليّ في حالة رعب في أموالهم أو أعراضهم أو أرواحهم أو أولادهم و لا يتعقّبهم أحد و لا يوجّه أحد إليهم أي ضربة. و ان يصل حق كل صاحب حق بسرعة و ان لا يؤخذ ما هو تحت يد أصحاب عليّ و أن لا يتآمر على شخص الحسن بن علي أو الحسين أو أي شخص من أهل بيت رسول الله ﷺ».

هذه المواد و بالأخصّ المادة الخامسة و الثالثة - و هي مسألة لعن أمير المؤمنين (عليه السلام) - و ان تضمّنتها المادة الأولى بالإجمال إذ اشترط فيها إلزام العمل بكتاب الله و سنّة النبيّ و سيرة الخلفاء الراشدين لكن كان من الواضح ان معاوية سيخالف، فحتّى لا يبقى مجال للتأويل في خصوص هذين الأمرين نصّ عليهما ببندين مستقلين.

«فلا يوجّه إليهم إرهاب أو تهديد في أي أفق من آفاق البلاد الإسلامية»

اراد ﷺ أن يبين تشاؤمه من معاوية من أوّل الأمر.

هذه كانت مواد الإتفاق و قد مثّل معاوية، فيه عبدالله بن عامر، أرسله إلى الإمام الحسن (عليه السلام) حاملاً تلك الورقة البيضاء المذيّلة بالإمضاء و إعلان القبول بكل شرط يشترطه الإمام (عليه السلام) و قد دوّن ﷺ هذه الشرائط. و قد أقسم معاوية مراراً أن يشهد الله و النبيّ ﷺ إن لم أفعل كذا فكذا و ان لم أفعل هذا فذاك، كتبت كل هذه الشروط و وقع الإتفاق.

و قد اتضح مما ذكرنا انه لا إشكال يرد على صلح الإمام الحسن عليه السلام في ظلّ الظروف التي مرّ بها عليه السلام، وأما قياس صلح الإمام الحسن عليه السلام - وهو في سدة الخلافة - مع ثورة الإمام الحسين عليه السلام - وهو المعارض - مقايسة غير صحيحة إذا أخذت بعين الاعتبار كل تلك الفوارق التي ذكرناها. والذي نستنتجه ان الإمام الحسن عليه السلام لو لم يكن موجوداً في الزمن الذي كان فيه بل كان الخليفة بعد أمير المؤمنين عليه السلام هو الإمام الحسين لكان قد أقدم على الصلح أيضاً. كما أننا لو فرضنا بقاء الإمام الحسن عليه السلام حياً إلى ما بعد معاوية لكان قد قام بما قام به الإمام الحسين عليه السلام. لأن الظروف حينئذٍ كانت مختلفة.



سؤال وجواب:

السؤال: هل كان أمير المؤمنين عليه السلام ليصالح لو كان مكان الإمام الحسن عليه السلام أم لا؟ والحال أن علياً عليه السلام يقول: لست مستعداً لتحمل حكومة معاوية ولو يوماً واحداً فكيف رضي الإمام الحسن عليه السلام بحكم معاوية؟

الجواب: لا يصح الجواب عن السؤال إذا طرح بهذا النحو من أنه لو كان أمير المؤمنين عليه السلام مكان الإمام الحسن عليه السلام هل كان يصالح أم لا؟ لكن نقول: لو كانت ظروف الإمام علي عليه السلام كظروف الإمام الحسن عليه السلام لصالح، إن كانت هناك خشية من أن يقتل وهو في سدة الخلافة، لكننا نعلم أن ظروف أمير المؤمنين عليه السلام كانت مختلفة جداً عن ظروف الإمام الحسن عليه السلام، يعني أن هؤلاء المفسدين إنما ظهوروا

في أواخر حياة أمير المؤمنين (ع) ولذا كانت حرب صفين في حال تقدم و لو لم ينشقّ الخوارج لكان انتصار أمير المؤمنين (ع) حتمياً فلا بحث من هذه الجهة. أما ما ذكرت من أن الإمام (ع) لم يكن مستعداً لتحمل حكم معاوية و لو يوماً واحداً فكيف رضي الإمام الحسن (ع)؟ فهذا خلط بين الأمور فإن الإمام علي (ع) لم يكن مستعداً لأن يتحمل معاوية في الحكم. و لو يوماً واحداً بعنوان انه ولي نائب عنه ومعين من قبله والإمام الحسن (ع) لم يرد أيضاً أن يكون معاوية نائبه بل أراد (ع) التنحي. صلح الإمام الحسن (ع) يعني أن يتنحى (ع) لا أن يلتزم بإدارة الشؤون، كما انه لم يؤت في الاتفاق على ذكر الخلافة أو لقب أمير المؤمنين أو لقب خليفة النبي إنما كان الكلام ان يسلم الأمر إلى معاوية بشرط أن هذا الشخص الذي لا يصلح لهذا الأمر عليه أن يأتي بالأعمال الصحيحة و أن يتعهد بذلك ففرق بين الأمرين فأمر المؤمنين رفض أن يقبل كون معاوية والياً له و لو ليوم واحد و الإمام الحسن (ع) أيضاً يقبل بذلك و الصلح لا يعني ذلك.

سؤال: هل أوصى أمير المؤمنين (ع) إلى الإمام الحسن (ع) بخصوص كيفية التعامل مع معاوية؟

الجواب: لا أذكر أنني إلى الآن صادفت في وصايا الإمام علي (ع) شيئاً من هذا القبيل الا ان الأمر كان بحسب الظاهر واضحاً حتى إذا لم يبين لنا التاريخ ذلك فالأمر واضح، فإن الذي كان يزعجه وضع معاوية و كان يرى لا بدّية محاربة معاوية حتى النهاية حتى انه (ع) في أواخر عمره الشريف عندما حصل الارتباك في وضعه (ع) فإن الذي كان يزعجه وضع معاوية و كان يرى لا بدّية محاربة معاوية و تلك الخطبة المعروفة في نهج البلاغة التي يدعو الناس فيها للجهاد ثم

يذكر أصحابه الأوفياء الذين استشهدوا في صفين حيث قال : أين إخواني الذين ركبوا الطريق و مضوا على الحق؟ أين عمار؟ و أين ابن التيهان؟ و أين ذو الشهادتين»^(١) ثم بكى . هذه الخطبة تلاها في صلاة الجمعة يدعو الناس فيها للتحرّك و قد ذكروا أنه لم تأت الجمعة المقبلة حتى كان قد ضرب واستشهد.

الإمام الحسن أيضاً في أول الأمر كان مصمماً على الحرب مع معاوية لكن ما ظهر له من أصحابه من عدم الاستعداد و من خلافات داخلية، جعله يبدّل رأيه و يقبل بالصلح، أي رأى أن الحرب مخزية و دخول الحرب مع هؤلاء الناس مخزٍ و مشين، بل جاء إلى ساباط الإمام الحسن بعض أصحابه و طعنوه بالرمح في ساقه.

إحدى المميزات الكبرى في قضية الإمام الحسين أنه أوجد قوّة إيمانية هائلة قاومت في وجه الشدائد، و التاريخ لا ينقل أن أحداً منهم قد فرّ و التحق بالإمام في يوم عاشوراء. إذن لم يوجد في أصحابه من أظهر ضعفاً إلا شخص واحد (أو شخصان) اسمه الضحّاك بن عبدالله المشرقي الذي كان قد قال للإمام من أول الأمر: آتي معك على أنني إن لم أستطع أن أنفكع بشيء فسأتركك و الإمام قبل منه ذلك و بقي مع الإمام الحسين حتى العاشر من محرّم و حتى اللحظات الأخيرة فأتى إلى الإمام يقول قد وفيت بشرطي و الآن سأذهب لأنني أعلم أنه لا فائدة بعد من وجودي على الإطلاق فأذن له .

بالذهاب و كان عنده فرس سريع فركبه و ضرب الفرس ضربات محكمة ليتهياً
 بالفرس، و الموقع كان محاصراً فنظر إلى نقطة انطلق بالفرس إليها و شقّ جيش
 العدو و تمكّن من الفرار فلحقته جماعة لكن كان فيهم من يعرفه فطلب أن يترك و
 شأنه فهو يريد الفرار، ثم رحل. لكن ليس هناك أحد غيره على الإطلاق أبرز
 ضعفاً بخلاف أصحاب الإمام الحسن (عليه السلام) الذين أظهروا الضعف و الذلّ، فلو لم
 يصلح (عليه السلام) لُقُتِلَ هو و هزم أصحابه. إذن هناك فرق بينهما (عليه السلام).

و الغرض أن أمير المؤمنين كان يريد القتال و كذلك كان الإمام الحسن (عليه السلام) في
 ابتداء الأمر لكن الأمور التي ظهرت من أهل الكوفة منعت من إدامة الحرب حتى
 أنه (عليه السلام) دعا ذلك القدر القليل من جيشة للذهاب إلى نخيلة الكوفة^(١) و خطب فيهم
 و دعا الناس للذهاب إلى هناك. لكنه عندما خطب (عليه السلام) لم يلَبَّه أحد حتى قام عديّ
 بن حاتم و لام الناس على تقاعسهم ثم أعلن التلبية و انطلق و كان معه ألف
 شخص ثم انطلق آخرون بعدهم. توجه الإمام (عليه السلام) إلى النخيلة و بقي فيها عشرة
 أيام، و كان مجموع الذين تجمّعوا هناك ٤ آلاف نفر. ثم عبأ الناس مرة أخرى
 فاجتمع هذه المرة عدد كثير لكن مع ضعف، و البعض رشاهم رؤسائهم بالمال
 ففروا في الليل و هكذا رأى الإمام (عليه السلام) ان الساحة لا تصلح لحرب مشرفة.

سؤال: الظاهر عدم صحة ما ذكرته من أنه لو لم يصلح الإمام الحسن للامه
 التاريخ أن لمّ لم تصلح مع قدرتك عليه في مثل تلك الظروف التي كنت فيها؟ لأن
 الناس كانت قد تلقت الورقة البيضاء الممضاة المرسلّة إلى الإمام الحسن (عليه السلام) على

أنها خدعة، لأن معنى ذلك ان سجّل كل ما تريد، أنا الذي لا أقبل بكلامك والناس كانت قد تعرّفت على معاوية في زمان الإمام علي عليه السلام.

الجواب: الواقع أن معاوية كان يمكنه أن يحقق خدعة أخرى عبر إرساله الورقة المذكورة وهو أن يرى ما يكتبه الإمام الحسن عليه السلام من شروط هل هي شروط إسلامية أم لا؟ لأن معاوية يريد في الموقع الذي هو فيه - وكذلك بلحاظ الواقع - أن يرى ماذا يريد الإمام الحسن عليه السلام (كما ان الإمام الحسن عليه السلام يريد ذلك أيضاً) و يرى هل أن شروطه عليه السلام تصبّ في مصلحته الشخصية أم في مصلحة المسلمين؟ وقد رأينا أن كل الشروط التي كُتبت كانت لمصلحة المسلمين ولم يكن الإمام الحسن عليه السلام يستطيع فعل غير ذلك.

أنت تقول ان الناس تلقت فعل معاوية على أنه خدعة. و الواقع ان الناس كانت ترى في معاوية رجلاً مقبولاً و طالبوا الإمام الحسن عليه السلام أن يقول ما عنده ليروا ما يريد؟ فهل تريد مجرد أن تكون أنت الخليفة أم تريد شيئاً آخر؟ فإن كان شيئاً آخر فهذا الرجل مستعدّ واقعاً لا يصلح المسلمين إلى السعادة.

ثم قلت ان الناس تعرّفت عى معاوية في زمان أمير المؤمنين عليه السلام، و الواقع ان الناس كانت تعرف معاوية على أنه حاكم جيّد و ان كان في نفسه سيئاً و هو أحد الأمور التي ساهمت في كسل أهل الكوفة و ضعفهم. كانوا يقولون: صحيح أن معاوية رجل سييء لكنه مع الرعية ممتاز فانظروا كيف يتعامل مع أهل الشام؟ و كم هم الشاميون راضون عنه؟ فأولئك الذين تعرّفوا على معاوية انما كوّنوا عنه هذه الصورة نتيجة سوءه في حدّ نفسه و لكنه حاكم جيّد، فإذا صار هو الحاكم فلن يفرق بين أهل الكوفة و غيرهم خصوصاً و ان معاوية عرف بالحلم و التواضع،

معاوية كان ذا حلم سياسي فإذن سيعامل أهل الكوفة بهذا الحلم، ولو أن معاوية فعل ذلك لسجل لنفسه انتصاراً معنوياً. كان ذا حلم سياسي حتى ان الناس قد يشتمونه و هو حاضر فيضحك و يبذل المال و يستجلبهم فكانوا يرون ان الحكومة لا تحتاج إلى أفضل من ذلك، ان كان معاوية رجلاً سيئاً فليكن. و على هذا الأساس رضي الإمام الحسن عليه السلام بالصلح (و قيل انه كان يقول للناس) حسناً قد أتينا بهذا الرجل السيئ كي يأتي بالصحيح من الأعمال فلنر هل هذا الذي تتوقعون منه الأعمال الحسنة سيقوم بها أم لا؟ فلم تكن تعرفه الناس على الإطلاق على أنه حاكم جائر، نعم عرفوا عنه انه طالب رئاسة، ساع للجاء و ليس أكثر من ذلك، و انما اكتسبوا المعرفة الواقعية بمعاوية خلال فترة صلح الإمام الحسن عليه السلام و عرفوا أي حاكم هو هذا الرجل!

سؤال: هل وقع الإمام الحسين عليه السلام الصلح أم كان عنده اعتراض عليه؟
الجواب: لم أر في مورد أن الإمام الحسين عليه السلام وقع على الصلح إذ لا ضرورة لذلك لأن الإمام الحسين عليه السلام كان في ذلك الوقت مأموماً و مسلماً للإمام الحسن عليه السلام و أي عمل يقوم به الإمام الحسن عليه السلام، كان عليه السلام يقبله و يلتزم به، حتى أن جمعاً من رافضي الصلح جاؤوا إلى الإمام الحسين عليه السلام يعلنون رفضهم لهذا الصلح فسألوه البيعة فأجابهم عليه السلام بالرفض مبيناً لهم تبعيته لما يقوم به الإمام الحسن عليه السلام، فمن الجهة التاريخية كانت الموافقة التامة للإمام الحسين عليه السلام على صلح الإمام

الحسن عليه السلام مسلّم بها^(١) أي لم يصدر منه عليه السلام أدنى مخالفة لهذا الصلح و لم يُر في مورد اعتراضه و عدم موافقته بحيث انه يوافق عندما يرى الإمام الحسن مصمماً على الصلح، لا لم يظهر منه عليه السلام أي إعتراض على الإطلاق.

١ - نقول من جهة تاريخية، أما من جهة الإمامة لا مجال للفصل بين ما يقبله الإمام الحسن عليه السلام و ما يقبله الإمام الحسين عليه السلام.

الفصل الثالث

كلمة عن الإمام زين العابدين عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام زين العابدين عليه السلام هذا الوجود المقدّس كان سيّد الروحانية (الروحانية بمعناها الصحيح) أي أن من فلسفة وجود رجل مثل عليّ بن الحسين عليه السلام، إنّ الإنسان عندما ينظر إلى آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلهم ومنهم عليّ بن الحسين عليه السلام يرى روحانيّة الإسلام أي حقيقة الإسلام وهذا أمر في حدّ ذاته مهم، والإنسان عندما يرى رجلاً مثل عليّ بن أبي طالب عليه السلام هذا الذي تربّى وترعرع منذ الطفولة على يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي كان رأس النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حضنه في آخر لحظة من حياته الشريفة حيث سلّمت الروح لخالقها، هذا الرجل الذي عاش منذ طفولته في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعيش أي شخص مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمقدار ما عاش هو عليه السلام معه، أجل عندما ينظر الإنسان إلى حياة عليّ يرى كل الإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم و يرى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مرآة وجود عليّ عليه السلام، فما سرّ كون رجل مثل عليّ كلّ إيمان.

عبادة الإمام عليه السلام:

كل أهل البيت (عليهم السلام) كانوا هكذا وهذا من عجائبهم. والإنسان عندما يرى ذلك الخوف من الله عند علي بن الحسين عليه السلام، تلك الصلوات التي كانت في الواقع مناجاة - وحسب تعبير الكسيس كارل: - كانت تحليق الروح نحو الله - فلم تكن صلاته مجرد أن يقف ببدنه مستقبلاً القبلة وتسرح الروح في مكان آخر أبداً. كانت كأن الروح قد انفصلت عن هذا البدن، أجل عندما يرى المرء علي بن الحسين عليه السلام يسأل نفسه ما هذا الإسلام؟ وما هذه الروح؟

من أين تأتي كل ذي النعمات وان تكن من خلق عبدالله^(١)

عندما يرى المرء علي بن الحسين عليه السلام يرى كأنه النبي صلى الله عليه وآله في محراب عبادته في الثلث الأخير من الليل أو كأنه النبي صلى الله عليه وآله في غار حراء ففي ليلة كان الإمام عليه السلام مشغولاً بالمناجاة والدعاء الذي كان يليق به عليه السلام فوق أحد أولاده عليه السلام من مكان فانكسر عظمه بحيث احتاج إلى جبر فلم يأت أهل بيته عليه السلام إليه يقطعون عليه عبادته بل ذهبوا وجبروا الكسر وربطوا يد الطفل وقد اشتد صراخه حتى ارتاح الولد وانتهت المسألة. وفي الصباح يرى الإمام عليه السلام يد ابنه فيسأل عنه؟ فقالوا حيث كنت منشغلاً بالعبادة فاتضح ان الإمام عليه السلام كان في حالة انجذاب بشكل كانت روحه محلقة نحو الله حتى انه لم يسمع أي صوت من تلك الأصوات.

رسول المحبة: كان زين العابدين عليه السلام رسول المحبة وهذا من عجائبه عليه السلام فقد كان عليه السلام، إذا رأى شخصاً لا أهل له أو غريباً فقيراً أو مسكيناً أو شخصاً لا يعتني به أحد فكان عليه السلام يظهر له المودة و يلاطفه و يأتي به إلى بيته. فرأى يوماً جمعاً من المصابين بالجذام -والكل كان يفرّ من الجذامى حتى لا تسري إليه العدوى لكن هؤلاء أيضاً عباد الله- فدعاهم عليه السلام إلى بيته و اعتنى بهم، كان بيته عليه السلام بيت المساكين واليتامى بيت من لا حول له ولا قوة.

الخدمة في قافلة الحج: كان ابن النبي صلى الله عليه وآله إذا أراد التوجه لأداء فريضة يأبى الذهاب مع قافلة يعرفونه فكان يترقب مرور قافلة من مكان بعيد بحيث لا يعرف فيها فيدخل فيهم غريباً فالتحق يوماً بإحدى هذه القوافل و طلب الإذن في أن يخدمهم فوافقوا و كان السفر في تلك الأيام على الفرس و الجمل و نحوه والمسافة تمتد إلى اثنتي عشر يوماً و الإمام في هذه المدة يبدو كخادم لهذه القافلة ولكن أثناء الطريق التقى رجل بهذه القافلة و كان يعرف الإمام عليه السلام فما أن تعرّف عليه حتى ذهب إليهم ليسألهم من هو هذا الذي أتيتم به لخدمتكم؟ قالوا شاب لا نعرفه من المدينة و هو شاب شهم جداً قال: لا تعرفونه و لو عرفتموه لما اتخذتموه خادماً و لما أصدرتم له أمراً، قالوا: و من هو؟ قال: هذا عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ابن النبي صلى الله عليه وآله حينئذٍ أسرعوا إليه و ارتموا تحت أقدامه قائلين: مولانا ما هذا الذي قمت به؟ كان يمكن أن ينالنا عذاب الله بعملنا هذا ان حصلت منا جسارة بحقك و أنت العزيز و نحن خدامك فأبى و قال: أنا أعلم أنني عندما أذهب في قافلة تعرفني فلن يقبل أحد منهم أن اخدم لهذا أريد السفر مع قافلة لا يعرفني فيها احد حتى أوفق و أنال سعادة خدمة المسلمين و الأصحاب.

دعاء و بكاء الإمام: لم تسنح للإمام عليّ بن الحسين عليه السلام فرصة كالتى سنحت لأبيه أبي عبدالله عليه السلام كما أنه لم تتسنى له الفرصة التى تسنت للإمام الصادق عليه السلام. الا ان الذي يريد خدمة الإسلام يرى في كل موقع فرصة وان كانت الفرص تختلف. فانظروا ماذا قدّم الإمام زين العابدين عليه السلام للعالم الشيعي من فخر ظهر بشكل دعاء. وفي نفس الوقت الذي لبس فيه الإمام عليه السلام لباس الدعاء فقد كان يقوم بنشاطه. يتخيّل البعض ان الإمام زين العابدين عليه السلام لما عاش فترة بعد أبيه و لم يقم بالسيف فهذا يعني أن القضايا صارت منسية. أبداً ليس الأمر كذلك فإنه عليه السلام كان يستفيد من أي مجال ليحفظ و يبقى آثار ثورة أبيه عليه السلام حيّة. وإلا فلماذا كان ذلك البكاء الذي كان عليه السلام يبكيه و تلك الذكرى؟ هل انها مجرد حالة رجل يحترق قلبه و يبكي بلا هدف؟ أم انه كان يريد إبقاء الواقعة حيّة و أن لا ينسى الناس لماذا ثار الإمام الحسين عليه السلام و من هم الذين قتلوه؟

كان عليه السلام يبكي يوماً بكاءً شديداً فقال له أحد خدامه: ألم يثن الوقت يا مولاي كي تتوقّف عن البكاء؟ ظنّاً منه ان بكاء الإمام عليه السلام لمجرّد فقد عزيزه، فقال له: ما تقول؟ لم يكن ليعقوب أكثر من يوسف و القرآن يصف حالته بـ ﴿وَأَيُّضْتُ عَلَيْهِ مِنْ الْحُزْنِ﴾^(١) و أنا قد رأيت بأّم عيني ١٧ يوسفاً يسقط كلّ منهم تلو الآخر على الأرض.

و صلى الله على محمد و آله الطاهرين

الفصل الرابع

الإمام الصادق عليه السلام ومسألة الخلافة

الجلسة الأولى:

بسم الله الرحمن الرحيم

و صل بحثنا في مسألة الخلافة و الإمام إلى مسألة الإمام الحسن عليه السلام و بعدها مسألة ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام^(١) و في كلا الموردين كانت هناك تساؤلات بحثنا فيها. و لكي تكتمل سلسلة هذه المسائل نتعرض لمسألة أخرى حدثت مع الأئمة عليهم السلام على هذا الصعيد تشبه هذه المسائل من بعض الجهات مع تساؤلات بل اشكالات في هذا المجال و هي مسألة مرتبطة بالإمام الصادق عليه السلام. و لم تكن مسألة الخلافة مطروحة بأي نحو لغير هؤلاء الأربع من الأئمة عليهم السلام، أعني أمير المؤمنين و الإمام الحسن و الإمام الرضا و الإمام الصادق عليهم السلام و قد توفرت للإمام الصادق عليه السلام القدرة على الخلافة إجمالاً.

و في الواقع هنا سؤالان في مورد الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام:

١ - هذا البحث بحسب الترتيب الزمني كان بعد بحث ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام.

أحدهما: انه في زمان الإمام عليه السلام أي في أواخر عصر بني أمية وأوائل عصر بني العباس سنحت فرصة سياسية مناسبة استغلها بنو العباس فكيف لم يستفد منها الإمام الصادق عليه السلام؟ وقد سنحت هذه الفرصة حيث ازداد معارضو بني أمية بين العرب و الإيرانيين، لسبب ديني أو غير ديني والسبب الديني هو ذلك الفسق والفجور المتزايد الذي كانوا يشتهرون بممارسته، والمتدينون أدركوا ان هؤلاء فساق فجّار لا يليقون بالخلافة إضافة إلى ما ارتكبوه من جنایات بحق عظماء الإسلام و أهل التقوى (و أمثال هذه القضايا يكون تأثيرها تدريجياً) وبشكل خاص ابتداءً من زمن استشهاد الإمام الحسين عليه السلام حيث نضج حس النفور تجاه بني أمية ثم الانتفاضات التي حدثت - كثورة زيد بن علي بن الحسين و ثورة يحيى بن زيد بن علي بن الحسين - قد أزالَت عنهم صبغتهم الدينية.

فأعمال الفسق و الفجور التي سمعتم بها و شراب الخمر و الترف و إتيان هذه الأمور بلا أي تستر أسقط عنهم قناعهم. و بناء عليه فمن الجهة الدينية فالناس متنفرة منهم.

و من الجهة الدنيوية أيضاً كان حكامهم يظلمون و بالخصوص امثال الحجاج ابن يوسف حاكم العراق و غيره في خراسان الذين ارتكبوا المظالم الكثيرة. و الإيرانيون و خصوصاً الخراسانيين منهم - و المراد بخراسان المعنى القديم الواسع - قد أوجدوا حركة و اضطراباً ضد بني أمية، أوجدت فصلاً بين الإسلام و بين جهاز الخلافة و بشكل خاص ان بعض ثورات العلويين كان لها التأثير التام في خراسان مع ان الثائرين أنفسهم قد ماتوا لكن تأثيرها من الجهة الإعلامية كان فائقاً.

زيد بن الإمام زين العابدين عليه السلام ثار في الكوفة التي عاهده أهلها وبايعوه لكن لم يبق معه إلا عدد قليل منهم وقد قُتل قرب الكوفة قتلاً فظيعاً وقد تعاملوا معه بشكل إجرامي مروّع فمع ان أصحابه اجتازوا ليلاً (نهر الأزرق) مياه النهر وحفروا له قبراً في نواحيه ودفنوه فيه وأجروا مياه النهر عليه مرتين حتى لا يعرف قبره لكن الحفّار رفع تقريراً و دلّ على القبر فجاءوا بعد أيام وأخرجوا بدنه و صلبوه وأبقوه على الخشبة مدة طويلة حتى يبس و يقال ان مدة بقاءه كانت أربع سنين وكان لزيد ابن شاب اسمه يحيى ثار أيضاً وانهزم فرحل إلى خراسان و كان لرحيله إلى خراسان أثر كبير فمع انه قتل في حرب بني أمية لكنهم أحبّوه حباً عجبياً. والذي يظهر أنه قد اتضح لأول مرة لأهل خراسان ان أولاد النبي يقومون ضد جهاز الخلافة. ففي تلك الأزمنة لم تكن أخبار الحوادث و الوقائع تصل بسرعة اليوم. و في الواقع فإن يحيى استطاع أن يبلغ لقضيّة الإمام الحسين عليه السلام وأبيه زيد و سائر الأمور بشكل ان الخراسانيين عندما ثاروا ضدّ بني أمية أقاموا ٧٠ يوماً عزاء على يحيى بن زيد. (فصار معلوماً ان الثورات قد لا تحقق أهدافها في بداية الأمر لكن أثرها سيظهر فيما بعد).

و على كل حال فقد تهيّأت في خراسان قاعدة لثورة. طبعاً لم تكن ثورة ذات زعامة بكل ما للكلمة من معنى لكن إجمالاً كانت بمقدار عدم الرضى و الاستياء الشديدين.

استفادة بني العباس من عدم رضى الناس

استفاد بنو العباس من مجريات الأمور أقصى الاستفادة و كانوا ثلاثة أخوة

إبراهيم الإمام، أبو العباس السفّاح، وأبو جعفر المنصور، من صلب العباس ابن عبد المطلب عمّ النبيّ. وكانوا أبناء عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس المعروف. وبعبارة أخرى عبدالله بن العباس الذي كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كان عنده ولد اسمه عليّ و عليّ عنده ولد اسمه عبدالله وهو والد هؤلاء الثلاثة إبراهيم الإمام وأبو العباس السفّاح وأبو جعفر المنصور وللانصاف ان هؤلاء الثلاثة كانوا من النوايع وقد استفادوا من الإحداث التي جرت في أواخر عهد بني أمية. فرّبوا بشكل سرّي دعاة ومبلّغين، وأوجدوا تشكيلاً سرياً، وتستروا هم أنفسهم في الحجاز والعراق والشام وتزعموا تنظيماتهم وبثوا وكلاءهم في الأطراف والنواحي وبشكل أكثر في خراسان يدعون الناس إلى الثورة، والانتفاضة ضدّ جهاز الخلافة. الا انه من الجهة الإيجابية لم يكونوا يقترحون شخصاً محدداً بديلاً عن بني أمية وكانوا يدعون الناس تحت شعار الرضى من آل محمد أو الرضا من آل محمد (أي أحد أفراد أهل بيت النبي المقبولين) ومن هنا يعلم أن الأساس الذي تحرك عليه الناس كانت ركيزته أهل بيت النبيّ وهي ركيزة إسلامية وهؤلاء الذين يريدون اليوم أن يصبغوا تلك الثورات التي اندلعت في خراسان كثورة أبي مسلم صبغة إيرانية وان الناس حركهم التعصّب القومي والإيراني فهناك مئات الشواهد والأدلة على ان الأمر ليس كذلك. وليس البحث الآن في هذه القضية لكن الشواهد والدلائل على ذلك كثيرة. طبعاً لم يكن الناس راضين عن هؤلاء إلا انهم كانوا يرون ان الذي ينجيهم هو الاحتماء بالاسلام من بني أمية وليس أي أمر آخر، كل شعاراتهم كانت شعارت إسلامية في خراسان العظيمة الواسعة ولم يكن هناك من يستطيع أن

يفرض على الذين نهضوا ضدّ الجهاز الحاكم اختيار الشعارات الإسلامية دون الإيرانية ففي ذلك الوقت كان الخروج عن سلطة الخلافة و الخروج من الإسلام بالنسبة للخراسانيين كشرية ماء لو أرادوا ذلك لكنهم لم يفعلوا بل جاهدوا النظام الحاكم باسم الإسلام ولأجل الإسلام لهذا فالיום الأول لإعلان ثورتهم كان في سنة ١٢٩ في مرو في قرية اسمها «سفدينج» - وقد اختاروا يوم عيد الفطر ليعلنوا عن ثورتهم بعد صلاة العيد - ففي ذلك اليوم كان الشعار الذي كتب على الرايات هو أول آية نزلت في الجهاد ﴿أَذِّنْ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(١) وما أجمل هذه الآية! فقد عانى المسلمون في مكة من ظلم قريش مدة بقاءهم من دون أن يعطى لهم الإذن بالجهاد حتى نالوا الإذن في المدينة على أساس أنهم شعب ظلم ليدافعوا عن حقهم. وفي الأساس بدأ الجهاد بهذه الآية التي نزلت في سورة الحج. كما جعلوا آية أخرى شعاراً لهم هي ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٢) كناية عن أن بني أمية خالفوا الإسلام و نادوا بالعروبة و ميّزوا العرب عن العجم و هذا مخالف لأصل من أصول الإسلام، فهم في الواقع كانوا يدعون العرب إلى الإسلام، و قد ورد حديث ذكرته في كتاب الخدمات المتبادلة بين الإسلام و إيران: «ان النبي ﷺ أو أحد أصحابه رأى في المنام غنم بيض انضمت إلى غنم سود واختلطت ببعضها فأولدت. و فسر النبي ﷺ المنام بأن العجم

١ - سورة الحج، الآية ٣٩.

٢ - سورة الحجرات، الآية ١٣.

ستدخل في الإسلام و يتزوّجون منكم رجالكم مع نسائهم و نساؤهم مع رجالكم»^(١). و غرضي هو هذه الجملة «و سيأتي يوم تقاتلكم فيه العجم لأجل الإسلام كما قاتلتموهم يوماً لأجل الإسلام» أي كان لكم يوم حاربتم فيه العجم تريدون أن يدخلوا في الإسلام و سيأتي يوم يحاربكم فيه العجم حتى يعيدوكم إلى الإسلام. و من مصاديق هذا الحديث هذه النهضة.

أدار بنو العباس هذه النهضة عبر تنظيمات سرّية و بشكل دقيق جداً و منظم و راقٍ و أرسلوا أبا مسلم إلى خراسان، لا لأنه صانع هذه الثورة بل لأن العباسيين كانوا يرسلون الدعاة إلى خراسان لينشروا الدعوة. و أبو مسلم مجهول النسب و لا يعرف من أين هو و لم يستطع التاريخ حتى الآن أن يثبت أنه إيراني أو عربي و على فرض أنه إيراني فهل هو أصفهاني أو خراساني هو شاب يبلغ ال ٢٥ سنة من العمر صادفه إبراهيم الإمام فرأى فيه قدرات ممتازة فأرسله إلى خراسان معتبراً إياه أهلاً لهذا العمل و استطاع أبو مسلم بما يملكه من حكمة أن يسلط الضوء عليه و أن يُختار قائداً لهذه النهضة في خراسان. طبعاً أبو مسلم كان زعماً محترماً و لأمعاً بالمعنى السياسي للكلمة لكنه في نفس الوقت كان رجلاً سيئاً جداً لا يملك من الإنسانية شيئاً كالجبّاج بن يوسف. و إذا كان العرب يفتخرون بالجبّاج بن يوسف فلنا الحق أن نفتخر بأبي مسلم! الجبّاج كان رجلاً ذكياً جداً و قدراته جيّدة و قائداً محنكاً لكنّه سيّء و قد نفع عبد الملك كثيراً لكنه في الوقت نفسه

١ - كذا في النسخة الفارسية و يمكن أن يكون هناك خطأ مطبعي و الأصل «و نساؤكم مع رجالهم» المترجم.

رجل ضد الإنسانية لا يملك ذرة من الإنسانية و يقال أنه قتل ١٢٠ ألف شخص مدة حكمته. كما أنه يقال ان أبا مسلم قتل ٦٠٠ ألف رجل فكان يقتل حتى الصديق الحميم لأدنى عذر ولم يكن يراعي كون الشخص إيرانياً أو عربياً انه كان ذو تعصب قومي.

و لم نَرِ نحن أي تدخل للإمام الصادق عليه السلام في هذه الدعوات بخلاف بني العباس الذين تدخلوا فيها تمام الدخالة كانوا واقعاً مستعدين للتضحية بأرواحهم وقد تكرر منهم القول إما أن نقتل أو نستلم الخلافة.

يضاف إلى ذلك مسألة أخرى هي ان بني العباس كان عندهم داعيان و مبلّغان تزعما هذه النهضة أحدهما في العراق و الكوفة - سرّاً - و الآخر في خراسان و الأول هو أبو سلمة الخلال و الذي في خراسان هو أبو مسلم و الأول يلقّب بوزير آل محمّد و لقب الثاني أمير آل محمّد. كان ابو سلمة رجلاً مدبراً، سياسياً، يفهم في الأمور، عالماً، يحسن الكلام و الحديث. و من سيّات أبي مسلم انه قد دخله الحسد و التنافس مع أبي العباس السفاح، ان هذا الرجل خطر فاقض عليه كما كتب إلى أعمام السفاح و أقاربه و حرّك مؤامرة ضده لكن السفّاح لم يكن حاضراً لقتله مهما قيل له، و كان يتساءل لماذا أقتل رجلاً قدّم لنا كل هذه الخدمات و قدّم لي كل هذه التضحيات؟ و كانوا يقولون له انه يسر شيئاً آخر فهو يطمع بأخذ الخلافة من بني العباس و تسليمها إلى آل أبي طالب فأجابهم ان شيئاً من ذلك لم يثبت ولو كان هناك مثل هذا الشيء فهو مجرد خاطر خطر على باله و خياله كأبي بشر قد تعرض له مثل هذه الخواطر و الأوهام. فلم ينجح أبو مسلم في مسعاه لإقناع السفّاح بقتل أبي سلمة رغم ما بذله أبو مسلم في هذا الصدد. ثم علم أبو

مسلم ان أباسلمة علم بالمكيدة فصم على قتله بنفسه و كذلك فعل فقد كان أبوسلمة يقضي أكثر الليالي مع السفّاح يتبادلان الحديث ثم يعود في آخر الليل فأمر أبو مسلم أن تكمن له جماعة و تقتله و حيث كان بعض حاشية السفّاح في رفقة (القاتل أو القاتلين) فإن دم أبي سلمة قد راح هدرأ.

و هذه الأمور حدثت في السنين الأولى لخلافة بني العباس .
و هناك حادثة نقلت و يكثر التساؤل عنها وهي :

رسالة أبي سلمة إلى الإمام الصادق عليه السلام و عبدالله المحض

يذكر المسعودي في تاريخه ان أبا سلمة رأى في آخر الأمر أن يعيد الخلافة من بني العباس إلى آل أبي طالب، أي انه في تمام مدة اشتغالهم بالدعوة كان أبو سلمة يدعو لبني العباس حتى سنة ١٣٢ هـ - حيث ظهر بنو العباس في العراق علناً وفتحوها. و كان إبراهيم الإمام يعمل سراً فيها قزيب الشام و كان هو الأخ الأكبر و كانوا قد طلبوا منه ان يكون الخليفة لكن إبراهيم وقع في قبضة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية و لما أحس أن مخبأه قد عرف و انه عن قريب سيؤخذ كتب وصية أرسلها مع أحد رجاله إلى أخويه في «الحميمة» و هي مركز قرب الكوفة يرسم في تلك الرسالة الخط السياسي في المستقبل و عيّن فيها خلفه و ذكر لهم الاحتمال القوي أنه يقتل «فإن متّ فالسفّاح هو الخليفة» (و قد عيّن السفّاح مع انه كان أصغر من المنصور) و أمرهم أن آن الأوان للخروج من الحميمة فذهبوا أو اختبئوا في الكوفة فقد قرب وقت الظهور. قتل إبراهيم و وصلت الرسالة إلى

أخويه فانتقلا سراً إلى الكوفة وبقيا متسترين مدة وكان أبو سلمة أيضاً يعمل في الكوفة سراً يقود النهضة فما أن مضى شهران أو ثلاثة حتى أعلنوا عن أنفسهم وحرّبهم وفتحوا العراق. ذكروا أنه بعد أن قتل إبراهيم وانتقلت الأمور إلى السفاح والآخرين ندم أبو سلمة ورأى أن يرجع الخلافة من بني العباس إلى آل أبي طالب فكتب رسالة بنسختين أرسلهما سراً إلى المدينة إحداهما إلى الإمام الصادق عليه السلام والأخرى إلى عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب^(١) وقال لمأموره سلّم هاتين الرسالتين سراً إلى هذين الشخصين ولا تخبر أيّاً منهما أن هناك رسالة للآخر^(٢). وخلاصة ماكتبه في الرسالة ان الخلافة أمرها بيدي وأمر الكوفة بيدي أنا الذي جعلت القضية لصالح بني العباس فإن وافقتم أعيد الأوضاع لصالحكم.

١ - كان للإمام الحسن عليه السلام ابن اسمه الحسن أيضاً يقال له الحسن المثنى أي الحسن الثاني وقد كان الحسن المثنى في كربلاء مع الإمام الحسين عليه السلام لكنه كان من المجروحين ولم يُقتل وعندما جاؤا إلى الجرحى أخذه أحد أقاربه من جهة أمه معه وتشفّع له عند عبيدالله ابن زياد لا يتعرّضوا له ثم عولج الحسن المثنى وشفى وتزوّج من فاطمة بنت الحسين عليه السلام - التي كانت في كربلاء أيضاً لكنها كانت لا تزال صغيرة السن وفي البيت وكتبوا أنها: كانت جارية - وضيفة - (وفاطمة هذه التي طلب شخص من يزيد أن يهبه إياها وسكت يزيد ثم كرّر الطلب فاعترضت زينب عليها السلام وقرّعته وانزعج يزيد أيضاً فشتمه على قوله ذلك) وأولدت فاطمة ولدين أحدهما عبدالله، فعبدالله من جهة أمه حفيد الإمام الحسين عليه السلام ومن جهة أبيه حفيد الإمام الحسن عليه السلام وكان يفخر بذلك ويقول قد أولدتني فاطمة (أي فاطمة الزهراء عليها السلام المترجم) مرتين وأولدني النبيّ مرتين ولهذا كان يقال له عبدالله المحض أي كان من أولاد النبيّ خالصاً وعبدالله كان زعيم بني الحسن عليه السلام في زمان الإمام الصادق عليه السلام كما ان الامام الصادق عليه السلام كان كبير بني الحسن عليه السلام.

٢ - في جلسة لا حقة ذكر الاستاذ الشهيد ان «أبو سلمة قد ارسل الرسالتين مع شخصين» فيحتمل أن النقل متعدد.

ردّة فعل كل من الإمام عليه السلام و عبدالله المحض

أوصل المبعوث الرسالة أولاً إلى الإمام الصادق عليه السلام (ليلاً) ثم إلى عبدالله المحض وكانت ردّة فعل كل منهما على طرفي تقيض مع الآخر فعندما وصلت الرسالة إلى الإمام الصادق عليه السلام قال المرسل أتيتك بهذه الرسالة من أحد شيعتك من أبي سلمة فقال عليه السلام ليس من شيعتي أبو سلمة، قال على كل حال هذه رسالة و ينتظر الجواب فطلب عليه السلام السراج فأحرق الرسالة دون أن يقرأها بحضور المرسل و قال له هذا هو الجواب لصاحبك ثم أنشد عليه السلام:

أياموقداً ناراً لغيرك ضوؤها و يا حاطباً في غير حبلك تحطب^(١)
و القدر المتيقن أن الإمام عليه السلام يريد أن يبين ان هاهنا رجلاً يتعب و الآخر هو الذي ينال ثمرة ذلك التعب و حينئذ اما انه عليه السلام أراد التمثيل لحال أبي سلمة انك تتعب كل هذا التعب و لن تجني منه شيئاً بل المستفيد غيرك أو أنه عليه السلام يخاطب نفسه إذا وافق على طلب أبي سلمة و المعنى أنه يدعوني إلى أمر نبذل نحن الجهد فيه و يستفيد منه غيرنا.

إذن لم يكن هناك أي أمر آخر فقد أحرق الإمام عليه السلام الرسالة و أنشد ذلك البيت. ثم ذهب المرسل إلى عبدالله المحض و سلمة الرسالة فابتهج بها و ناله منها سرور عظيم. يقول المسعودي فركب عبدالله في الصباح الباكر دابته و توجه إلى الإمام

١ - كل حاطب يجلب أولاً حبلأكي يضع عليه الحطب ليربطه به ثم يحمله فإذا اشتبه و وضعه في حبل غيره فإن صاحب الحبل سيأخذه.

الصادق فبالغ الإمام عليه السلام بإكرامه - فقد كان من بني أعمام الإمام عليه السلام وكان عليه السلام يعرف ما القضية - فسأله هل من جديد؟ فقال: نعم هو أجلّ من أن يوصف وقد أتتني رسالة من أبي سلمة يقول فيها ان شيعتنا في خراسان مهَيَّوون كي تعود الخلافة والولاية إلينا و طلب منّي قبول الأمر، يذكر المسعودي^(١) ان الإمام عليه السلام قال له: «متى كان أهل خراسان شيعة لك؟ أنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان؟ و هل أنت الذي طلبت منهم لبس السواد و أن يتخذوا اللباس الأسود شعاراً^(٢) و هل أنت الذي طلبت من الخراسانيين^(٣) الذين قدموا إلى هنا أن يقدموا؟ و هل فيهم من يعرفك؟ فانزعج عبدالله من هذا الكلام - و الانسان عندما تكون رغبته قوية في شيء و تأتية البشرى به فإنه لن يستطيع أن يفكر بالمسألة من كل جوانبها - فبدأ بالحديث مع الإمام الصادق عليه السلام في المسألة: ما تقول أنت؟ إنما يريد القوم ابني محمد لأنه مهديّ هذه الأمة (و هذه قصة أخرى سنذكرها فيما بعد) فقال عليه السلام: أقسم بالله انه ليس المهدي و إذا قام ابنك محمد فسيقتل لا محالة فزاد انزعاج عبدالله حتى تجرّأ وقال: أنت تقول ذلك حسداً فأقسم له عليه السلام أنه لا يريد إلاّ صلاحه

١ - المسعودي رجل مؤرخ و بالنسبة لتشيّعه أو تسنّنه فبحسب مفهومنا اليوم فهو قطعاً ليس من شيعتنا لان القدر المتيقّن في التمييز بين الشيعي و السنيّ هو مسألة الخلافة و أن أبا بكر غيره غاصبون لها مع ان المسعودي يجلّ الخلفاء جداً. نعم هو في الوقت ذاته يحترم الأئمة عليهم السلام احتراماً شديداً و له كتاب اسمه: إثبات الوصية. لكن الظاهر أنه سنيّ و على كل حال فهو في الدرجة الأولى من مؤرّخي الإسلام.

٢ - ذكروا ان اللباس الأسود قد اتخذ لباساً للعزاء بيحيى بن زيد.

٣ - ففي تلك الأثناء جاءت جماعات من خراسان إلى العراق و هؤلاء هم الذين ساعدوا العباسيين بالإضافة إلى جماعة من العرب.

و ليس من مصلحته ذلك و لن تكون له نتيجة. ثم قال له عليه السلام: فوالله ان أبا سلمة أرسل لي عين هذه الرسالة التي كتبها لكنني أحرقتها قبل أن أقرأها فذهب عبدالله و هو منزعج جداً من الإمام الصادق عليه السلام.

هذه الأمور رافقتها تغيّرات عديدة في العراق. فما هي هذه التغيّرات؟ عندما ظهر بنو العباس كان أبو مسلم يسعى جاهداً للقضاء على أبي سلمة بتأييد أعمام السفّاح. فما كاد مبعوث أبي سلمة يصل من المدينة إلى الكوفة حتى كان أبو سلمة مقتولاً. فلم يصل إليه الجواب الذي كتبه إليه عبدالله المحض.

تحليل

مع هذا الوصف الذي ذكره المسعودي^(١) و الذي لم يذكر الآخرون غيره فإن قضية أبي سلمة واضحة جداً في رأيي فأبو سلمة رجل سياسي و ليس شيعياً من أنصار الإمام الصادق عليه السلام على حدّ تعبير الإمام عليه السلام. و لعله غير خافٍ علينا أنه قد غير سياسته فجأة من العمل لصالح بني العباس لكنه لا يملك البديل ليأتي به إلى الخلافة إذ الناس لم تكن ترضى برجل من غير أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله و لا بدّ أن يكون الشخص مقبولاً لدى الناس فليس له إلا أن يلتجئ إلى آل أبي طالب فهو لا يريد من بني العباس. و في آل أبي طالب شخصيتان بارزتان الإمام

١ - لا أريد أن أعتمد على نقل المسعودي دون غيره فالآخرون لم يذكروا غير ذلك والمسعودي نقل القضية أكثر تفصيلاً أما الآخرون فقد أشاروا إشارة إلى أن أبا سلمة كتب إلى الإمام جعفر الصادق و الإمام أحرق الرسالة و لم يجب عليها و لم يذكروا أكثر من ذلك لكن المسعودي فصل في القضية.

الصادق عليه السلام و عبدالله المحض، و السياسة تقتضي أن يكتب لكليهما فحيث أصاب سهمه فسيستفيد منه، فلم يكن عمل أبي سلمة نابغاً من تدين وإخلاص بل أراد شخصاً يجعله وسيلة لأهدافه. على أن عمله هذا لم يكن ذا نتيجة بدليل أنه قتل قبل أن يصل إليه جواب تلك الرسالة فخدمت المسألة كلياً. و إنني لأتعجب من بعض مدّعي الخبرة بالتاريخ - على ما سمعت - أنه يقول لِمَ لم يقبل الإمام الصادق عليه السلام بما كتبه إليه أبو سلمة خلال. فإنه لم يكن هناك أي ظرف مهياً لذلك، لا من جهة الشروط المعنوية بحيث يكون الذين يعرضون الأمر ذوي نية خالصة و لا الشروط الظاهرية و هي توفرّ الإمكانات.

و حيث جئنا على ذكر عبدالله المحض، و كنّا قد ذكرنا في مقدمة الحديث أن الإمام الصادق عليه السلام لم يتعاون مع بني العباس من أول الأمر أو أنه عليه السلام لم ينهض فمن الضروري التعرّض لحادثة أخرى تدلّ على أن الإمام الصادق عليه السلام قد بين من أول الأمر ما هو لون هذه الإنتفاضات ضدّ الأمويين و سنستفيد أيضاً من كتاب أبي الفرج الاصفهاني إذ لم أجد في ما بحثت من نقل ذلك أكثر تفصيلاً منه و أحسن منه. و أبو الفرج مؤرّخ أموي سنّي و يقال له الاصفهاني باعتبار سكناه فيها و الا فهو ليس اصفهانياً بل أموياً و مع أنه أمويّ إلا أنه مؤرّخ سنّي موضوعي و الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد ينقل عن أبي الفرج هذا، لا من روايات الشيعة.

الإجتماع السريّ لرؤساء بني هاشم

و القضية هي انه في بدايات الإنتفاضة ضدّ الأمويين عقد اجتماع سريّ ضمّ

رؤساء بني هاشم و ذلك في الابواء^(١) و هي محلّة بين مكّة والمدينة، حضر الاجتماع أولاد الإمام الحسن عليه السلام، عبدالله المحض و إبنه محمد و إبراهيم الإمام و أبو العباس السفّاح والمنصور و آخرون من أعمامهم. و تصدّى للحديث عبدالله المحض قائلاً يا بني هاشم أنتم قوم، كل العيون عليكم و الرقاب مشرّبة إليكم وقد هبّا الله وسيلة جمعنا فيها هنا فهبّا نبايع هذا الشاب - يريد إبنه - و نختاره قائداً و نحارب الأمويين.

هذه الحادثة جرت قبل زمن طويل من قضية أبي سلمة أي قبل ما يقرب من ١٢ سنة من قيام الخراسانيين، و أوّل ما بدىء بالعمل كان بهذا النحو:

البيعة لـ «محمد ذي النفس الزكيّة»

ابتداءً لم يكن بنو العباس يرون لأنفسهم ساحة جاهزة فأوأن يرضوا في ابتداء الأمر بأحد أبناء آل علي، يكون وجيهاً عند الناس ثم يعملون على إزاحته

١ - يكثر ذكر هذه المحلة في تاريخ الإسلام فهي المكان الذي توفيت فيه آمنة أم النبي الأكرم عليه السلام عندما كان الرسول صغيراً بعمر خمس سنين تقريباً حيث كان برفقتها إلى المدينة لزيارة أقاربها، فللرسول قرابة مع أهل المدينة و أثناء الرجوع مرضت و توفيت في تلك المحلة فبقي النبي عليه السلام مع أمة والدته أم أيمن (التي كانت معهم) فعاد معها إلى مكة. و وفاة أمة عليها السلام في الغربة في منزل وسط الطريق ملفت للنظر و لهذا ذكروا ان النبي عندما أتى المدينة (أتاها و عمره الشريف ٥٣ سنة أمضى العشر سنين الأخيرة من عمره في المدينة) و في إحدى أسفاره مرّ بالأبواء هذه فعندما وصلوا إليها رأى أصحاب النبي الأكرم انه سلك لوحده طريقاً في اتجاه معيّن فوصل إلى نقطة وقف عندها ثم جلس و دعا ثم رأوا الدموع تجري فتعجّب الجميع و تساءلوا؟ فقال عليه السلام لهم: هذا قبر والدتي. فهو عليه السلام لم يمرّ من ذلك المكان مدة الخمسين عاماً تقريباً أي من حين كان عمره الشريف خمس سنين و عندما تسنّى له ذلك ذهب يدعو و يبكي.

فيما بعد. فقبلوا لهذا السبب بمحمد ذي النفس الزكية، ومحمد هو ابن عبد الله المحض الذي ذكرنا أنه ابن للإمام الحسين بن عليّ من طرف الأم وكذلك من طرف الأب^(١) وكان عبد الله رجلاً مؤمناً تقياً وجميلاً، أخذ الجمال من أمه بل من أمهاته (فإن أم أمّه كانت معروفة بجمالها الرائع) كما ورثه من طرف الأب. إضافة إلى أن اسمه^(٢) محمد وهو اسم النبي وامي أبيه عبد الله، ومن القضاء أن في ظهره خالاً فاعتقد هؤلاء أن محمداً هذا هو مهدي هذه الأمة الذي سيظهر وينقذ العالم وأن هذا العصر هو عصره بعد أن ورد في الروايات بأنه إذا اشتدّ الظلم فإن أحد أبناء النبي ﷺ، أحد أبناء الزهراء عليها السلام سيظهر اسمه اسم النبي وعلى ظهره خال. وعلى الأقلّ كان هذا الوهم موجوداً لدى أولاد الحسن عليه السلام أما بنو العباس فإما انهم اعتقدوا بذلك أو أنهم من أول الأمر عملوا بحيلة.

وكيف كان فقد وقف عبد الله المحض - حسب نقل أبي الفرج - وبدأ بالحديث و دعا الجمع أن هلمّوا في هذه المكان نبايع الواحد تلو الآخر أحداً منا ولنستعاهد وندعو الله لعلنا نتنصر على بني أمية. ثم قال: أيها الناس تعلمون ان ابني هذا هو المهدي فهبّا لمبايعته.

هنا قال المنصور: «لا على أنه المهدي بل لأنه في نظري الأكثر جدارة لهذا العمل. فهو على حق هلمّوا نبايعه» وأعلن الجميع تأييدهم و وافقوا على مبايعة

١ - كذا في النسخة الفارسية و الظاهر أن هاهنا خطأ الطبع و ان المراد انه ابن الإمام الحسن عليه السلام من طرف الأب. (المترجم)

٢ - كذا في النسخة الفارسية و الظاهر وجود خطأ إذ الحديث كان عن عبد الله فصار عن محمد بلا فصل أو إشارة إلى الانتقال فقد يكون الأصل: وكان محمد رجلاً مؤمناً. فلا حظ. (المترجم)

محمد وقد بايعوه. ثم أرسلوا في طلب الإمام الصادق عليه السلام ^(١). عندما دخل الإمام الصادق عليه السلام قام عبدالله المحض الذي كان يدير المجلس وأجلس الإمام عليه السلام إلى جانبه ثم أعاد ما كان قد تُكلم به من أن الأوضاع كذا وان الكل يعلم ان ابني هذا هو مهدي هذه الأمة وقد بايعه الآخرون فهل أنت أيضاً لمبايعته. فقال الإمام عليه السلام: لا تفعلوا ذلك فإن هذا الأمر لم يحن بعد ان كنت ترى - يخاطب عبدالله - ان ابنك هذا هو المهدي فليس كذلك ولا هذا أوانه «وان كنت إنما تريد أن تخرجه غضباً لله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فإننا والله لا ندعك فأنت شيخنا ونبايع ابنك في الأمر». كان كلام الإمام عليه السلام واضحاً جداً فهو يقول به: إذا أردت مني البيعة لابنك على أساس انه مهديّ هذه الأمة فهذا كذب وأنا لا أبايع فهو ليس المهدي ولم يثن بعد وقت ظهور المهدي أما إذا أردت مني ذلك على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الظلم فأنا أبايع. هنا اتضح موقف الإمام عليه السلام تمام الوضوح فهو عليه السلام مستعدّ للمشاركة في الجهاد لكن تحت شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقاومة الظلم وهو غير مستعدّ للمشاركة تحت شعار ان محمد هذا هو مهديّ الأمة، قالوا: لا هذا هو المهدي وهو أمر واضح، فقال عليه السلام: لا أبايع فانزعج عبدالله، حينئذ قال الإمام عليه السلام لعبدالله: أقول لك ليس فقط ان ابنك ليس هو المهدي فإن عندنا أهل البيت أسراراً ونحن نعلم من يصير خليفة ومن لا يصير، ابنك لن يصير خليفة وسيقتل. يقول أبو الفرج: فتضايق عبدالله

١ - يقول أبو الفرج في بعض الروايات أن عبدالله قال لا ترسلوا في طلب جعفر فإنه إن أتى لن يوافق وسيفسد علينا الأمر، لكن الآخرين رفضوا فانتهى الأمر بأن أرسلوا في طلبه عليه السلام. والبعض الآخر قال ان عبدالله لم يقل مثل ذلك.

وقال: لا أنت تتكلم بخلاف ما تعتقد وأنت تعلم ان ابني هذا مهديّ هذه الأمة وإنما تقول ذلك حسداً، فقال عليه السلام: والله ما ذاك دافعي و غايتي ولكن هذا وإخوته وأبناؤهم دونكم. و ضرب يده على ظهر أبي العباس ثم ضرب يده على كتف عبدالله بن الحسن وقال: أيه - وهي كلمة تطلق حال البشاشة - ما هي إليك ولا إلى إبنيك (كان عليه السلام يعلم أنه يحرص على الخلافة وليس أي شيء آخر) وذكر له أن ولديه مقتولان فهؤلاء لن يسمحوا لهما بالوصول إلى الخلافة ثم خرج عليه السلام وقد اتكى على يد عبدالعزيز بن عمران الزهري^(١) وقال له هامساً رأيت صاحب الرداء الأصفر (يقصد أبو جعفر المنصور) قال: نعم، قال: أقسم بالله ان هذا الرجل سيقتل أولاد ذلك الرجل. فتعجب عبد العزيز وقال له: هؤلاء الذين يبايعونه سيقتلهم؟ قال: نعم. يقول عبد العزيز: فوقع في قلبي أن لعلّ هذا الكلام يقوله عن حسد، ثم يقول عبدالعزيز وأقسم بالله أنني لم أرحل عن الدنيا إلا وقد رأيت أبا جعفر المنصور وقد قتل محمداً والإبن الآخر لعبدالله.

وفي الوقت نفسه كان الإمام عليه السلام يحبّ محمداً ويذكر أبو الفرج أنه: كان جعفر بن محمد إذا رأى محمد بن عبدالله بن الحسن تغرغرت عيناه ويقول بنفسه هو، ان الناس ليقولون فيه وإنه لمقتول، ليس هذا في كتاب عليّ من خلفاء هذه الأمة. فقول عليه السلام بنفسه هو يدلّ على مدى حبه عليه السلام له.

مما ذكرنا يتضح ان انطلاقة هذه النهضة كانت باسم المهدوية وقد خالفها الإمام الصادق عليه السلام بشدة وقبل المشاركة على أساس الأمر بالمعروف النهي عن المنكر

ورفض البيعة على أساس المهدوية أما بنو العباس فقد كان لهم حسابهم الخاص وهو مسألة المُلْك والسياسة.

خصوصيات عصر الإمام الصادق عليه السلام

من الضروري ان أُبين مسألة مهمة وهي ان زمان الإمام الصادق عليه السلام من وجهة نظر إسلامية زمان متميّز، زمان برزت فيه النهضات و التورات الفكرية أكثر من النهضات و التورات السياسية، عصر الإمام الصادق عليه السلام يبدأ من العقد الثاني للقرن الثاني حتى العقد الخامس منه فإن أباه عليه السلام توفي سنة ١١٤ هـ. فتسلّم الإمام الصادق عليه السلام حينئذٍ الإمامة و بقي حياً حتى سنة ١٤٨ هـ أي ما يقرب من نصف قرن و كان قد مضى على ظهور الإسلام ما يقرب من قرن و نصف القرن. كما كان قد مضى على الفتوحات الإسلامية حوالي القرن، و قد دخل في المجتمع الإسلامي جيلان أو ثلاثة أجيال من المسلمين الجدد من شعوب مختلفة وكانت قد بدأت ترجمة الكتب في عصر بني أمية فدخلت شعوب ذات ثقافات و آداب مختلفة في الإسلام. و النهضة السياسية كانت باهتة في العالم الإسلامي لكن النهضة الثقافية انتشرت بكثرة و كثير منها كان يهدد الإسلام فقد ظهر الزنادقة في ذلك العصر و هؤلاء بحدّ ذاتهم قضية، فهؤلاء ينكرون الله و الدين و النبي و قد أعطاهم بنو العباس الحرية ضمن خطة معيّنة كما ان التصوّف ظهر بشكل مختلف وبرز فقهاء أتوا بفقّه جديد - يعتمد الرأي و القياس - و غير ذلك.

ظهرت في المجتمع الإسلامي إختلافات فكرية لم يكن لها نظير لا من قبل و لا من بعد. فعصر الإمام الصادق عليه السلام يختلف عن عصر الإمام الحسين عليه السلام بعد السماء

عن الأرض فزمن الإمام الحسين عليه السلام كان عصر اختناق كامل ولهذا نرى أن ما نقل عن الإمام الحسين عليه السلام من أحاديث طول مدة إمامته لا يتجاوز الخمسة أو الستة أحاديث وعلى العكس من ذلك بالنسبة للإمام الصادق فعل أثر تلك الاختلافات السياسية وهذه النهضة الثقافية تهيأت ساحة مهمة بحيث ذكروا اسم أربعة آلاف ممن تتلمذوا عند الإمام عليه السلام ولهذا فلو افترضنا - وهو فرض غير صحيح - أن الإمام الصادق عليه السلام قد عاش من الجهة السياسية ذات الظروف التي عاشها الإمام الحسين عليه السلام - والحال أن الأمر ليس كذلك - لكان هناك تفاوت كبير من نواح أخرى بين موقع الإمام الصادق عليه السلام وموقع الإمام الحسين عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام ترتبت على شهادته آثار كثيرة، لو لم يستشهد لكان معنى ذلك جلوسه عليه السلام في بيته مقفلاً بابه دون أن ينفع الناس، أما الإمام الصادق عليه السلام فحتى لو فرضنا أنه استشهد و أن استشهاده سترتب عليه نفس آثار شهادة الإمام الحسين عليه السلام لكن مع عدم استشهاده حقق نهضة فكرية وعلمية في العالم الإسلامي أثرت في مصير هذا العالم ولم ينحصر بالمجتمع الشيعي وهذا ما سنوضحه في الجلسة المقبلة.

الجلسة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكرنا في الجلسة السابقة ان من الأئمة الذين كانوا على تماس مع مسألة الخلافة و الحكومة الإمام الصادق عليه السلام. بمعنى انه أولاً طراً وضع جعل كل الذين يدعون الحكومة و الخلافة في حالة حركة و غليان ما عدا الإمام الصادق عليه السلام الذي تنحى جانباً و الخصوصية الأصلية لزمانه عليه السلام هي تلك العلل و الأسباب التي أدت إلى أن تنتقل الحكومة من الأمويين إلى العباسيين إضافة إلى ذلك نرى شخصية مثل أبي سلمة الخلال الذي كان مقدماً على أبي مسلم (لقب هو بوزير آل محمد بينما لقب أبو مسلم بأمير آل محمد) (و قد بذل جهده كي تنتقل الخلافة من الأمويين إلى العباسيين) نراه بعد انقراض الأمويين و استقرار الحكومة للعباسيين يبدل رأيه و يسعى لنقل الخلافة إلى آل علي عليه السلام فيكتب رسالتين يرسلهما إلى المدينة عبر شخصين أحدهما إلى الإمام الصادق عليه السلام و الآخر لعبد الله المحض - من أبناء عم الإمام و أحد أولاد الإمام المجتبى عليه السلام - و عبد الله المحض يفرح و يتقبل الخبر لكن الإمام الصادق عليه السلام يبدي أقصى حالات عدم المبالاة حتى انه عليه السلام لم يقرأ الرسالة و أحرقها بحضور المرسل و ان هذا هو جواب الرسالة و قد تحدثنا بالتفصيل عن هذا الامر.

و بشكل عام فقد كان واضحاً ان الإمام عليه السلام اعتزل كلياً عن التصديي لأمر

الحكومة والخلافة و لم يقدم على أي عمل يدلّ على نيّة الإمام في تسلّم هذه الزعامة. فما السبب؟ وعلى أي أساس كان ذلك؟ طبعاً لا شكّ أنه لو كانت الظروف مؤاتية تُمكن الإمام (عليه السلام) من تسلّم الحكم لو أراد، لكان من اللازم الإقدام. إلا أن الكلام هو أن الساحة وإن لم تكن مساعدة على ذلك تماماً إلا أنها كانت مؤاتية ولو بنسبة ٥٠ بالمئة فما المانع من أن يقوم الإمام (عليه السلام) وإن أدّى ذلك إلى مقتله (عليه السلام)؟ فيعود البحث من جديد عن المقايسة مع وضع ونهج الإمام الحسين (عليه السلام).

و هنا سنتحدّث بمقدار ما حول خصوصيات وشخصيات عصر الإمام الصادق (عليه السلام) والآثار التي حققها (عليه السلام) على الصعيد الإسلامي بحيث لو فرض وجود الإمام الحسين (عليه السلام) في عصر الإمام الصادق (عليه السلام) لقام بالعمل نفسه قطعاً فما هو الفرق بين هذا العصر وبين عصر الإمام الحسين (عليه السلام) وقد ذكرنا ان البحث ليس في أن الفرصة كانت سانحة تماماً لاستلام الحكم والإمام لم يقم بذلك بل لماذا لم يضحى الإمام بنفسه؟.

مقارنة بين عصر الإمام الحسين و عصر الإمام الصادق (عليه السلام)

الفاصل الزمني بين هذين العصرين يكاد يكون قرناً فقد كانت شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) عام ٦١ للهجرة و وفاة الإمام الصادق (عليه السلام) كانت عام ١٤٨ للهجرة أي بين هاتين الوفايتين مدة ٨٧ سنة و قد تبدّلت الأمور في العالم الإسلامي خلال هذه المدة تبدلاً عظيماً ففي عصر الإمام الحسين (عليه السلام) لم تكن هناك إلا مسألة واحدة مطروحة على مستوى العالم الإسلامي هي مسألة الخلافة و الحكومة و كل

العوامل كانت عبارة عن هذه الحكومة و جهاز الخلافة، فالخلافة كانت تعني كل شيء و كل شيء كان يعني الخلافة، أي أن ذلك المجتمع المسلم كان باقٍ على بساطته التي وجد عليها و كان البحث يدور فيمن هو الذي يتولّى الأمر؟ و لهذا كان جهاز الخلافة يشرف على شؤون الحكومة و قد بسط معاوية بساط الديكتاتورية بشكل عجيب أي أن الوضع و الزمان و الظروف قد هيئت له إلى حدّ أنه لم يكن يسمح لأحد أن يتنفس فلو أراد الناس نقل شيء مخالف لسياسة الحكومة لكان من المستحيلات، و قد ذكروا أنه إذا أراد أحد نقل حديث في فضائل عليّ ؑ لم يكن ينقله إلا لمن كان مؤمناً خالصاً و من يُطمأن له لن يفشي بذلك و قد كانوا يذهبون و يتحدثون في غرف صغيرة و توضع فيها صناديق الثياب و نحوها فالوضع كان عجيباً. كانوا في كل صلاة جمعة يلعنون أمير المؤمنين ؑ حتى في حضور الإمامين الحسن و الحسين ؑ. كان ؑ يلعن من على منبر النبي ﷺ في مسجد النبي ﷺ و لذا نرى أن تاريخ الإمام الحسين ؑ فترة حكم معاوية أي منذ استشهاد أمير المؤمنين ؑ و حتى استشهاد ؑ كان تاريخاً مجهولاً و لا يوجد أي شخص يعطي إشارة عن الإمام الحسين ؑ و لا ينقل أي شخص عنه ؑ أي خبر، أي حديث، أي جملة، أو خطبة أو لقاء. كانوا ؑ في انزواء عجيب إلى درجة أنه لم يكن بمقدورهم الإتصال بأحد. و لو أن الإمام الحسين ؑ عمّر مع هذا الوضع خمسين سنة أخرى لبقى الأمر على هذه الحال أي لم يكن لينقل عنه ثلاث جمل. سلبت كل إمكانية للعمل في تلك الساحة لكن الأوضاع كانت مختلفة عن ذلك في أواخر عصر بني أمية الذي انتهى بسقوطهم و في زمان العبّاسيين بشكل عام و بالخصوص أوائله (لا أريد أن أقول أن بني

العباس هم الذين أوجدوا الحرية بل كان ذلك الأمر مرتبطاً بطبيعة المجتمع الإسلامي آنذاك) بحيث:

أولاً: وجدت الحرية الفكرية بين الناس (و لا شك في وجود مثل هذه الحرية، حرية الفكر، حرية المعتقد) إلا ان الكلام في سبب هذه الحرية الفكرية و هل ان ذلك كان من سياسة بني العباس واقعاً أم لا ؟

و ثانياً: ظهور فوران و نشاط علميين بين الناس لأنه لم تكن هناك أي سابقة في التحرك نحو العلوم بحيوية و نشاط سواء كانت تلك العلوم إسلامية - أي العلوم المرتبطة بالإسلام مباشرة مثل علم القراءات، علم التفسير، علم الحديث، والمسائل المرتبطة بعلم الكلام و الفروع الأدبية المختلفة - أم كانت غير إسلامية والتي تسمى بالعلوم الانسانية الكلية كالطب و الفلسفة و الفلك و الرياضيات و قد ذكر في كتب التاريخ انه قد ظهرت فجأة حركة علمية غير عادية و الأرضية قد تهيأت لان يعرض كل إنسان ما يملك من أفكار. أي توقّرت الساحة التي كانت مفقودة في الأزمنة السابقة حتى ما قبل أواخر حياة الإمام الباقر عليه السلام و عصر الإمام الصادق عليه السلام. ففجأة كان كل رجل من رجال العلم و الفكر و الحديث مدعواً لقول ما عنده، طبعاً كان ذلك حصيلة عدة عوامل بحيث لو أراد بنو العباس الوقوف في وجه ذلك لم يكن ذلك مقدوراً لهم فهناك أعراق مختلفة دخلت المجتمع الإسلامي و التي كان أكثرها حيوية الإيرانيون و كان من تلك الأعراق المصريون. و كان أقواها و أعلمها بلاد ما بين النهرين و سوريا التي كانت مناطقهم مركزاً من مراكز التمدّن في ذلك العصر. هذه الملل المختلفة حقّق الاختلاف فيما بينها رويداً رويداً ساحة لتبادل الأفكار. و عندما دخل هؤلاء في الإسلام رغبوا في التعرّف أكثر

على طبيعة الإسلام، وقد أهمل العرب التعمق والتدبر والبحث في القرآن إهمالاً كبيراً. أما الأمم الأخرى فقد أكثرت من البحث حول القرآن وما يرتبط به من مسائل بشكل لا ينتهي عند حدّ حتى ان البحث كان ينصبّ على القرآن كلمة كلمة.

معركة المذاهب

برزت في ذلك الزمان فجأة سوق لمعركة عقائدية حامية. لنرى كيف كانت حرارتها؟ شرع أولاً في البحوث حول تفسير القرآن وقراءة آياته فظهرت طبقة القراء أي الذين يقرأون القرآن ويعلمون الناس كلمات القرآن بالطريقة الصحيحة - ولم يكن الأمر كما عليه الآن حيث تتوفّر طباعة القرآن - فكان أحدهم يسند قراءته للقرآن عن فلان عن فلان عن فلان من أصحاب النبي ﷺ - وأغلب هؤلاء القراء ينتهي سندهم عند أمير المؤمنين عليه السلام - ومثله يقول الآخر، فكانوا يأتون المساجد يعلمون الآخرين قراءتهم وكان أكثر المشاركين في هذه الحلقات من غير العرب لأن غير العرب لم تكن معرفتهم باللغة العربية كافية فصاروا على علاقة قوية بتعلّم القرآن. كان الأستاذ يقرأ القرآن في المسجد فيتعلم منه القراءة جماعة كثيرة بل كانت أحياناً تظهر اختلافات في القراءة.

والأكثر من ذلك، الأمر في تفسير وبيان معاني القرآن، هل معنى الآية هو هذا أم ذاك؟ وكذلك كان الأمر في الحديث والروايات الواصلة عن النبي ﷺ. ولا تسلب عن الفخر الذي كان لدى حافظ الأحاديث، كان يجلس ويقول: أروي هذا الحديث عن فلان عن فلان عن النبي ﷺ، و هل أن هذا الحديث صحيح ؛ و هل كان بهذه العبارة مثلاً؟

وأرقت من ذلك كله بروز المذاهب الفقهية، ولما كان الناس بحاجة لأن يسألوا عن دينهم تأتي الناس تسأل عن المسألة - كما اليوم يأتون ليسألوا عن مسألة - فقد ظهرت طبقات منتشرة في الأماكن المختلفة باسم الفقهاء تصدّت لتقديم الأجوبة للناس: هذا حلال، هذا حرام، هذا طاهر، هذا نجس، هذه المعاملة صحيحة، وهذه فاسدة. كانت المدينة إحدى تلك المراكز كما ان الكوفة كانت كذلك والتي كان أبو حنيفة فيها. والبصرة كانت مركزاً آخر.

ثم ان الأندلس فتحت في زمان الإمام الصادق عليه السلام وفتحت المراكز في تلك النواحي بالتدريج كانت كل مدينة من مدن الإسلام مركزاً مستقلاً و صار يقال رأي الفقيه الفلاني كذا ورأي الفقيه الآخر كذا، هؤلاء تلاميذ تلك المدرسة وأولئك تلاميذ هذه المدرسة. فبرزت معركة مذهبية على الصعيد الفقهي أيضاً.

و الأكثر حماسة - لا أهمية - المباحث الكلامية. وقد ظهرت في القرن الأول فئة عرفت باسم المتكلمين (ونرى هذا التعبير في كلمات الإمام الصادق عليه السلام حتى أنه عليه السلام كان يقول لبعض تلامذته فليأت هؤلاء المتكلمون) كان بحث المتكلمين في العقائد وأصول الدين: حول الله، حول صفات الله، حول الآيات القرآنية المرتبطة بالله، هل الصفة الفلانية الثابتة لله هي عين الذات؟ أم أنها مغايرة للذات؟ وهل الوصف الفلاني حادث أم قديم؟ حول النبوة و حقيقة الوحي، حول الشيطان، حول التوحيد و الثنوية، وفي ان العمل هل هو ركن في الإيمان بحيث لا إيمان بلا عمل أم لا دخل للعمل في الإيمان؟ وفي القضاء و القدر، حول الجبر و الاختيار. وبالجملة فقد أوجد المتكلمون ساحة حماسية بكل معنى الكلمة.

وأخطرها - لا أهمّتها أو أكثرها حماسة - ظهور الزنادقة و هم ينكرون الله

والأديان وقد أعطيت لهم الحرية - بغض النظر عن سبب هذه الحرية - حتى أنهم كانوا في الحرمين مكة والمدينة، بل في المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وآله، كانوا يجلسون ويدلون بأقوالهم. طبعاً كانوا يتحدثون على أساس أن عندهم شبهات لا بدّ من ذكرها^(١). والزنادقة كانت فئة من مثقفي ذلك العصر، فئة لها معرفة باللغات الحية في ذلك الزمان فكانوا يعرفون اللغة السريانية التي كانت غالباً هي اللغة العلميّة في ذلك العصر وكثير منهم كانوا على اطلاع باللغة اليونانية وكثير منهم كانوا إيرانيين فيعرفون اللغة الفارسية. والبعض كان يعرف اللغة الهندية. أتت الزندقة من الهند. وهذا أمر جدير بالبحث، من أين أتت الزندقة إلى العالم الإسلامي؟ والأكثر يعتقد أن أصل الزندقة من المانويين.

حدث آخر حدث في ذلك الزمان - وكل الأحداث كانت بين إفراط وتفریط - هي مسألة المتصوّفة ذوي التنسك الجاف فالتصوّفة ظهرت أيضاً في زمن الإمام الصادق عليه السلام أي أنها كانت في زمانه عليه السلام، فئة ذات أنصار لهم تمام الحرية في أن يقولوا ما يريدون، هؤلاء أيضاً وقعوا في تحجر التنسك، هؤلاء لم يكونوا يتحدثون على أنهم مذهب في مقابل الإسلام بل كانوا يدّعون أن حقيقة الإسلام هي ما نقول به نحن فكانوا يطرحون نهجاً غريباً في التنسك الجاف ويقولون أن

١ - لابن أبي العوجاء في هذا المجال تعبير جميل ولطيف أتى يوماً إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال له: يا ابن رسول الله أنت رئيس هذا الأمر؟ أنت كذا، أنت كذا، جدك أتى بهذا الدين فعل كذا... لكن الشخص عندما يأخذه السعال فلا بدّ أن يسعل، عندما تحتقن الأخلاط في حلقه لا بدّ أن يسعل وعندما تأتي الشبهة إلى ذهن الإنسان فلا بدّ من ذكرها فلا بدّ أن أسعل سعلتي الفكرية فأذن لي بأن أقول كلامي، قال له: قل...

الإسلام يدعو إلى ذلك أيضاً، إلى هذا التزهّد الذي لا يمكن تحمّله.
الخوارج والمرجئة شكّل كل منهم مذهباً.

تعاطي الإمام الصادق (ع) مع هذه المجريات الفكرية المختلفة

كل هؤلاء قد واجههم الإمام (ع) وصادفهم فمن جهة القراءات والتفسير كان للإمام (ع) عدة تلامذة و كان للإمام (ع) مناقشات مع الآخرين في قراءة آيات القرآن و في التفسير و كان يصرخ هاتفاً: ما هذا الغلط الذي يقولونه؟ ما هذا الكلام الذي يتكلّمون به، الآيات يجب أن تفسّر بهذا النحو.

و من جهة الحديث كان الأمر واضحاً و كان (ع) يبيّن أن كلام هؤلاء لا أساس له و الأحاديث الصحيحة هي تلك التي نروها نحن عن آبائنا عن النبي (ص).

و في مجال الفقه كانت مدرسة الإمام الصادق (ع) أقوى مدرسة فقيهة في ذلك الزمان حتى أن أهل السنّة يعترفون بذلك و كل أئمة أهل السنّة كانوا من تلامذة الإمام الصادق (ع) إما بواسطة أو بلا واسطة و أولهم أبو حنيفة الذي ذكروا أنه تتلمذ سنتين عند الإمام الصادق و له جملة مذكورة في كتبهم: «لولا السنتان لهلك النعمان» (ونعمان اسم أبي حنيفة فإن اسمه كان النعمان بن ثابت بن زوطي بن مرزبان فأجداده إيرانيون). مالك بن أنس و هو من أئمة أهل السنّة عاصر الإمام الصادق (ع) و تتلمذ عنده أيضاً و يفخر بذلك. الشافعي جاء في عصر متأخّر لكنّه تتلمذ على يد تلامذة أبي حنيفة و على يد مالك بن أنس. و أحمد بن حنبل يرجع نسبه العلمي بإحدى جهاته إلى الإمام الصادق (ع) و كذلك الآخرون، كانت حوزة الإمام الصادق (ع) الفقيهة أكثر رونقاً من سائر الحوزات بشهادة بعض علماء أهل السنّة.

كلام مالك بن أنس حول الإمام الصادق عليه السلام

مالك بن أنس الذي كان في المدينة إلى حد ما رجل لا بأس به. يقول: كنت أذهب إلى جعفر بن محمد وكان كثير التبسم ومن آدابه أنه إذا ذكر اسم النبي في حضوره يتغير لونه - أي ان اسم النبي ﷺ كان مؤثراً إلى ذلك الحد بحيث يتغير لونه عندما يذكره - صاحبه مدة من الزمن، ثم ينقل بعضاً من ملامح عبادة الإمام الصادق عليه السلام وإلى أي حد كان رجل عبادة، عابداً متقياً. وينقل مالك تلك القصة المعروفة، فيقول: كنت في سفر مع الإمام إلى مكة المشرفة، خرجنا من المدينة وصلنا إلى مسجد الشجرة فلبسنا لباس الإحرام وأردنا أن نلبي كي ينقذ الإحرام وكنا راكبين فنظرت إلى الإمام وهو يريد أن يقول لبيك فإذا به قد تغير لونه تغيراً شديداً وكان يرتجف حتى كاد أن يقع إلى الأرض من خشية الله فدنوت منه وقلت: يا ابن رسول الله لا حيلة لنا ولا بد من التلبية، فقال لي: وماذا أقول ولمن أقول لبيك فإذا قال لي في الجواب: لا لبيك فماذا أفعل؟ وينقل هذه الرواية الشيخ عباس القمي وغيره في كتبهم وراوي الرواية هو كما ذكرنا مالك بن أنس إمام أهل السنة.

مالك هذا يقول: ما رأيت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد.

محمد الشهرستاني وهو من الفلاسفة والمتكلمين المتسلطين جداً، في القرن الخامس الهجري وهو عالم مرموق وصاحب كتاب الملل والنحل، يذكر في هذا الكتاب الفرق الدينية والمذهبية وقد فصل في الفرق الفلسفية في الدنيا، في مكان من هذا الكتاب يأتي على ذكر الإمام الصادق عليه السلام فيقول عنه: «هو ذو علم غزير

وأدب كامل في الحكمة و زهد في الدنيا و ورع تام عن الشهوات و يفيض على الموالي له أسرار العلوم ثم دخل العراق» ثم يشير إلى اعتزال الإمام (عليه السلام) عن السياسة فيقول: «و لا نازع في الخلافة أحداً» و يعلّل هذا الاعتزال بقوله: «و من غرق في بحر المعرفة لم يقع في شطّ» و أنا لا أريد تصحيح تعليله بل أريد الأخذ باقراره أن الإمام (عليه السلام) إلى أي حدّ كان غارقاً في بحر المعرفة. و هو يريد القول أن أمثال تلك الأمور من الشواطيء. «و من تعلّى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حطّ» أي من الوقوع.

هذا الشهرستاني الذي يقول عن الإمام الصادق (عليه السلام) ذلك هو نفسه من أعداء الشيعة و هو يهاجمهم في كتابه الملل و النحل هجوماً قوياً لكنه يحترم الإمام الصادق (عليه السلام) ذلك المقدار من الإحترام، وهذا له حسابه الخاص.

و اليوم نجد كثيراً من العلماء في الوقت الذي يعادون فيه مذهب التشيع تمام العداوة فهم يحترمون الإمام الصادق (عليه السلام) الذي ينسب إليه ذلك المذهب فلا بدّ أنهم يعتقدون أن ما يخالفهم من مذهب الشيعة ليس من الإمام الصادق (عليه السلام) لكنهم على كل حال يحترمون الإمام الصادق (عليه السلام) تمام الإحترام.

رأي أحمد أمين

من جملة معاصرينا أحمد أمين المصري صاحب كتب ضحى الإسلام و فجر الإسلام و ظهر الإسلام و يوم الإسلام و هي من الكتب الإجتماعية المهمة في هذا القرن الأخير، و قد ابتلي بمرض عداوة التشيع و يقال انه لا يملك معلومات عن التشيع. و هو في نفس الوقت الذي يضر فيه عداوة شديدة للتشيع.

نجد عنده إحتراماً للإمام الصادق عليه السلام وقد قرأت كل كتبه ولم أجد لديه إحتراماً لأحد من أئمة أهل السنة قدر إحترامه للإمام الصادق عليه السلام وينقل كلمات في الحكمة عن الإمام الصادق عليه السلام لم أجد من نقلها من علماء الشيعة.

إعتراف الجاحظ

وفي رأيي أن اعتراف الجاحظ أرقى كل ذلك. فالجاحظ كان شيخاً من مشايخ أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث، وكان أديباً مميزاً ولم يكن أديباً فقط بل يمكن القول انه كان خبيراً بمجتمع عصره، مؤرخ، صنف كتاب الحيوان، وهو في معرفة الحيوان، وهو اليوم مورد اهتمام العلماء الأوروبيين حتى انهم عثروا في هذا الكتاب في معرفة الحيوان على أشياء قالوا أنها لا سابقة لها في ذلك العصر لا في عالم الحيوان ولا غيره مع أنه لم تكن علوم اليونان بعد قد دخلت المجتمع الإسلامي فقد ظهرت هذه النظريات لأول مرة في كتاب الحيوان للجاحظ.

والجاحظ أيضاً متعصب وله مباحثات مع بعض الشيعة، فهم البعض منها أنه ناصبي، طبعاً أنا لا أستطيع القول أنه ناصبي (و في مباحثاته صدرت منه بعض الجمل) وكان زمانه متحداً تقريباً مع زمان الإمام الصادق عليه السلام كان في الجيل السابق عنه. يعبر الجاحظ عن الإمام الصادق عليه السلام بهذا التعبير:

«جعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه و فقهه، و يقال ان أبا حنيفة من تلامذته وكذلك سفيان الثوري» و سفيان الثوري كان من كبار فقهاء و متصوفة ذلك العصر.

رأي مير علي هندي

و هو أحد المعاصرين السنة أيضاً يظهر رأيه في الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«لا مشاحة في أن انتشار العلم في ذلك الحين قد ساعد على فكّ الفكر من عقاله، فأصبحت المناقشات الفلسفية^(١) عامةً في كل حاضرة من حواضر العالم الإسلامي» ثم يقول: «ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الذي تزعم تلك الحركة هو حفيد عليّ بن أبي طالب المسمّى بالإمام الصادق وهو رجلٌ رَحْبُ أَفْقِ التفكير بعيد أغوار العقل، ملم كل إمام بعلوم عصره ويعتبر في الواقع هو أوّل من أسّس المدارس الفلسفية^(٢) المشهورة في الإسلام ولم يكن يحضر حلقاته العلمية أولئك الذين أصبحوا مؤسسي المذاهب الفقهية فحسب بل كان يحضرها طلاب الفلسفة والمتفلسفون من أنحاء مختلفة».

كلام أحمد زكي صالح

في كتاب الإمام الصادق تأليف الشيخ المظفر ينقل عن أحمد زكي صالح -وهو من المعاصرين- في مجلّة الرسالة المصرية، «أن النشاط العلمي الشيعي كان أكثر من نشاط جميع الفرق الإسلامية» (أريد أن أوضح مدى اعتراف المعاصرين بتلك الحقيقة). وهذا بحدّ ذاته أمر مهمّ. الإيرانيون يجعلون ذلك باسمهم فيقولون هذا نشاط إيراني والحال انه نشاط شيعي ولم تكن أكثرية الشيعة تلك الأيام من الإيرانيين بل كانوا من غيرهم وهو بحث لن ندخل فيه الآن، فهذا المصري يقول: «ومن الجليّ الواضح لدى كل من درس الكلام أن فرق الشيعة كانت أنشط الفرق

١ - يقال للمناقشات المبنية على العقل مناقشات فلسفية.

٢ - ذكرنا ان هؤلاء عندما يقولون «فلسفية» فمرادهم البحوث الفكرية والعقلية في قبال المحدثين الذين (عملهم) فقط المنقولات وذكر الرواية.

الإسلامية حركة، وكانت أول من أسس المذاهب الدينية على أسس فلسفية حتى ان البعض ينسب الفلسفة خاصة لعلي بن أبي طالب». ويعني بالشيععة الإمام الصادق عليه السلام.

إهتمام الشيعة بالمسائل العقلية

و أفضل دليل (على ان العلوم العقلية قد بلغت أوجها في عصر الإمام الصادق عليه السلام) أنه في كل كتب الحديث السنّة: صحيح البخاري، صحيح مسلم، جامع الترمذي، سنن أبي داود، صحيح النسائي، لن تجد إلا المسائل الفرعية مثل أحكام الوضوء، أحكام الصلاة، أحكام الصوم، أحكام الحج، أحكام الجهاد، أو السيرة، مثل ان النبي صلى الله عليه وآله فعل في السفر الفلاني كذا. لكن عندما ننظر في كتب أحاديث الشيعة نجد أول بحث وأول كتاب كتاب (العقل والجهل) فمثل هذه المسائل لم تكن مطروحة أصلاً في كتب السنة. طبعاً لا أقول ان منشأ ذلك الإمام الصادق عليه السلام فإن أصله يعود إلى أمير المؤمنين عليه السلام و أصل أصله إلى النبي صلى الله عليه وآله لكن هؤلاء عليهم السلام أكملوا المسيرة و حيث ان الفرصة قد توفّرت للإمام الصادق عليه السلام في زمانه فقد استطاع حفظ إرث أجداده وان يزيد عليها.

بعد كتاب العقل والجهل ندخل في كتاب التوحيد ونجد مئات بل آلاف البحوث في باب التوحيد وصفات الله والمسائل المرتبطة بالشؤون الإلهية والقضاء والقدر الإلهيين والجبر والاختيار، مسائل فكرية طرحت في كتب أحاديث الشيعة دون غيرها من الكتب ولهذا قالوا ان أول من أسس المدارس

الفلسفة^(١) وأول من أسس المدارس العقلية هو الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

جابر بن حيّان

وهنا أمر انكشف أخيراً هو ان في تاريخ الإسلام رجلاً اسمه جابر بن حيّان. وقد يقال له جابر بن حيّان الصوفي وهو من العجائب، ذكره ابن النديم في الفهرست^(٢) ونسب إليه ما يقرب من ١٥٠ كتاباً أكثرها في العلوم العقلية وباصطلاح ذلك اليوم في الكيمياء، في الصناعة، في خواص طبائع الأشياء. و يُعرف اليوم أنه أبو الكيمياء والظاهر أن ابن النديم يعبّده من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام. ذكره أيضاً ابن خلكان^(٣) قائلاً: كيميائي وتلميذ الإمام الصادق وقد نقل الآخرون هذا أيضاً. لم تكن لهذه العلوم أي سابقة في العالم الإسلامي قبل جابر بن حيّان. وفجأة يظهر رجل اسمه جابر بن حيّان من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام و يكتب كل تلك الرسائل في الموضوعات المختلفة والتي أكثرها اليوم ذات قيمة علمية. وقد بحث المستشرقون المعاصرون عن جابر بن حيّان

١ - بالمعنى المتقدم ذكره.

٢ - فهرست ابن النديم من أكثر الكتب اعتباراً في هذا المجال - وهو كتاب في معرفة الكتب المصنّفة - وكان له تحقيق مهم في معرفة الكتب بحيث أن الأوروبيين اليوم يعتمدون عليه كل الاعتماد. عاش ابن النديم في القرن الرابع وهو في كتابه يعرف الكتب الإسلامية وبعض الكتب غير الإسلامية (الكتب التي كانت في عصره). كان من النوابع وفي ابتداء أمره كان وراقاً يبيع الكتب لكنّه كان عالماً فاضلاً بحيث أن المرء إذا قرأ كتابه يتحير وقد قرأت الكتاب من أوله إلى آخره وهو يرشدك إلى أنواع الخطوط و أصناف اللغات التي كانت في عصره كما يرشدك إلى أصول اللغات.

٣ - القاضي ابن خلكان عاش في القرن السادس.

بحثاً كثيراً وقد أكثر تقي زاده من البحث عنه ومع ذلك بقيت كثير من المجهولات بالنسبة لجابر بن حيان لم تنكشف إلى الآن والعجيب انه لم يرد لهذا الرجل ذكر في كتب الشيعة التي تتحدث عن الرجال (نعم يحتمل كون ابن النديم شيعياً) ولم يرد في كتب الفقهاء والمحدثين اسم لهذا الرجل، لمثل هذا التلميذ البارز من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام الذي لا نظير له.

هشام بن الحكم

تلميذ آخر من تلامذة الإمام عليه السلام هو هشام بن الحكم. هشام بن الحكم أعجوبة، تفوّق على كلّ متكلمي زمانه (أقول هذا بشهادة أهل السنّة). أبو الهذيل متكلم إيراني متسلّط جداً. ويذكر شبلي نعمان في كتابه: (تاريخ علم الكلام) لم يكن أحد يستطيع أن يحاور أبا الهذيل وكان لا يخشى إلا من هشام بن الحكم. والنظام الذي كان يعدّ من نوابغة عصره وعنده نظريات موافقة للنظريات الحديثة - مثلاً في اللون والرائحة فقد كان يعتقد أن اللون والرائحة مستقلان عن الجسم وليس كما تخيلوا أن اللون والرائحة من عوارض الجسم، خصوصاً الرائحة حيث كان يعتقد أنها شيء ينتشر في الفضاء - كان من تلامذة هشام (وذكروا أنه أخذ هذا القول من هشام بن الحكم) وهشام نفسه من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام.

فانظروا الآن من خلال جميع ما تقدم أية ساحة تهيّأت للإمام الصادق عليه السلام من الناحية الثقافية والتي استفاد منها الإمام عليه السلام؟ فرصة لم تسنح لأحد من الأئمة عليهم السلام لا قبله ولا بعده بمقدار ما سنحت له عليه السلام، نعم تهيّأت فرصة للإمام الرضا عليه السلام لكن بنسبة قليلة، لكن الأمر ساء من جديد مع الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حتى زج عليه السلام

في السجن. وكذا الأئمة الآخرين، حيث كانوا يموتون عليهم السلام شاباً يوضع لهم السم فيمضون من الدنيا. لم يدعوهم أحياء وإلا فإن المحيط كان مساعداً إلى حد ما. إلا أنه قد تهياً للإمام الصادق عليه السلام، كلاً الأمرين، فقد عاش عمراً طويلاً (حدود ٧٠ سنة) وكان المحيط والزمان مساعدين. فلنرّ الآن إلى أي حد يوجب هذا الأمر تفاوتاً بين زمان الإمام الصادق عليه السلام و زمان سيّد الشهداء عليه السلام؟ كان أمر سيّد الشهداء عليه السلام دائراً بين أمرين فإما أن يبقى جليس بيته إلى آخر عمره يأكل ويشرب ويعبد الله فقط وفي الواقع يكون سجيناً وإما أن يقتل. وأما الإمام الصادق عليه السلام فلم تكن حاله كذلك، أي إما أن ينزوي أو يُقتل بل كان أمره إما أن يُقتل أو يستفيد قدر الإمكان من الظروف المساعدة المحيطة به.

ولولا أن الأئمة عليهم السلام هم الذين وضّحوا لنا الأمر وبيّنوا لنا قيمة ثورة الإمام الحسين عليه السلام لم نكن لندرك ذلك فلولا الإمام الصادق عليه السلام لم يكن الإمام الحسين ولولا الإمام الحسين عليه السلام لم يكن الإمام الصادق عليه السلام أي لولا الإمام الصادق لم تكن لتثبت وتتضح لنا ما عليه ثورة الإمام الحسين عليه السلام من قيمة.

على أن الإمام الصادق عليه السلام وإن لم يتعرض لأمر الخلافة والحكومة لكن الجميع يعلم أن الإمام الصادق عليه السلام لم يكن إلى جانب الخلفاء بل كانت هناك مقاومة مخفية، نوع من الحرب الباردة. وقد انتشرت عيوب ومثالب ومظالم الخلفاء في الدنيا بواسطة الإمام الصادق عليه السلام. وهنا نجد للمنصور عبارة عجيبة^(١) إذا يقول عن

١ - كان تعامل المنصور مع الإمام الصادق عليه السلام عجباً وسببه نفس الإمام الصادق عليه السلام، في بعض الأحيان يصعب عليه الأمور وفي أحيان أخرى يسهلها، طبعاً لم يأخذ الإمام عليه السلام إلى السجن

الإمام الصادق عليه السلام: «هذا الشيعي معترض في الحلق...» يريد أن يقول انه كالعظم الذي اعترض الحلق فلا يمكن ابتلاعه ولا يمكن إخراجه أي لا أستطيع أن أحصل على دليل ضدّه وأحتال عليه ولا أستطيع أن أتحمّله، وإنني أعلم أن هذا الحياد الذي اتخذه هو ضدنا لأن كل الذين يتبعونه ويتخرّجون من مدرسته هم ضدنا، لكن لانملك وثيقة تدينه. نعم هذه هي عبارة المنصور: «هذا الشيعي المعترض في الحلق فلا أنا بالعه ولا أنا لافظه».

العوامل المؤثرة في النشاط العلمي في زمان الإمام الصادق عليه السلام

ذكرنا أن حركة علمية غير عادية كانت في عصر الإمام الصادق عليه السلام وهذا النشاط العلمي أوجد صراعاً فكرياً حامياً كان على كل مسلم ذي طينة سليمة أن يدخل هذا الصراع لمصلحة الإسلام ودفاعاً عن الإسلام. فما هي تلك العوامل التي أثرت في هذا النشاط العلمي؟

كانت هناك عوامل ثلاثة:

العامل الأول: ان المحيط في ذلك العصر كان محيطاً مذهبياً وكانت الناس لأسباب مختلفة مذهبية، ترغيب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بالعلم والتعلّم والتعقّل كان

حسب الظاهر لكن في كثير من الأوقات كان يشدد عليه المراقبة و فجأة روقب عليه السلام مدة سنتين حسب الظاهر أي خصّص للإمام عليه السلام منزل وقد راقب المأمورون حركة الذهاب والإياب في منزل الإمام عليه السلام. وفي مرّات عديدة أحضر الإمام عليه السلام وستم واهين بكلام مثل: ان أفتلك، أضرب عنقك أتبلّغ ضدي؟، أثير الناس ضديّ تفعل كذا وتفعل كذا والإمام كان يجيبه بأعصاب هادئة.

العامل الأساسي لهذه النهضة والحيوية والنشاط.

العامل الثاني: ان أعراقاً كثيرة دخلت في الإسلام ذوو سابقة فكرية وعلمية.

العامل الثالث: الذي ساعد على ذلك أن العالم كله كان بمثابة الوطن الإسلامي، أي أن الإسلام يرفض فكرة الوطن المحدود بالماء والتراب. فالوطن الإسلامي هو حيثما يوجد إسلام فهو وطن وكانت النتيجة ان التعصّب قد زال إلى حدّ كبير بحيث ان الأعراق على اختلافها كانت تحيا حياة مشتركة وكانت تشعر بالأخوة، فالتلميذ مثلاً خراساني والأستاذ مصري أو بالعكس. كانت تتشكل حلقة درس يكون الأستاذ فيها غلام بربري مثلاً ثم نرى العراقي والسوري والحجازي والمصري والإيراني والهندي يشاركون في درسه. وهذا عامل مهم جداً كي تنهياً الساحة لهذه الحركة والفورة ولعل الأرقى من ذلك ما يسمّى اليوم بالتسامح والتساهل الديني الذي يعني مشاركة غير المسلمين في الحياة وبشكل خاص مشاركة أهل الكتاب. وقد كان أهل الكتاب في ذلك الزمان من أهل العلم فانضمّوا إلى المجتمع الإسلامي، وأخذ المسلمون منهم العلوم في العصر الأول لكن في العصر الثاني تسلّم المسلمون زعامة المجتمع العلمي. ومسألة التسامح والتساهل مع أهل الكتاب عامل مهمّ جداً. وهذا بالطبع له أساس في الروايات وعندنا احاديث كثيرة في هذا المجال والمرحوم المجلسي ينقل في البحار حديثاً - وهو موجود في نهج البلاغة أيضاً - ان النبي ﷺ يقول: «خذوا الحكمة ولو من مشرك» (والمراد بالحكمة - الكلام العلمي الصحيح) . وهناك الجملة المعروفة «الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أينما وجدها» والمقصود منها هو ذلك. (في بعض التعابير إضافة ولو من يد مشرك) أي أن الحكمة التي يقول عنها القرآن «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ

مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا» والتي معناها الكلام العلمي المحكم والموزون والصحيح والمعتبر وهي ضالة المؤمن. والتعبير بـ«ضالة» تعبير راقٍ جداً. فالإنسان إذا فقد شيئاً كان يملكه فإنه سيبحث عنه في كل مكان وإذا كان عندك خاتم قيمٍ تحرص عليه ثم ضاع فإنك ستفتش عنه في كل مكان تحتل وجوده فيه وتكون كل حواسك متعلقة به، أن ابحث هنا أو هنا فلعلك تعثر على ضالتك. من محاسن ومفاخر التعابير الإسلامية هذا التعبير «الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها يأخذها ولو من يد مشرك». فلو أن مالك ضاع منك ثم وجدته في يد مشرك فهل تقول لا شأن لي به أم تقول هذا مالي؟

أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «المؤمن يرى العلم في يد المشرك مستعار ويرى نفسه المالك الأصلي له ويقول هذا المشرك لا يليق بهذا العلم والذي يليق به هو أنا». ينسب البعض التسامح والتساهل مع أهل الكتاب إلى الخلفاء «وان سعة صدر الخلفاء أوجبت أن يختلط المسلمون والمسيحيون في دار الخلافة واليهود والمجوس وغيرهم مع بعضهم البعض وأن يستفيدوا من بعضهم» وهو كلام غير صحيح بل ان النبي صلى الله عليه وآله كان يأمر بذلك، جرجي زيدان يسند السبب إلى سعة صدر الخلفاء وينقل قصة عن السيّد الرضي (والسيّد الرضي في مصاف مراجع التقليد وكان رجلاً كاملاً وهو أخو السيّد المرتضى) عندما توفي العالم المعاصر له أبو إسحاق الصابئي^(١) أنشد قصيدة في مدحه قال فيها:

١ - أبو إسحاق الصابي لم يكن مسلماً كان صابئياً (وهناك كلام كثير حول الصابئة فقال البعض أن أساس هذه الفرقة المجوسية لكنها فرقة مسيحية. واليوم هناك بحوث حول أصل هذا

أرأيت من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادي^(١)
يريد أن يقول هل ترى من هو الذي حمل في التابوت هذا جبل هوى ... فأعابه
البعض على ذلك ان كيف يمدح شريف من أولاد النبي ﷺ و عالم إسلامي كبير
رجلاً كافراً هذا المديح فأجابهم إنما رثيت علمه ولأجل علمه رثيته (ولو أن
شخصاً يفعل مثل ذلك في هذا الزمان لطرده من بلده) يقول جرجي زيدان بعد
نقل هذه القصة: «أنظروا إلى سعة صدر سيّد من أولاد النبيّ مثل السيّد الرضي مع
ما هو عليه من العظمة المعنوية والمقام العلمي والسيادة والشموخ» (يمدح مثل
هذا الكافر) ثم يقول: «وهذا يعود إلى بلاط الخلفاء الذين كانوا رجالاً
رحيبي الصدر». كلاً هذا لا ربط له ببلاط الخلفاء، السيّد الرضي من تلامذة عليّ بن
أبي طالب والذي جمع نهج البلاغة وهو أكثر الناس معرفة بأوامر جدّه النبي ﷺ و
علي بن أبي طالب ﷺ الذي يقول: «الحكمة والعلم معظّمان أينما وجدا».

كانت هذه العوامل التي أوجدت هذه الحيوية والنشاط العلمي والتي هيأت
-قهرأ- الساحة للإمام الصادق ﷺ فالبحت في الواقع غدا في أنه وإن لم تتوفر
للإمام ﷺ فرصة الزعامة والتي لو توفّرت لكانت فرصة أفضل من غيرها بلا ريب،
لكن تهيّأت له ساحة أخرى استفاد منها الإمام ﷺ بحث يمكن القول ان الحركات
العلمية في العالم الإسلامي الأعمّ من السنّي والشيوعي مرتبطة بالإمام الصادق ﷺ،

﴿المذهب﴾ كان عالماً موقفاً ورجلاً مؤدّباً ولأنه كان أدبياً فقد أحبّ أدب القرآن وكثيراً ما كان
يستشهد بآيات القرآن. لم يكن يأكل شيئاً في شهر رمضان فيقال له أنت لست مسلماً فلماذا لا
تأكل؟ فيقول الأدب يقتضي أن أتوافق مع من أعاشر.

أما الحوزات الشيعية فالأمر فيها واضح جداً أما الحوزات السنية فهي أيضاً نتاج الإمام الصادق عليه السلام لأنّ رأس ورئيس هذه الحوزات الجامع الأزهر الذي تشكّل منذ أكثر من ألف سنة على يد الشيعة الفاطميين وكل الحوزات الأخرى متفرّعة عن الجامع الأزهر وكل هذه من ثمرات استفادة الإمام الصادق عليه السلام من وضع زمانه.

هذا الأمر على الأقلّ يطرح مسألةً هي أنه هل كان من الأفضل للإمام الصادق عليه السلام إهمال هذه الفرصة والإشتغال بالحرب وجهاد الظلم حتى يُقتل؟ أم الأفضل أن يستفيد منها قدر الإمكان؟ والإسلام ليس مجرد مواجهة الظلم، في الإسلام أمور أخرى أيضاً.

وعليه فالمطلب عرضناه كفرق من جملة الفوارق بين عصر الإمام الصادق عليه السلام والعصور الأخرى بحيث لو لم يستفد الإمام عليه السلام من هذه الساحة لكنا تساءلنا: ألم يكن الأئمة عليهم السلام يريدون الخلافة لأجل نشر الإسلام؟ فلماذا لم يستفيدوا من هذه الساحة وسلكوا بأنفسهم طريق القتل؟ فالجواب أنه عندما كانت تنتهي مثل هذه الساحة لم يكونوا ليفوتوا عليهم ذلك، الإمام الرضا عليه السلام سنحت له فرصة مناسبة هي أنه عليه السلام كان في مجلس المأمون يرفع صوته بما يريد ولعلّ الإمام الرضا عليه السلام لم يبق عند المأمون أكثر من سنتين لكن ما وصلنا عن الإمام الرضا عليه السلام خلال فترة وجود المأمون لم ينقل عنه عليه السلام مثله خلال بقيّة عمره عليه السلام.

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين

سؤال وجواب

السؤال: هل تعلّم جابر بن حيّان علمه من الإمام الصادق عليه السلام؟

الجواب: ذكرنا أن قسماً من هذا الأمر من المجهولات التاريخية ولم يستطع التاريخ أن يبيّنها الآن بشكل مؤكّد والمقدار الموجود أنه أخذ هذه الدروس من الإمام الصادق عليه السلام. طبعاً هناك من لا يعتمد على جابر ويقول انه كان في عصر متأخّر عن الإمام الصادق عليه السلام وهؤلاء القائلون بتأخّره عنه عليه السلام يقولون انه تلميذ بعض تلامذة الإمام الصادق عليه السلام. وعلى كل حال فالذين كتبوا في ذلك ويعتمدون هذه المسألة كتبوا انه أخذ هذه الدروس من الإمام الصادق عليه السلام.

والركيزة الأساسية ان هذه العلوم لم يكن لها سابقة قبله وهذا يدلّ على أن الإمام الصادق عليه السلام كان له تلامذة مختلفون في اقسام مختلفة إذ ليس كل الأفراد (على شاكلة واحدة من جهة الإستيعاب الروحي والفكري) كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام لكُميل بن زياد.

«إنّ ههنا لعلماً جمالو أصبت له حملة» ثم يبيّن عليه السلام انه لم يجد إلّا ذكياً ذا استعداد لكنه طالب دنيا محتال يريد الدين للدنيا أو متنسكاً متديناً لكنه أحق بلا قابليّة علمية ولم أجد رجلاً ذو قدرات علمية وأخلاقية.

الفصل الخامس

أسباب إستشهاد الإمام موسى الكاظم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله وحبيبه وصفيّه سيدنا ونبينا ومولانا أبي القاسم محمد ﷺ وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

«انتم الصراط الأقوم والسيبل الأعظم وشهداء دارالفناء وشفعاء دارالبقاء»^(١)

كل الأئمة الأطهار عليهم السلام عدا الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الذي لا زال على قيد الحياة، قد مضوا شهداء لم يلق أي منهم موتاً طبيعياً أو مات بمرض عادي وهذا من كراماتهم عليهم السلام.

فأولاً كانوا بأجمعهم عليهم السلام يتمنون الشهادة في سبيل الله ونرى ذلك في الأدعية التي علّمونا إياها والتي هم أنفسهم عليهم السلام كانوا يقرأونها. يقول عليّ عليه السلام: «لألف

ضربة بالسيف أفضل من ميتة على الفراش». ونحن عندما نقرأ الأدعية والزيارات التي نزورهم عليهم السلام بها نذكر من جملة فضائلهم أنهم من زمرة الشهداء، مضوا شهداء وهناك جملة ذكرتها في بداية الحديث تجدها في الزيارة الجامعة الكبيرة «أنتم الصراط الأقوم والسييل الأعظم وشهداء دار الفناء وشفعاء دار البقاء».

الشهيد لقب الوجود المقدس للإمام الحسين عليه السلام ونحن عادة نسميه بالشهيد فنقول الحسين الشهيد، كما اننا نلقب الإمام الصادق عليه السلام فنقول جعفر الصادق وفي لقب الإمام موسى بن جعفر نقول موسى الكاظم و لقب سيّد الشهداء الحسين الشهيد. لكن لا يعني هذا ان الإمام الحسين عليه السلام تفرد عن الأئمة بالاستشهاد كما أننا عندما نقول للإمام موسى بن جعفر، الكاظم فليس بمعنى أن الأئمة الآخرين عليهم السلام ليسوا كاظمين أو عندما نقول للإمام الرضا عليه السلام (الرضا) فليس معنى ذلك عدم كون الآخرين عليهم السلام من مصاديق الرضا وعندما نقول للإمام الصادق (الصادق) فليس معناه ان الأئمة الباقين عليهم السلام - والعياذ بالله - ليسوا صادقين. فكذلك الأمر عندما نقول لسيّد الشهداء (الشهيد) فليس بمعنى أن أئمتنا الباقين عليهم السلام ليسوا شهداء.

تأثير مقتضيات الزمان في شكل الجهاد

حينئذٍ يأتي الكلام: لماذا استشهد الأئمة عليهم السلام؟ فإن التاريخ لا يشير إلى أنهم قاموا وشهروا السيف ضد الأنظمة الجائرة في زمانهم، وظاهر سيرتهم يعطي ان طريقتهم كانت مخالفة لطريقة الإمام الحسين عليه السلام، الإمام الحسين استشهد، وهذا واضح لكن لماذا استشهد الإمام الحسن؟ ولماذا استشهد الإمام السجاد؟ ولماذا

استشهد الإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الكاظم وسائر الأئمة عليهم السلام؟
والجواب: إننا نكون في ضلال إذا تصوّرنا اختلاف خطّ الإمام الحسين عليه السلام مع
سائر الأئمة عليهم السلام من هذه الجهة، وهناك من عنده مثل هذا الوهم ويقول: «ان الإمام
الحسين عليه السلام من بين جميع الأئمة كان مصراً على محاربة نظام الجور في زمانه أما
الأئمة الباقون فكانوا غير ذلك ولم يجاهدوا».

وإذا كان هذا هو تفكيرنا فهو اشتباه عظيم والتاريخ ينطق بخلافه وكل القرائن
والدلائل تنفيه أيضاً، نعم إذا تلقّينا الأمر بشكل آخر كما هو كذلك وهو أنه لا يمكن
لأي مسلم واقعي ومؤمن واقعي - فضلاً عن مقام الإمام المقدّس - أن يسالم جهاز
الظلم والجور في زمانه مسالمة واقعية أي يتوافق معهم بل هو دائماً في حالة
حرب معهم لكن الفرق في شكل الجهاد فقد يكون جهاداً علنياً، إعلان حرب،
حرب السيف، وهذا نحو من أنحاء الجهاد. وقد يكون جهاداً سرياً. في هذا الجهاد
يحطّم الخصم أيضاً و يغرق في الوحل ويصرف الناس عنه. إعلان باطليته، سوق
المجتمع ضده لكن لا بنحو يشهر فيه السيف.

هذا هو معنى أن مقتضيات الزمان مؤثرة في شكل الجهاد. وهي لا يمكنها أن
تكون مؤثرة من جهة مصالحة الظلم بحيث يكون الصلح مع الظلم جائزاً في زمان
وغير جائز في زمان آخر لا يجوز الصلح في الظلم أبداً في أي زمان لكن شكل
المواجهة يختلف فقد تكون علنية وقد تكون تحت الستار سرّية. وتاريخ
الأئمة عليهم السلام بشكل عام يحكي أنهم عليهم السلام كانوا دائماً في حال جهاد، وإذا قالوا:
مواجهة حال التقيّة (فليس معنى التقيّة السكون وعدم الحركة) التقيّة كلمة مأخوذة
من وقى كالتقوى مأخوذة منها. معنى التقيّة أن يكون الدفاع سرياً وبعبارة أخرى

التترس في العمل، تضرب أكبر قدر ممكن و يصلك أقل قدر ممكن من الضرر وليس معناها التخلّي عن الجهاد حاشا وكلاً. ومن هنا نرى أن كل الأئمة الأطهار عليهم السلام كان لهم هذا الفخر - أجل هذا الفخر - انهم لم يسالموا أي خليفة من خلفاء الجور وكانوا دائماً في حالة جهاد. أنتم اليوم وبعد مضي ١٣٠٠ سنة أو أكثر وبالنسبة لبعض الأئمة عليهم السلام ١٢٥٠ سنة أو ١٢٦٠ أو ١٢٧٠ ترون ان خلفاء مثل عبد الملك بن مروان (و من قبل عبد الملك بن مروان إلى عبد الملك بن مروان، الى اولاد أعمام عبد الملك. بنو العباس: المنصور الدوانيقي، أبو العباس السفاح، هارون الرشيد، المأمون، المتوكل) هم من أسوأ ما عرف التاريخ من أفراد، وهذا بين الشيعة واضح جداً، حتى أوساط السنّة هؤلاء في الطين. متى توحل هؤلاء؟ فلو لم يكن هناك جهاد من الأئمة الأطهار عليهم السلام ضد هؤلاء ولو لم يكن هؤلاء يجاهرون بفسقهم وانحرافاتهم أمام الملأ واتضح كونهم غاصبين غير جديرين لدى الناس، أجل لولا هذا الأمر لكنّا قد عددنا هارون - وخصوصاً المأمون - في عداد القديسين لولا ان الأئمة عليهم السلام قد كشفوا باطن المأمون وعزّفوه لنا تعريفاً كاملاً كان من المسلمّ به انه سيُتلقى كبطل كبير في العلم والدين.

بحثنا في موجبات استشهاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: لماذا استشهاد عليه السلام؟:

ومن مسلمّات التاريخ ان موسى بن جعفر عليه السلام استشهاد ولا يسع أحد إنكار ذلك وبناءً على اكثر الروايات اعتباراً وشهرة فقد قضى عليه السلام أربعة سنين من حياته في ركن من أركان سجن مظلم ضيق وقد توفي عليه السلام في السجن أيضاً وقد طلبوا منه مراراً وتكراراً أن يقدّم ولو اعتذاراً أو اعترافاً ولو لسانياً لكنه عليه السلام لم يكن يوافق على ذلك والتاريخ سجّل ذلك.

الإمام عليه السلام في سجن البصرة

لم يرَ الإمام عليه السلام سجنًا واحدًا بل مرَّ في سجون متعددة، كانوا ينقلونه عليه السلام من سجن إلى آخر. والسّر في ذلك انهم عندما كانوا يضعونه في سجن يرون بعد مضيّ مدة قليلة من الوقت ان السّجّانين يصبحون من محبّته عليه السلام ويقبلون عليه.

أخذ عليه السلام في أول الأمر إلى سجن البصرة وكان والي البصرة عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور أي حفيد المنصور الدوانيقي، حوّل الإمام إليه وهو رجل لاهٍ مترف شارب للخمر من أهل الرقص والغناء وعلى قول أحدهم جاؤوا برجل عابد يعرف الله إلى مكان سمع فيه أشياء لم يسمعها في حياته. جاؤوا بالإمام عليه السلام إلى سجن البصرة في ٧ ذي الحجة من سنة ١٧٨ للهجرة وكان عيد الأضحى على الأبواب فكانت أيام احتفالات وسرور، أخذ عليه السلام بشكل مهين (من جهة معنوية) وبقي عليه السلام مدة في السجن. ورويداً بدأ عيسى بن جعفر هذا يتعلّق بالإمام عليه السلام وصار يقبل عليه. كان عيسى يظنّ أن موسى بن جعفر عليه السلام هو واقعاً كما بلّغ جهاز الحكم ضده من أنه رجل متمرد لا شغل له إلا إدعاء الخلافة أي أن حبّ الرئاسة ملأ رأسه فرأى عكس ذلك، رآه رجل الروحانية وان كان يطرح مسألة الخلافة فلجبتها المعنوية لا لأجل أنه رجل طالب دنيا. فتغيّرت أوضاع الإمام عليه السلام فأمر عيسى أن يجعل تحت تصرّف الإمام عليه السلام غرفة ممتارة وأعلن رسمياً عن ضيافة الإمام عليه السلام فأرسل هارون رسالة سرّية أن أقضي على هذا السجين فأرسل إليه أننى لن أفعل. وأخيراً كتب إلى الخليفة أن أعط امرأاً بنقله من عندي وإلا فإنني سأحرّرة بنفسى فإنني لا أستطيع حفظ هذا الرجل عندى كسجين، وحيث انه كان ابن عمّ الخليفة وحفيد المنصور فكلامه مسموع.

الإمام في السجون المختلفة

أتوا بالإمام عليه السلام إلى بغداد وسلّموه إلى الفضل بن الربيع وهو ابن ربيع الحاجب المعروف^(١)، جعل هارون الإمام في عهدة الفضل - لكنه هو أيضاً - و بعد مدة تعلق بالإمام عليه السلام فغير من وضعه و حسنه فارسل الجواسيس الى هارون ان موسى بن جعفر يحيا حياة هنيئة في سجن الفضل بن الربيع و انه في الواقع ليس سجيناً بل ضيفاً. فنقل هارون الإمام عليه السلام الى الفضل بن يحيى البرمكى فحدث نفس الشيء مع الفضل و عامل الإمام عليه السلام بالحسنى الامر الذي ازعج هارون كثيراً فارسل عيوناً له لتحقق في المسألة فرأوا ان الامر كذلك. فأخذ الإمام عليه السلام من الفضل بعد ان غضب على الفضل ثم ان اباه يحيى - هذا الوزير الايراني - عليه ما عليه - حتى لا يسقط اولاده من عين هارون إذا لم ينفذوا امره - همس في اذن هارون في مجلس الزيارة انه ان كان ولدي مقصراً فانا مستعد لتنفيذ كل ما تطلبه و ابني قد تاب ابني كذا، ابني كذا، ثم جاء الى بغداد و اخذ الإمام عليه السلام من ابنه و جعله في عهدة سجان آخر اسمه السندى بن شاهك، الذي قالوا عنه انه لم يكن مسلماً اصلاً و قد صعب الحال على الإمام عليه السلام في سجنه بحيث لم ير الإمام عليه السلام في هذا السجن اي راحة.

طلب هارون من الإمام

في اواخر ايام سجن الإمام عليه السلام أي قبل اسبوع من استشهاده عليه السلام ارسل هارون

١ - كان للخلفاء العباسيين حاجب اسمه الربيع، كان في البداية حاجب المنصور وبقى بعد المنصور في جهاز الخلافة ثم ابنه الذي كان في جهاز هارون فكانت الحجابة لبني العباس مختصة بهم وكانوا معتمدين عندهم كل الإعتماد.

في طلب يحيى البرمكي المتقدم ذكره وقال له بلسان لطيف: ابلغ سلامي إلى ابن عمي و قل له: «ثبت لنا انك غير مذب و لا مقصر، لكني - للأسف - كنت قد اقسمت و لا يمكنني الحنث بيمينني اقسمت انك ما لم تعترف بالذنب و تطلب مني العفو فلن احررك و ليس من الضروري ان يعرف احد بذلك فقط اعترف بهذا المقدار امام يحيى و ليس من الضروري ان اكون موجوداً و لا أي شخص آخر بحيث لا احنث بقسمي و اطلب المعذرة و اعترف بالتقصير و اطلب المسامحة فاحرك ثم تقدم علينا عزيزاً مكرماً». انظروا الى الروح الجهادية، و لماذا هؤلاء شفعاء دار البقاء، و لماذا استشهد هؤلاء عليه السلام؟ استشهدوا في طريق الإيمان و العقيدة. ارادوا ان يقولوا: ايماننا لا يسمح لنا بمجازاة الظالم. و الجواب الذي اعطاه الإمام عليه السلام ليحيى هو هذا: «قل لهارون انه لم يبق من عمري شيء» بعد اسبوع وضعوا السم للإمام عليه السلام.

سبب اعتقال الإمام عليه السلام

لماذا امر هارون باعتقال الإمام عليه السلام؟ لانه كان يحسد الإمام على موقعه الاجتماعي و يشعر بالخطر منه، مع ان الإمام عليه السلام لم يكن في صدد النهضة ابداً و لم يقدم على اي شيء من اجل الثورة (الثورة الظاهرية) لكنهم شخصوا ان الإمام اعلن ثورة روحية عقائدية. عندما خطط هارون لجعل ولاية العهد لولده الامين و من بعده للمأمون ثم للمؤمن على ان يدعو العلماء و ذوى المراكز في البلاد للمجيء هذه السنة الى مكة حيث يأتي الخليفة اليها و يشكل مؤتمراً عظيماً لاختد البيعة من الجميع، تساءل عمن يمكن ان يكون المانع من تنفيذ هذه الخطة؟ فرأى

انه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام و عندما يأتى المدينة يصدر امرأً باعتقال الإمام. و قد كان يحيى البرمكي المتقدم ذكره قال لبعضهم: اعتقد ان الخليفة سيأمر خلال اليوم أو الغد باعتقال موسى بن جعفر قالوا كيف؟ قال كنت في رفقته عند ما ذهبنا لزيارة الرسول في مسجد النبي ^(١) و عندما سلم على النبي بقوله السلام عليك يا ابن العم يا رسول الله قال: «أعذر اليك فانا مضطر لتوقيف ابنك موسى بن جعفر - وكأنه يستطيع ان يكذب على النبي صلى الله عليه وآله - فان المصالح تقتضى ذلك و لإن لم افعل تكن فتنة في بلادى فلمنع هذه الفتنة و لاجل مصالح البلاد العليا اضطر للقيام بهذا العمل يا رسول الله اعتذر اليك» قال يحيى لصاحبه اعتقد انه من اليوم الى الغد يصدر الامر بتوقيف الإمام عليه السلام.

اصدر هارون امر فذهب جلادوه الى الإمام عليه السلام فصادف ان الإمام عليه السلام لم يكن في المنزل. اين كان؟ كان في مسجد النبي صلى الله عليه وآله حيث كان عليه السلام مشغولاً بالصلاة فلم يمهله حتى يتم صلاته بل اخذوه و هو في الصلاة و جرّوه جرّاً من مسجد النبي صلى الله عليه وآله فنظر عليه السلام الى قبر الرسول صلى الله عليه وآله و قال: «السلام عليك يا رسول الله السلام

١ - ويل لهؤلاء فهم في عمق قلوبهم مؤمنون. لا تصدقوا انهم لا اعتقاد لهم، لو كانوا غير معتقدين لم يكونوا اشقياء الى هذا الحد بل كانوا معتقدين و الى هذا الحد هم اشقياء كقتلة الإمام الحسين عليه السلام عندما سأل الإمام عن اهل الكوفة اجابه الفرزدق «قلوبهم معك و سيوفهم عليك». فهم يحاربون قلوبهم، قاموا ضد اعتقادهم و شهروا سيوفهم عليك، والويل لبشر تحركه المطامع الدنيوية و حب الرئاسة فانها تصيره محارباً لمعتقده. لو لم يكن هؤلاء معتقدين بالاسلام واقعاً. لو لم يكن عندهم ايمان بالنبي صلى الله عليه وآله و بموسى بن جعفر عليه السلام و كان لديهم اعتقاد آخر لم يكونوا الى هذا الحد محل تانيب و تقييع و لم يكونوا اشقياء و معذيين عند الله ذلك المستوى من الشقاوة و العذاب، هم معتقدون و بخلاف اعتقادهم عملوا.

عليك يا جده انظر الى امتك ماذا تفعل؟».

لماذا فعل هارون ذلك؟ لانه يريد اخذ البيعة لأولاده. لكن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لم يقم ضده اصلاً. الا ان وضع الإمام عليه السلام وضع آخر فهو يحكي ان هارون و أبناءه غاصبون للخلافة.

كلام المأمون

تصرف المأمون بشكل اعتقد كثير من المؤرخين انه شيعي و في رأيي انه لا مانع أن يكون للمرء اعتقاد ما لكنه يعمل ضد اعتقاده. كان شيعياً و من علماء الشيعة فهذا الرجل له حوارات مع علماء السنة ضبطت في التاريخ و لم اجد عالماً شيعياً له مناقشات منطقية بهذا النحو. و قبل سنتين كتب قاضٍ تركي كتاباً ترجم الى الفارسية اسمه «تشریح و محاكمة حول آل محمد» يذكر في هذا الكتاب مناقشة المأمون مع علماء اهل السنة حول الخلافة و ان الخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وآله بلا فصل هو أمير المؤمنين عليه السلام و هي مناقشة لطيفة علمية الى حد ان المرء قليلاً ما يرى عالماً شيعياً يملك هذه المناقشة العلمية.

وقد ذكروا ان المأمون قال يوماً: لو قلتم ممن أخذت التشيع؟ قالوا: ممن؟ قال: من ابي هارون تعلمت درس التشيع، قالوا: ابوك هارون كان اشد الناس عدواة للشيعة و أئمة الشيعة قال: و مع ذلك فالامر كما اقول لكم ففي احد الاسفار التي ذهب والدي إلى الحج كنت برفقته و كنت صغيراً، و كان الجميع ياتي لرؤيته خصوصاً المعارف و كبار القوم و كانوا مكرهين على المجيء. و كان هارون قد امر كل من يأتي ان يعرف نفسه أولاً، بذكر اسمه و اسم ابيه و اسم اجداده الى جده

الاعلى حتى يعرف الخليفة انه من قريش أو غيرها و ان كان من الانصار فهل هو خزرجي او اوسي؟ فكل شخص كان يأتيه يأتي الحاجب الى هارون و يقول له: في الباب فلان بن فلان ... جاء الحاجب يوماً الى الخليفة قائلاً له بالباب رجل يقول انه موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابي طالب فما ان قال ذلك حتى هب ابي واقفاً و قال: قل له ان يتفضل وليأت كما هو راكباً لا يترجل ثم امرنا باستقباله فذهبنا و راينا رجلاً عليه آثار العبادة ظاهرة و التقوى على وجناته جليّة مما يدلّ على انه من العباد و النّسّاك من الرتبة الاولى و كان راكباً فناده ابي من بعيد بمن اقسم عليك كي تبقى راكباً حتى تصل؟ و من اصرار والدي سار راكباً على مقدار من السجّاد و اسرعنا بامر هارون ناخذ ركابه و ننزله و هو نفسه اعطاه يده بشكل مؤدّب ثم كانت اسئلة و أجوبة: كم عدد افراد عائلتكم؟ فعلم أن عددهم كثير. كيف تمضي حياتكم؟ تمضي كذا؟ ما عوائدكم؟ عوائدنا كذا. ثم قال لي بهدوء: ستصير خليفة و لا اوصيك إلاّ بوصية واحدة وهي أن لا تسيء الى اولادي.

عدنا و نحن لا نعلم من هو و كنت اكثر الابناء جرأة و عندما خلا الجو سألت ابي: من هذا الذي قدمت له هذا الاحترام؟ فضحك و قال: إن كنت تريد الحق فهذا المسند الذي نجلس عليه هو حق لهم، قلت: او تعتقد بهذا؟ قال: نعم قلت: فلم لا تجعل الامر لهم؟ قال ان الملك عقيم و اعلم انك لو نازعتني انت الملك لقلعت الذي فيه عيناك.

مضت القضية، و كان هارون يصل الناس و يرسل المال جزافاً الى هذا و ذاك من خمسة آلاف دينار من الذهب الاحمر، أربعة آلاف دينار ذهباً أحمر و غير

ذلك فقلنا لا بد انه سيرسل الى هذا الرجل الذي يحترمه هذا الاحترام مالاً وافرأً جداً لكنه ارسل اليه اقل قدر من المال ٢٠٠ دينار فسألتة عن ذلك فقال: ألا تعلم ان هؤلاء هم منافسونا و السياسة تقتضى ان تبقى يدهم خالية و ان لا يملكوا المال لانه اذا زادت امكانياتهم المالية فسيأتي يوم و ينهض مئة الف سيف ضد ابيك.

النفوذ المعنوي للإمام

من هنا يمكنكم ان تدركوا النفوذ الذي كان يمتلكه ائمة الشيعة عليهم السلام انهم لم يكن عندهم سيف و لا اعلام، لكن ملكوا القلوب و قد كان من بين اقرب الناس الى جهاز هارون شيعة، و الحق و الحقيقة لهما جاذبيتها التي لا يمكن اغفالها، قرأتهم ليل امس في الجرائد ما قاله الملك حسين: علمت انه حتى سائقي مع الثائرين، طباحي ايضاً منهم، علي بن يقطين كان وزيراً لهارون، الرجل الثاني في البلاد، لكنه كان شيعياً متكتماً يخدم اهداف الإمام موسى بن جعفر عليه السلام و ان كان في ظاهر الامر هو مع هارون. قدمت مرتين او ثلاث تقارير عن علي لكن موسى بن جعفر عليه السلام كان بما يملكه من وضوح الرؤية، ذلك الوضوح الخاص بالامامة كان يتدرك الامر بسرعة فيعطي اوامره لعلني لينفذها و يسلم و يبقى مصاناً.

و في نظام هارون افراد احبوا الإمام حباً شديداً جداً و كانوا منشدين اليه انشداً لا حد له، لكنهم لم يكونوا يجرأون على الاتصال به عليه السلام، احد الايرانيين الشيعة الاهوازيين يقول: نالتي ضرائب ضخمة فكتبوا إليّ بها.

و كانت بحيث اذا دفععتها تدمر حياتي و صادف انّ والي الاهواز عزل و عين

آخر مكانه وكنت قلقاً جداً انه ان لاحظ سجل الضرائب و طالبني فستشّل حياتي لكن ذكر لي بعض اخواني ان هذا الوالي شيعي في الباطن و انت شيعي، لكن لم تكن عندي الجرة ان اذهب إليه و اقول له انني شيعي إذا لم اطمئن لذلك فرأيت من الافضل الذهاب إلى المدينة عند موسى بن جعفر ﷺ (لم يكن الإمام ﷺ في ذلك الوقت سجيناً) فإن ائد كون الرجل شيعياً اطلب منه توصية. ذهبت إلى خدمة الإمام ﷺ فكتب لي رسالة من ثلاث او اربع جمل لا اكثر، ثلاث او اربع أوامر. لكنها من النوع التي يكتبها الإمام ﷺ لشيعته ترجع الى ان قضاء حاجة المؤمن ورفع الضيق عن المؤمن له عند الله كذا وكذا، والسلام. اتيت بالرسالة الى الاهواز سرّاً اذ علمت ان الرسالة يجب ان تسلم بسريّة تامة. و في ليلة من الليالي ذهبت الى بيته فجاءني الحاجب فقلت له: قل له ان شخصاً أتاك من قبل الإمام موسى بن جعفر يحمل لك رسالة فجاءني هو بنفسه و سلّم عليّ و قال: ما تقول؟ قلت: جئت من عند الإمام موسى بن جعفر و معي رسالة، فاخذها فعرفها ثم قبلها و قبلني و قبل عيني و ادخلني فوراً الى بيته و جلس قربي كما يجلس الطفل و قال كنت في خدمة الإمام ﷺ؟ قلت: نعم، قال: و رأيت جمال الإمام بهاتين العينين وزرته، قلت: نعم. قال: ما بلاؤك؟ قلت: قد جعلوا عليّ ضرائب ثقيلة و لا تتحمل حياتي دفعها فامر تلك الليلة ان يوتي بالسجلات و اصلح الأمر، و لأن الإمام ﷺ كتب اليه ان من يدخل السرور على قلب المؤمن له كذا وكذا، قال: ارجو منك ان تقبل مني خدمة اخرى، قلت: نعم قال: افاسمك اموالي فما عندي من نقد اقسمه و ما كان من الاجناس اقومه ثم انصفه فاقبل منّي ذلك، قال: خرجت. و عندما ذهبت إلى الإمام ﷺ حكيت له ذلك فتبسم و انشرح.

من ماذا كان يخاف هارون؟ كان يخشى جاذبية الحقيقة، كونوا دعاة لنا بغير السنتكم^(١) وليس التبليغ والدعوة باللسان دائماً فإن الدعوة باللسان أثرها قليل جداً، الدعوة دعوة العمل وكل من كان يلتقي الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أو أحد آبائه أو ابنائه الكرام الطاهرين و يبقى معهم مدة فانه تتجلى له الحقيقة في وجودهم عليهم السلام و يرى انهم يعرفون الله معرفة واقعية و يخشونه خشية واقعية. وأنهم في الواقع محبوا الله و ما يعملونه فانما هو لاجل الله و الحقيقة.

سنتان عند الائمة عليهم السلام

تجدون عند الائمة عليهم السلام سنتين بشكل واضح و ظاهر جداً:

احداهما: العبادة و خوف الله و الايمان به وفي وجودهم إيمان عجيب، يكون من خشية الله و يرتجفون، يرون الله، يرون القيامة، يرون الجنة، يرون النار. و نقرأ عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: حليف السجدة الطويلة و الدموع الغزيرة^(٢) و ما لم يتفاعل و ينقلب الداخل ناراً لا يبك الانسان.

السنة الأخرى التي نجدها عند جميع اولاد علي عليه السلام - من الائمة عليهم السلام - المواساة و الشعور بالآلام الضعفاء و المحرومين و البؤساء و المبتلين، و في الواقع للانسان قيمته الخاصة عندهم عليهم السلام، و نقرأ في تاريخ كل الائمة عليهم السلام الإمام الحسن الإمام الحسين و الإمام زين العابدين الإمام الباقر و الإمام الصادق و الإمام الكاظم

١ - اصول الكافي باب الصدق و باب الورع.

٢ - منتهى الامال ج ٢ ص ٢٢٢.

والباقيين ﷺ فنجد ان مساعدة الضعفاء و الفقراء جزء من برنامج حياتهم. و هم يقومون بالمساعدة بأنفسهم لا مجرد أن يأمرؤا بذلك و يوكلوا شخصاً آخر لذلك العمل، فهذا الامر مشهود عندهم ﷺ.

خطة نظام هارون

في المدة التي قضاه الإمام ﷺ في السجن خطط هارون كى ينقص من مكانة الإمام ﷺ فأتوا بأمة شابة جميلة جداً كى تخدم الإمام ﷺ في السجن، والسجن يحتاج الى شخص يأتي بطعام و اذا كان للسجين حاجة فإنه يطلبها منه و قد أمرت هذه الأمة الشابة الجميلة بذلك و اعتقدوا أنه مهما كان الأمر فهو رجل، و قد مضى عليه زمن و هو في السجن ينظر إليها نظرة ما، أو على الأقل يمكن اتهامه بشيء و يشاع، هل يمكن ان لا يحصل شيء في غرفة خلت لرجل مع أمة شابة. لكن جائهم خبر عن هذه الامة تبدلت هي ايضاً (وضعت سجادة الصلاة و اشتغلت بالعبادة)^(١) رأوا ان هذه الامة صارت مثل الإمام، او صلوا الخبر الى هارون فجاءوا بالامة فرأوا التغير باد عليها و ان حالها قد غدت حالة اخرى، يتأملون في اطراف المسألة و يتساءلون ما القضية؟ فقالت لهم: مذ رأيت هذا الرجل لم أعد أعني نفسي و علمت انني قد ارتكبت في عمري ذنوباً كثيرة و كم كنت مقصرة؟ فرأيت إن عليّ التوبة و لم تنصرف عن هذه الحالة حتى ماتت.

١ - حيث ان الإمام ﷺ لم يكن عنده عمل في السجن فكان كل ما يستطيعه العبادة، عبادة باقصى حد، التي لا يمكن ان يأتي بها انسان إلا اذا كان حبه كاملاً.

بشر الحافي والإمام الكاظم عليه السلام

سمعتهم بقصة بشر الحافي^(١)، وهي أن الإمام عليه السلام مر يوماً في أحد أزقة بغداد وكانت اصوات العريضة والآلات الموسيقية والطنبور والعزف والرقص تسمع من احد البيوت، وصادف ان خرج من المنزل خادم يريد رمي النفايات، قيل إنه كان يريد وضعها في الخارج كي يأتي مسئول التنظيفات و يأخذها فسأله الإمام عليه السلام عن صاحب هذا البيت أحر هو أم عبد، وتعجب الخادم من السؤال، وقال: إلا تعرف من صاحب هذه الدار مع ما هو عليه من الجلالة؟ هذا بيت بشر احد الرجال الأشراف أحد الأعيان، واضح انه حرّ. فقال عليه السلام: نعم حر ولو كان عبداً^(٢)، لم تكن لترتفع هذه الاصوات من داره. ولم ينقل لنا إلا هذا السؤال والجواب من الحديث الذي دار بينهما. لا ندري ان كان هناك كلام آخر لكن لم ينقل الا هذا المقدار مكث قليلاً ورحل. التفت بشر الى خادمه الذي خرج ليرمي النفايات ويعود فان خروجه لا يستدعي منه ان يبقى اكثر من دقيقة مثلاً لكنه غاب عدّة دقائق فجاء اليه و سئله: لم هذا التأخير؟ قال: قد أوقفني رجل للكلام فسأله: ماذا قال؟ قال: سألني سؤالاً عجيباً فقال: ما السؤال؟ قال سألتني صاحب هذا البيت حرّ أم عبد؟ فقلت له: طبعاً حرّ.

فقال لي: نعم لو كان عبداً، لم تكن لترتفع هذه الأصوات من داره فسأله عن

١ - كان الانمة عليه السلام يعملون بعض قدراتهم، طبعاً عندما يكون هناك داع لها لانهم يريدون مجرد عرضها.

٢ - يريد عليه السلام العبودية لله .

أوصافه فوصفه له فعلم أنه موسى بن جعفر فسأله: من أية جهة ذهب؟ فأشار له إلى الجهة التي ذهب منها فلم يمهل نفسه كي يلبس حذاءه خوفاً من أن لا يدرك الإمام عليه السلام فعدا حافياً (فقد أحدثت تلك الجملة في نفسه تغييراً) حتى وصل إلى الإمام عليه السلام فسأله عن قوله ماذا قال فأجابه قلت: كذا ففهم المقصود وقال: سيدي أريد من الآن أن أكون عبداً لله. وصدق في قوله فعدا من تلك الساعة عبداً لله.

هذه الاخبار كانت تصل إلى هارون مما جعله يشعر بالخطر فكان يقول للإمام عليه السلام: وجودك ذنب. يكفي ان الإمام موجوداً حتى يعتبره هارون مذنباً فعندما كان يسأله الإمام عليه السلام عن السبب، فأى ثورة قد قام بها وماذا فعل؟ لم يكن لدى هارون جواب لكن لسان حاله يقول: «وجودك ذنب» وهم عليهم السلام لم يقصروا في توضيح المسألة وتفهمها لشيعتهم ومحارمهم وأفرادهم وكانوا يفهمون جذور هذه المسألة.

صفوان الجمال وهارون

سمعتهم أيضاً بقصة صفوان الجمال، صفوان كان -وحسب ما يقال اليوم- يمتلك مركزاً لتأجير وسائل النقل التي كانت في ذلك الزمن الجمال وكان معروفاً، وجماله كثيرة بحيث أن جهاز الخلافة كان يطلب منه حمل ونقل الأحمال. وفي يوم أراد هارون السفر إلى مكة فطلب لوازم الحمل والنقل من صفوان فعقد عقد الإجارة. صفوان كان شيعياً، ومن أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام وجاءه يوماً وقال له: فعلت كذا، أو انه كان عرض له الأمر مسبقاً، فقال له عليه السلام: لماذا أجرت جمالك لهذا الرجل الظالم الجائر؟ قال: أجّرته حيث لم يكن سفره معصية، بل كان سفر

حج، سفر طاعة وإلالم أكن لأوجره، فقال: أخذت مالك أم لا؟ وهل بقي من الأجرة شيء أم لا؟ قال: نعم بقي فقال ﷺ: أسأل قلبك، الان حيث أجرته جمالك ألا تحب أن يبقى هارون - ولو هذه المدة - في الدنيا حياً حتى يأتي ويعطيك الأجرة، فقال: نعم فقال ﷺ: فأنت راضٍ ببقاء الظالم بهذا المقدار وهذا ذنب فخرج صفوان وكانت له سوابق مع هارون وفجأة أنتشر الخبر بأن صفوان باع جماله مرة واحدة وتخلّى عن هذا العمل ثم ذهب إلى الذي عقد معه الإجارة على الجمال لهارون وقال له: إنى أفسخ العقد لأنني لا أريد أن أقوم بهذا العمل بعد الآن وحاول أن يأتي بأعذار شتى. وصل الخبر إلى هارون فطلبه وعندما حضر سأله: ما الأمر؟ قال: قد عجزت ولم يعد هذا العمل ملائماً لي فرأيت أن أختار عملاً غيره. هارون كان قد علم بالخبر، فقال له: أصدقني الخبر لماذا بعت؟ قال: ما قلته هو الصدق قال: لا أنا أعلم ما القضية، علم موسى بن جعفر أنك آجرتني وقال لك هذا خلاف الشرع - لا تنكر - وأقسم بالله لولا ما لدينا من سوابق كثيرة هذه السنين الطويلة مع عائلتك لأمرت أن تعدم هاهنا .

اذن هذه هي موجبات استشهاد الإمام موسى بن جعفر ﷺ:

أولاً: وجودهم ﷺ فكانت شخصيتهم بحيث يشعر الخلفاء منها بالخطر.

ثانياً: كانوا يبلغون ويوضحون الأمور لكن مع التقية، أي العمل قدر الإمكان دون أن يتوفر أي مستمسك ضدهم. نحن نتوهم أن التقية تعني الذهاب إلى النوم الأوضاع في زمانهم ﷺ كانت تتطلب عملاً فكانوا يسعون أن لا يكون هناك أي مدرك ضدهم ولا يجعلون للخصم أي عذر وعلى الأقل تكون المدارك ضدهم قليلة قدر الإمكان.

ثالثاً: هذه الروح الجهادية العجيبة التي كانوا يتحلّون بها وقد ذكرنا انهم عندما طلبوا منه مجرّد عذر لساني في حضور يحيى أجابهم عليهم السلام: لم يبق من عمري شيء.

مرة أخرى أرسل هارون شخصاً إلى السجن محاولاً كسب اعتراف من الإمام وكلمه أيضاً بهذا الكلام: إننا على علاقة بك ونُكِّن لك محبةً لكن المصالح تقتضي أن تكون هنا وأن لا تذهب إلى المدينة وإلا فليس في نيتنا سجنك وإنما أمرنا أن تكون في محلٍّ آمن وأنا أتولّى حِرَاسَتكَ شخصياً وقد أرسلت طبّاخي الخاص ليهيئ لك ما ترغبه من الطعام، والشخص الذي أرسله هارون هذه المرة هو الفضل بن الربيع المتقدم ذكره الذي كان الإمام عليه السلام في سجنه مدّة وكان من الضبّاط ذوي الرتب العالية عند هارون. كان الفضل يرتدي لباسه الرسمي كما كان مسلحاً يحمل سيفه عندما ذهب إلى الإمام عليه السلام في سجنه. كان الإمام عليه السلام يصلّي وعلم ان الفضل ابن الربيع أتى (فانظروا إلى تلك القدرة المعنوية) وقف الفضل ينتظر الإمام كي ينتهي من صلاته ليلبّغه رسالة الخليفة، لكن ما أن سلّم الإمام عليه السلام حتى شرع في صلاة أخرى، ثم ما ان قال: السلام عليكم حتى وقف وكبّر للصلاة ولم يمهل الفضل، وتكرّر ذلك من الإمام عليه السلام عدة مرّات فعلم الفضل ان الإمام يتعمّد ذلك إذ كان يظنّ ان الإمام عنده صلوات يريد صلاتها، أربع ركعات، ستّ ركعات أو ثمانية لكنه فهم أخيراً ان الإمام عليه السلام لا يريد أن يوليه أهمية ولا يريد استقباله وهو يعبر عن ذلك بهذه الطريقة ورأى انه في النهاية لا بدّ من القيام بما أمر به وان طال به الوقت أساء هارون الظنّ، عسى يكون الفضل قد عقد إتفاقية مع الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في السجن، هذه المرة، ما ان قال الإمام عليه السلام: السلام عليكم حتى شرع الفضل بالكلام وقال له كل ما طلب هارون قوله من انه إياك أن تقول له ان

أمير المؤمنين يقول كذا لا تسمني بأمر المؤمنين، قل له ابن عمك هارون، الفضل أيضاً بكل ادب و تواضع قال له: يسلم عليك ابن عمك هارون ويقول لك قد ثبت لنا انه لا تقصير من قبلك ولا ذنب، لكن المصالح توجب أن تكون هنا و أن لا ترجع إلى المدينة حتى يحين وقت ذلك وقد أمرت بنفسي طبّاخي الخاص أن يهييء لك الطعام الذي تأمر به، قالوا ان جواب الإمام عليه السلام كان: «لا حاصر لي مال فينفعني وما خلقت سؤولاً، الله أكبر»^(١).

الله، أي ليس عندي من مال الحلال أصرفه مقابل الطعام، و لست رجلاً يطلب وجبته اليومية أو الشهريّة، لست رجلاً يسأل، الله أكبر.

هذا الذي رآه الخلفاء منهم ولم تكن هناك طريقة أو وسيلة تحرّكهم للسيطرة عليهم ليتبعونهم ويستسلمون لهم، وإلا فالخلفاء يدركون ان استشهاد الأنّة يكلفهم غالباً لكن السياسة تجبرهم على سلوك هذا الدرب.

كيفية استشهاد الإمام عليه السلام

ذكرنا ان آخر سجن مرّ فيه الإمام عليه السلام هو سجن السندي بن شاهك. وقد قرأت يوماً عنه انه ليس مسلماً أصلاً وكان من الأشخاص الذين إذا أمروا بأمر نفّذوا بصرامة، فجعل الإمام عليه السلام في سجن مظلم وقد سعوا بكل جهد لبيان ان الإمام عليه السلام قد جاء أجله الطبيعي وذكروا ان يحيى البرمكي المتقدم ذكره ولكي يبرئ ابنه الفضل أعطى لهارون قولاً أن يقوم بما تلکّأ به الآخرون فرأى السندي وطلب منه

القيام بهذا العمل - قتل الإمام عليه السلام - فقبل، هياً يحيى سماً خطيراً جعله في تصريف السندي الذي وضع السمّ بطريقة خاصة في حبّات التمر وأطعمه للإمام عليه السلام و فوراً جيء بالشهود، دعوا العلماء والقضاة (وقالوا: انهم عدول المؤمنين، أي وجوه القوم وعبادهم الذين يثق بهم الناس) وأحضروا الإمام عليه السلام. في هذه الجلسة قال هارون: أيها الناس انظروا إلى الشائعات التي يطلقها الشيعة حول موسى بن جعفر، يقولون أنه يتألم في السجن، أنه كذا... انظروا إليه انه سليم معافى تماماً. فما ان أنهى هارون كلامه حتى قال الإمام عليه السلام: انه يكذب، الآن قد سمعوني ولم يتبق من عمري أكثر من يومين أو ثلاثة. هنا ألقموا حجراً. ولهذا^(١) وضعوا جثمان الإمام عليه السلام بعد استشهاده على جسر بغداد، يدعون الناس لينظروا إلى الإمام عليه السلام وانه كان سالماً فليس هناك عضو مكسور ولم يقطع رأسه، وعنقه ليس أسود إذن نحن لم نقتل الإمام بل جاء أجله الطبيعي. أبقوا جثمان الإمام عليه السلام على الجسر ثلاثة أيام كي يفهموا الناس ذلك الأمر، طبعاً كان للإمام عليه السلام محبوبون كثير لكن الفئة التي كانت كالحرمل^(٢) على النار هي الشيعة.

تتنقل حادثة تحرق القلوب واقعاً، وهي ان عدداً من الشيعة جاؤوا من إيران مع تلك الأسفار القديمة وما فيها من صعوبات، وكانوا يأملون جداً أن يروا هذا السجين بعد ان وُفقوا بالمجيء إلى بغداد. فإنه لا يصح اعتبار لقاء السجين جرماً، لكن لم تعط لهم الإجازة على الإطلاق فظنّوا أنهم إذا ترجّوهم فسيأذّنوا لهم بلاقائه

١ - أي لأنهم أرادوا التأكيد على انهم لم يقتلوا الإمام عليه السلام.

٢ - الحرمل: بذر أسود يحرق في الجمر وقاية من عين الحسود يريد أن يقول كالجمر على النار (المترجم)

فجاءوا يرجونهم فصادف أن وافقوا على أن يرتّبوا لهم ذلك.

اطمأن هؤلاء المساكين أنهم سوف يزورون الإمام عليه السلام وسيعودون إلى بلادهم
يخبرون عن هذه الزيارة وأنهم سألوه عن كذا وأجابهم بكذا، وإذا هم على هذه
الحال ينتظرون خارج السجن من يعطيهم الإذن بالملاقة إذا بهم يرون أربعة
أشخاص يحملون جُثماناً على أكتافهم ومأمور النظام يقول لهم: هذا هو إمامكم.
ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

الفصل السادس

ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام

الجلسة الأولى:

بسم الله الرحمن الرحيم

بحثنا اليوم بحث تاريخي ومن فروع المسائل المرتبطة بالإمامة والخلافة، وهي التي اصطلح عليها؟ بـ «ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام» حيث نصّبه المأمون ولياً للعهد عندما جاء بالإمام عليه السلام من المدينة إلى خراسان (مرو). وهذه الكلمة أعني ولاية العهد استعملت في ذلك الزمن وهي ليست مختصة بزماننا هذا وقد بحثت ومنذ عدة سنوات عن هذه الكلمة وتاريخها فهي لم تكن مستعملة في صدر الإسلام بل لم يكن لها مورد أصلاً ولم تكن لغتها أيضاً مورد استعمال، هذا العمل الذي يقوم به الخليفة عندما يختار فرداً خلفاً له ويعلنه ويطلب البيعة من الناس أول ما بدأ به معاوية لابنه يزيد، لكن لم يكن بهذه العبارة، أي بايعوا يزيداً على ولاية العهد ولا أذكر أنني قد رأيت استعمالاً لهذا اللفظ في مكان ما في العصور اللاحقة أيضاً مع التفاتي إلى هذه النكته، لكن هنا نرى استعمال الكلمة مراراً ولهذا نحن نبين هذا اللفظ - لأنه تعبير مرتبط بالتاريخ والتاريخ عبّر بهذا اللفظ - فلا بدّ

لنا أن نعبّر به أيضاً.

وان الشبهة التي وردت في مسألة صلح الإمام الحسن عليه السلام آتية هنا أيضاً.
وان كان يبدو في ظاهر الأمر انها متناقضان، لأن عمل الإمام الحسن عليه السلام كان تسليم الأمر والإمام الرضا تسلم الأمر وليس تسليماً، فهما متعاكسان ولربما قائل يقول متعجباً: فماذا يفعل الأئمة عليهم السلام؟ فعندما يسلمون الأمر تعترضون وعندما يتسلمون الأمر تعترضون، فما هو الإشكال إذن؟ لكن المعترضين يعترضون على أمر يدعون أنه مشترك بينهما، بين ذلك الذي سلم الأمر إلى الآخرين وذلك الذي يراد تحويل الأمر إليه من قبل الآخرين، ويقولون: إن كلا الأمرين صلح فذلك التسليم نوع من الصلح مع خليفة العصر الذي نتيقن بأنه أخذ الخلافة غصباً وهذا القبول بولاية العهد يؤول أيضاً إلى كونه نوعاً من الصلح.

فكلام المعترضين أن الإمام الحسن عليه السلام لم يكن له أن يسلم الأمر ويصالح بهذا التحويل، بل كان يجب أن يحارب حتى يقتل، وأن الإمام الرضا عليه السلام لم يكن له أن يقبل حتى لو أجبروه على ذلك، وكان عليه أن يقاوم حتى يُقتل.

والآن سنحلّل مسألة ولاية العهد التي تعتبر من المسائل التاريخية المهمة كي يتّضح المطلوب وكنا قد بحثنا سابقاً حول صلح الإمام الحسن عليه السلام.

ابتداءً يجب تحليل ما جرى من جهة تاريخية بغضّ النظر عن مسألة لماذا قبل الإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد.

مسلك العباسيين مع العلويين

ورث المأمون الخلافة العباسية، وكان عمل العباسيين، من أول يوم استلموا فيه

الأمر، محاربة العلويين بشكل كلي وقتلهم، ومقدار ما ارتكبه العباسيون من جنایات بحق العلويين من حين تسلّمهم الخلافة لم يكن أقلّ مما ارتكبه الأمويون منها، بل كانت غاية الأمر أن الأمويين ارتكبوا فاجعة كربلاء التي كان الطرف فيها الإمام الحسين (عليه السلام) ولهذا بلغت القضية أوجها وإلاّ فبغض النظر عن الإمام الحسين (عليه السلام) فإن ما أتاه العباسيون من فجائع بحق سائر العلويين لم يكن أقلّ من فاجعة كربلاء بل أكثر، وماذا فعل المنصور الخليفة العباسي الثاني مع العلويين وأولاد الحسن (عليه السلام) الذين بايعهم في ابتداء الأمر، وكم قتل منهم وكم أمضوا في السجون الصعبة حتى يصبح الشعر بطول جسم الإنسان وكثير من هؤلاء السادة المساكين أمضوا السجن بلا ماء ولا خبز فكانوا لا يأذنون لهم بالخروج حتى ولو للتخلي فقد ضيقوا عليهم أشدّ الضيق وكان إذا أراد قتلهم يأمر بهدم السقف على رؤوسهم.

وكل خليفة أتى بعد المنصور كان يفعل نفس الفعل، في زمن المأمون أيضاً ثار خمسة أو ستة من أولاد الأئمة (عليهم السلام) على ما يذكر المسعودي في مروج الذهب وإين الأثير في الكامل، وفي زمان المأمون وهارون انتفض سبعة أو ثمانية من السادات العلويين فالعداوة والبغضاء بين العباسيين والعلويين ليست شيئاً صغيراً، والعباسيون لأجل الوصول إلى الخلافة لم يبقوا على أحد، حيثما وجد منافس للعباسيين، كان يقتل فوراً في بعض الأحيان. أبو مسلم مع ما أدّاه لهم من خدمات لهم بمجرّد أن شعروا بذرة من الخطر منه قضوا عليه، البرامكة مع ما قدّموا من خدمات لهارون وما كانت عليه العلاقة الحميمة بينهم وبين هارون حتى غدت

مضرب المثل في التاريخ^(١) إلا أن هارون وبسبب أمر حقير سياسياً ينقلب عليهم فجأة ويصير عوائلهم أثراً بعد عين. أوقع بين المأمون وأخيه فحارباً بعضهما البعض وانتصر المأمون وقتل أخاه الأمين شر قتلة.

فمن عجائب التاريخ أن يكون مثل هذا المأمون حاضراً لأن يأتي بالإمام الرضا عليه السلام من المدينة وعندما يحضر الإمام عليه السلام يعرض عليه قبول الخلافة منه، ثم يرضى أخيراً بأن يلزم الإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد بحيث يوصل الأمر إلى حد التهديد، التهديد الصعب. فما هو الباعث له على هذا العمل؟ وماذا كان يخطط^(٢)؟ .

ليس من السهل تحليل هذه القضية من الناحية التاريخية، وقد بحث جرجي زيدان هذه القضية في كتابه تاريخ التمدن في المجلد الرابع منه، وله استنباط خاص في القضية سنعرضه، لكنه يعترف أن بني العباس أبقوا سياستهم سرية حتى على أقرب المقرّبين إليهم ولهذا بقيت أسرار سياستهم مكتومة، فمثلاً لم يتّضح إلى الآن لماذا كانت ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام^(٣)؟ هذا الحدث بقي طي الكتمان من جهة نظام الخلافة.

١ - طبعاً لا أريد أن أدافع عن البرامكة لأنهم إيرانيون كما يفعل الكثير ممن يسمّون بمقدّسي إيران بل كانوا في صفوف الخلفاء وليس هناك أدنى تفاوت بين البرامكة وبينهم من الجهة الروحية والإنسانية.

٢ - وهذا ليس قطعياً بالنظر إلى التواريخ لكن في كثير منها أن هذا قد حدث.

٣ - أي بالنظر إلى التاريخ كما أشار إليه مسبقاً وسيشير إليه فيما سيأتي (المترجم)

ولاية العهد للإمام الرضا (ع) والمنقولات التاريخية

لكن هذه الأسرار التي كان يجب أن تبقى مخفية، لم تعد كذلك آخر الأمر فمن جهتنا نحن الشيعة قد اتضحت أسرار هذه القضية إلى حد كبير وفي أخبارنا ورواياتنا، أي التاريخ الذي نقل عن طريق علماء الشيعة الذي وصل إلينا عن طريق الروايات التي نقلت عن الأئمة (ع) كالذي ينقله الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد وأكثر منه ما ينقله الشيخ الصدوق في كتاب عيون أخبار الرضا (ع) وبشكل خاص عيون أخبار الرضا (ع) التي يوجد فيها الكثير من الحديث حول مسألة ولاية الإمام الرضا (ع) للعهد، وأنا قبل أن أستاذ إلى كتب الشيعة التاريخية سأجعل كتاباً من أهم كتب أهل السنة مستنداً لي وهو كتاب مقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصفهاني، وأبو الفرج الاصفهاني من كبار مؤرخي العصر الإسلامي وهو أموي من نسل بني أمية وهذا من المسلمات، عاش في عصر آل بويه ولأنه سكن اصفهان عرف باسم «أبو الفرج الاصفهاني» فهذا الرجل ليس شيعياً كي يقال أن كتابه كتب على أساس عاطفة شيعية بل هو مسلم سني كما انه لم يكن رجلاً كثير التقوى حتى نقول ان الكتاب كتب تحت تأثير ورعه. وهو صاحب كتاب الأغاني، و الأغاني جمع أغنية، يبين في هذا الكتاب الذي يبلغ تقريباً ١٧ مجلداً كبيراً تاريخ الموسيقى في العالم الإسلامي وبالمناسبة يتعرّض إلى تواريخ كثير من الأمور، ويقال ان صاحب بن عباد الذي كان معاصراً له كان اذا ذهب الى مكان أخذ معه حملاً كبيراً من الكتب وعندما وقع في يده كتاب أبي الفرج قال: الآن لم أعد بحاجة إلى مكتبة، فالكتاب كان جامعاً و شاملاً فمع أن موضوعه تاريخ

الموسيقى والموسيقين ومع ان كاتبه هو أبو الفرج فإن بعض محدثي الشيعة كالمرحوم المجلسي والمرحوم الشيخ عباس القمي ينقلان بشكل متكرر عن كتاب الأغاني قلنا ان أبا الفرج عنده كتاب يعدّ من الكتب المعتمدة في تاريخ الإسلام هو «مقاتل الطالبين» أي تاريخ مقتل بني أبي طالب (أولاد أبي طالب) جمع فيه نهضات العلويين وشهادة ومقتل أولاد أبي طالب سواء أكانوا من العلويين أم من غيرهم- وان كان أكثرهم من العلويين- ولا يزال الكتاب متداولاً بين الناس، وقد خصص في هذا الكتاب ما يقرب من عشر صفحات عن الإمام الرضا عليه السلام ينقل فيها مسألة ولاية الإمام الرضا عليه السلام للعهد وكيف جرت، وعندما نطالع هذا الكتاب نرى انه يوافق ما نقله علماء الشيعة من تاريخ وبشكل خاص موافقة ما جاء في مقاتل الطالبين مع ما جاء في الإرشاد للشيخ المفيد فقد أجريت مقارنة بينها ورأيت انهما متقاربان جداً حتى كأنهما كتاب واحد، ويقال ان الأسانيد التاريخية لكلا الكتابين ترجع إلى مصادر واحدة، إذن فلا نستند في هذه المسألة إلى خصوص كلام علماء الشيعة.

فلنتحدّث الآن عن بواعث المأمون ولنرما الذي حركة لطرح هذا الموضوع؟ فهل انه اعتقد واقعاً أن يجعل الولاية للإمام عليه السلام حتى إذا مات أو قتل تنتقل الخلافة إلى العائلة العلوية والإمام الرضا عليه السلام، فهل هذا كان اعتقاده؟ وهل بقي على هذا الاعتقاد حتى النهاية؟

و في هذه الحالة يجب أن نرفض دعوى ان المأمون وضع السّم للإمام الرضا عليه السلام ويجب قبول قول من يقول ان الإمام عليه السلام مات موتاً طبيعياً.

من وجهة نظر علماء الشيعة ليس صحيحاً ان المأمون كان ذا نيّة سليمة مستمرة

حتى النهاية ولكن الكثير من المثقفين يعتقدون بصحة ذلك، وان المأمون كان في الواقع شيعياً مؤمناً محباً لآل علي.

المأمون والتشيع

المأمون أعلم الخلفاء بل لعله أعلم سلاطين العالم ولعلك لا تجد بين ملوك العالم من هو أعلم وأكثر حباً^(١) للعلم من المأمون. ولا ريب ان المأمون كان ذا ميل فكري وروحي نحو التشيع إذ لم يشم من المأمون رائحة التشيع في خصوص جلساته التي كان يشترك فيها الإمام الرضا عليه السلام والشيعية فحسب بل كان ذلك ملحوظاً حتى في جلساته مع أهل السنة، وابن عبد البر وهو أحد علماء السنة المعروفين، ينقل قصة تذكر في كتب الشيعة في كتابه المعروف، ان المأمون دعا يوماً أربعين رجلاً من أكابر علماء السنة في بغداد للحضور في الصباح الباكر عنده وفي الصباح اجتمعوا واستقبلهم وطلب منهم المناقشة في مسألة الخلافة ونقل مقداراً من تلك المناقشة السيد محمد تقي شريعتي في كتاب الخلافة والولاية، ولم أجد أحداً من علماء الدين يستدلّ على الخلافة بحسن استدلال المأمون قطعاً فقد حاورهم كلهم في مسألة خلافة أمير المؤمنين وغلبهم، وقد ورد في روايات الشيعة وهذا ما ينقله المرحوم الشيخ عباس القمي في كتاب منتهى الآمال وهو ان شخصاً سأل المأمون من أين تعلّمت التشيع فقال من أبي هارون، أراد أن يقول ان أبي هارون عنده ميل نحو التشيع أيضاً ثم ينقل للسائل قصة مفصلة من ان أباه كان

له ميل شيعي وكان محباً للإمام موسى بن جعفر... لكن في نفس الوقت عامله أسوء معاملة، فسألته: لماذا تتعامل معه بهذا الشكل؟ فأجابني المُلْك عقيم (مثل بين العرب) اي ان الملك لا يعرف إنبأ فكيف بغيره فقلت: وأنا! قال: لو نازعتني أنت إتياء لقطعت الذي فيه عيناك.

إذن لا شك ان المأمون كان عنده ميل شيعي، غايته أن يقال عنه: شيعي قتل الإمام، وأهل الكوفة ألم يكونوا شيعة وقتلوا الإمام الحسين عليه السلام؟ كما أنه لا بحث في أن المأمون كان رجلاً عالماً ومحباً للعلم وهذا الذي جعل الكثير من المثقفين يعتقدون ان المأمون كان يعمل على أساس العقيدة و بخلوص نيّة، فسلم ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام، لكن حوادث الايام منعت تحقيق الامر اذ مات الإمام الرضا عليه السلام موتاً طبيعياً فانتفى الموضوع، لكن علماء الشيعة يخطئون هذه النظرية كما ان القرائن تشير إلى خلافها إذا لو كان الأمر جدياً وواقعياً عند المأمون إلى هذا الحدّ لم تكن ردة فعل الإمام عليه السلام في مسألة قبول ولاية العهد بالنحو التي كانت، ونحن نرى أن الإمام الرضا عليه السلام لم يتلق القضية بشكل جدّي.

رأى الشيخ المفيد والشيخ الصدوق

رأى آخر - وهو ليس بذلك البعد إذ قبله مثل الشيخ المفيد والشيخ الصدوق - وهو أن المأمون كان مصمماً على ذلك في ابتداء الأمر لكنه ندم عن ذلك وتراجع. وفي التاريخ - على ما نقله أبو الفرج أيضاً والصدوق ينقله أكثر تفصيلاً ونقله الشيخ المفيد أيضاً - نجد أن المأمون عندما اقترح ذلك قال: طلبني يوماً أخي الأمين (الأمين كان خليفة والمأمون بالإضافة إلى انه قد أوكل إليه قسم من المُلْك

كان ولي العهد أيضاً) فلم أذهب فأرسل جيشاً ليأتي بي مقيداً، وكانت هناك في أطراف خراسان انتفاضات فأرسلت جيشاً انهزم، ومثله في المكان الفلاني، فرأيت ان معنويات قياديي الجيش عندي ضعيفة فتيقنت ان لا طاقة لي على مقاومة أخي وسيأخذونني ويأخذ سرير الملك وسيكون مستقبلي كثير الشؤم فتبت يوماً بيني وبين الله وأمرت بإحضار الماء لي في هذه الغرفة - ويشير إلى غرفة لمحدثه - فاغتسلت أولاً وتطهرت (ولا أدري هل أراد بذلك كناية عن الغسل أو أنه أراد النظافة الظاهرية) ثم أمرت بأن يؤتى لي باللبسة طاهرة بيضاء وفي نفس المكان قرأت ما كنت أحفظ من القرآن وصليت أربع ركعات ونذرت لله ان إذا حفظني الله وانتصرت على أخي أن أعيد الخلافة لأهلها، فعلت ذلك بكل خلوص قلب وبعد ذلك شعرت براحة في عملي فلم أنكسر في أية جبهة بعد ذلك، أرسلت أفراداً إلى جبهة سيستان فجاءني خبر انتصارهم ثم أرسلت الطاهر بن الحسين إلى أخي فانتصر هو أيضاً، وتتالت الانتصارات، فلما استجاب الله لي رأيت أن اللازم حينئذٍ الوفاء بالنذر، الشيخ الصدوق والآخرون قبلوا ذلك وان الأمر كذلك وأن باعث المأمون هو هذا النذر الذي نذره في ابتداء أمره، هذا احتمال.

الإحتمال الثاني

هنا احتمال آخر هو ان المأمون لم يكن له أي اختيار أصلاً ولم تكن الفكرة

فكرته بل هي فكرة الفضل بن سهل ذي الرياستين^(١) وزير المأمون، أتى إلى المأمون وقال له: ان آباءك قد أساؤوا التعامل مع آل علي فعلموا كذا وكذا... فمن المناسب ان تأتي الآن بأفضل أبناء علي عليه السلام اليوم وهو علي بن موسى الرضا وتجعله ولياً للعهد. لم يكن المأمون مرتاحاً لهذا الأمر لكن لأن الفضل أراد ذلك فلم يكن في الأمر حيلة. وعلى هذا الاحتمال من أن الفكرة فكرة الفضل ينبثق سؤال: لماذا فعل ذلك الفضل؟ وهل كان شيعياً؟ وهل يعمل على أساس إيمانه بالرضا عليه السلام؟ أم أن الفضل بقي على عقيدة المجوس فأراد إخراج الخلافة من آل العباس عجلةً فهو أصلاً يريد اللعب بالخلافة ولهذا لم يكن جيداً مع الإمام الرضا عليه السلام بل كان سيئاً ولهذا فلو ان خطط الفضل نفذت لكان خطرهما اكبر من

١ - كان للمأمون وزير اسمه الفضل بن سهل وله أخ اسمه الحسن بن سهل وهما إيرانيان وبالأصل هما مجوسيان وفي زمان البرامكة في الجيل السابق جاء الفضل بن سهل إلى جهاز البرامكة وعلى يدهم صار من المسلمين، كان ذكياً فظناً مطلعاً وخصوصاً في علم النجوم (ويقول البعض ان أباه كان مسلماً وأنكر ذلك بعض آخر وذهب إلى أنهما كانا مجوسيين ثم أسلما) ثم تسلّق حتى وصل إلى ان صار وزير المأمون وتولى منصبين في آن واحد وبالإضافة إلى كونه وزيراً (والوزير في تلك الأيام مثل رئيس الوزراء اليوم أي كان يتولى جميع الأمور ولم يكن هناك مجلس وزراء، كان هناك شخص واحد له السلطة بعد الخليفة) كان حسب ما يسمّى اليوم رئيس الأركان وقائد كل القوى العسكرية ولهذا كان يقال له ذو الرياستين فكان له منصب الوزراء وقيادة القوى العسكرية. وجُلّ جيش المأمون كان من الإيرانيين (العرب في هذا الجيش قلّة) إذ كان المأمون في خراسان. فحرب الأمين والمأمون كانت أيضاً حرباً بين العرب والإيرانيين، والعرب إلى جانب الأمين والإيرانيون وبالخصوص الخرسانيون إلى جانب المأمون. والمأمون من جهة الأمّ إيراني وقد كتب المسعودي في مروج الذهب وفي التنبيه والإشراف - وكتبه الآخرون أيضاً - أن أم المأمون امرأة باديسية، وصل الأمر بالفضل أن يتسلّط على كل الأوضاع وكان المأمون مجردّ آله بلا إرادة.

خلافة نفس المأمون إذ ان المأمون مهما كان فهو في آخر الأمر خليفة مسلم أما هؤلاء فيريدون في الأساس فصل إيران عن العالم الإسلامي وإعادتها إلى المجوسية.

نذكر هذا كله كاسئلة ولا نريد إدعاء ان التاريخ يملك أجوبة قطعية لها. جرجي زيدان من القائلين بأنه عمل الفضل بن سهل لكنه يعتقد ان الفضل شيعي وانه فعل ذلك لإيمانه. لكنه كلام غير صحيح ولا يوافق التاريخ إذ لو كان الفضل عنده مثل هذا التصميم وكان مريداً واقعاً لاتنصار التشيع على السنة لم تكن ردّة فعل الإمام الرضا(عليه السلام) مقابل ولاية العهد ما كانت عليه بل جاء كثيراً في روايات الشيعة وتواريخ الشيعة ان الإمام الرضا(عليه السلام) كان مخالفاً جداً وبشدة للفضل، بل كان مخالفاً له أكثر من مخالفته للمأمون وكان يرى الفضل بن سهل خطراً حتى انه(عليه السلام) كان في بعض الأحيان يحذر المأمون أن هذا وأخاه خوران جداً كما ان الفضل بن سهل كثيراً ما سعى للإيقاع بالإمام الرضا(عليه السلام).

إلى هنا نكون قد ذكرنا احتمالين:

الأول: انه من ابتكار المأمون وانه كان مصمماً من كل قلبه على ذلك لأجل النذر الذي قطعه على نفسه، سواء أقلنا بانحرافه فيما بعد عن هذا التصميم كما يراه الشيخ الصدوق والآخرون، أم قلنا ببقائه على نيّته حتى النهاية كما يراه بعض المستشرقين.

والثاني: أنها ليس فكرة المأمون أبداً بل هي فكرة الفضل بن سهل الذي قال البعض انه شيعي متمكّن من التشيع ويقول البعض الآخر أن الفضل فعل ذلك مبيّناً نية خطرة.

الإحتمال الثالث: (أ) الحصول على تأييد الإيرانيين

الإحتمال الآخر انه من ابتكار المأمون الا انه لم يكن مصمماً على ذلك من أول الأمر بل دعاه إلى ذلك سياسة المُلْك. فما هي هذه السياسة التي اقتضت ذلك؟ يقول البعض أنها توجيه أنظار الإيرانيين حيث انهم بشكل عام كانوا يميلون إلى التشيع وآل علي عليه السلام وهم عندما قاموا ضدّ العباسيين ^(١) من أول الأمر قاموا تحت شعار الرضا من آل محمد (أو الرضى). ولهذا فإنه حسب ما ورد في التاريخ - لا حسب ما جاء في الروايات - فإن لقب الرضا قد أعطاه المأمون للإمام الرضا عليه السلام أي عندما نصّبه لولاية العهد سّماه بالرضا (أو الرضى) من آل محمد فهو يريد أن يقول: إنني أحيي لكم السنين الثمانين أو التسعين وذلك الشخص الذي أردتموه فما أنا قد أتيت به. فخطط كي يرضيهم ثم فيما بعد يفكر في الأمر.

مسألة أخرى هي ان المأمون كان شاباً بعمر ٢٨ سنة وأقل من ثلاثين سنة وعمر الإمام عليه السلام قريب الخمسين (و على رأي الصدوق وآخرين ٤٧ سنة ولعله الصحيح) فكان من تخطيط المأمون ان هذا الرجل لا يشكّل خطراً إذا أعطيت له ولاية العهد اذ هو يكبره بما لا يقلّ عن عشرين سنة .

إذن هذا الرأي يقول ان ولاية العهد تخطيط سياسي من المأمون يريد به تهدئة الإيرانيين وكسبهم.

(ب) قطع الطريق على انتفاضات العلويين

ذكر البعض علّة أخرى لسياسة المأمون هذه وهي إفشال انتفاضات العلويين فالعلويون شكّلوا بحدّ ذاتهم مشكلة ومع مرور عدد من السنين - وفي بعض الأحيان كل سنة - كانت تقع انتفاضة في بقعة من بقاع البلاد يرأسها أحد العلويين فرأى المأمون لكي يرضي العلويين ويهدأهم وعلى الأقل يتخلّى العلويون عن السلاح ان يقوم بذلك العمل، إذ انه عندما يأتي بزعيم العلويين الى نظامه قهراً سيرون لأنفسهم نصيباً في الخلافة فيتحركون نحوها. كما ان المأمون قد عفا عن كثير منهم مع أنهم قد ارتكبوا في رؤية جرمًا كبيراً و ممن عفا عنه «يزيد النار» أخا الرضا عليه السلام. إذن قرر إرضاءهم وقطع الطريق عن أن يقوموا بالتحرك فهو في الواقع أراد أن يجعل للعلويين سهماً في الخلافة كي يهدأهم ثم يتفرّق الناس من حولهم وبهذه الطريقة لا مجال لهم بعد ذلك لحمل السلاح إذ حيثما يذهبون للدعوة للقيام ضد الخلافة سيقول لهم الناس: أنتم الآن شركاء في الخلافة والإمام الرضا عليه السلام هو الآن ولي العهد فأنتم إذن تقومون ضده.

(ج) سحب البساط من الإمام الرضا عليه السلام

تبرير آخر محتمل لسياسة المأمون هو سحب البساط من الإمام الرضا عليه السلام. وقد جاء في رواياتنا ان الإمام الرضا عليه السلام قال يوماً للمأمون ان ذلك هو هدفك، وتعلمون انه عندما يكون هناك معارضة للنظام فإن إحدى الوسائل التي تتبع لسحب البساط منهم أن يطمعوا ثم مهما ساءت الأوضاع ويتأذى الناس فلن

يتمكن هؤلاء أن يستفيدوا من ذلك بل على العكس فإن ذلك سيحرك الناس ضدهم. فالناس الذين يقولون ان الخلافة حق آل علي عليه السلام، إن أستلموا الخلافة يحولون الدنيا جنّة وستقوم العدالة وتستقر الامور وماشابه هذا الكلام، فأراد المأمون أن يأتي بالإمام الرضا عليه السلام إلى منصب ولاية العهد حتى يرى الناس ان الأوضاع لم تختلف ولم يتبدل شيء فيتهمون آل علي بأنهم كانوا يعترضون عندما كانت يدهم قاصرة عن استلام السلطة وعندما وصلت يدهم إليها سكتوا ولم يقولوا شيئاً.

من الصعب جداً من الجهة التاريخية التوصل الى نتيجة قطعية عن رأي المأمون. فهل المسألة من ابتكاره أم من ابتكار الفضل؟ وان كانت من الفضل فلماذا؟ وان كانت من المأمون فهل كانت نيته سليمة في هذا الامر أم لا؟ وان كانت سليمة فهل تراجع عنها أخيراً أم لا؟ وان لم تكن نيته سليمة فما هو الهدف؟ هذه أمور هي شبهات من الجهة التاريخية. طبعاً أغلبها عليه الدلائل الا انها ليست أدلة قطعية، ويحتمل كون كلام الشيخ الصدوق والآخرين المعتقدين به صحيحاً لكنه ندم وتراجع فحاله حال أي شخص إذا واجه مشكلة فيتخذ قراراً على ان تخلص منها فسيعود إلى الحق وإذا ما تخلص منها فعلاً نراه يعود عن قراره: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (١). والمأمون أيضاً لما أحاط به البلاء نذر نذره وفي البداية أراد الوفاء بنذره لكنه تراجع عنه شيئاً فشيئاً.

و الأفضل لنا أن نبحت المسألة من وجهة نظر الإمام الرضا(ع) فإننا إذا حللنا القضية من هذه الجهة وبشكل خاص إذا أخذنا المسلّمات التاريخية بعين الاعتبار ففي رأيي ستحل كثير من المسائل المرتبطة بالمأمون .

مسلّمات التاريخ

(١) إحضار الإمام(ع) من المدينة إلى مرو

إحدى المسلّمات التاريخية إحضار الإمام الرضا(ع) من المدينة إلى مرو ولم يسبق ذلك استشارة الإمام(ع) وأخذ رأيه ولم يذكر أحد انه سبق ذلك مراسلة أو حديث مع الإمام(ع) بهذا الشأن ولأي شيء نريد أن تأتي بحيث يكون الإمام(ع) تحرّك على أساس ذلك واستجابة لتلك الدعوى. بل المأمون أحضر الإمام(ع) بدون توضيح ما هو الموضوع، وأول مرة وضع الإمام(ع) في أجواء المسألة كانت في مرو ولم يحضر فقط الإمام(ع) بل أمر المأمون بإحضار عدد كبير من آل أبي طالب من المدينة تحت المراقبة ومن دون أن يكون لهم في ذلك، حتى انه قد حدّد للإمام(ع) طريقاً محدوداً كي لا يمرّ(ع) بمناطق الشيعة لأن المأمون كان يخاف منهم فأمر المأمون بأن لا يمرّوا من طريق الكوفة بل من طريق البصرة وخوزستان و فارس إلى نيشابور فخطّ السير كان محدوداً والاشخاص الذين اختارهم المأمون لإحضاره(ع) كانوا ممن يحقدون ويكتّون عداوة للإمام(ع) والعجيب ان القائد الذي أوكلت إليه هذه المهمة والذي كان يعرف باسم الجلودي (والظاهر انه عربي) و كان وفيّاً للمأمون كمال الوفاء إلا أنه كان معادياً للإمام الرضا(ع) جداً بحيث لما طرح المأمون المسألة في مرو أعلن الجلودي معارضته وكلما حاول

المأمون اسكاته كان لا يجيب و يصرّ على إبداء معارضته حتى سجن مع شخصين آخرين ثم قتلوا بسبب ذلك بعد أن دعاهم المأمون يوماً و كان الإمام الرضا عليه السلام و جماعة آخرين منهم الفضل بن سهل حاضرين في المجلس و طلب منهم رأيهم مجدداً فأجابوا بالرفض بكل صراحة و المعارضة التامة و كان جوابهم حدياً فقطع رأس الأول ثم جيء بالثاني فقاوم لكن ضربت رقبته و عندما جاء دور الجلودي^(١) همس الإمام عليه السلام في أذن المأمون، إذ كان جالساً بقربه، أن يصرف النظر عنه فقال الجلودي: يا أمير المؤمنين لي عندك رجاء و أقسم عليك بالله أن لاتسمع كلام هذا الرجل في حقّي فقال المأمون: سأوفي بقسمك ولن أقبل كلامه فيك (لم يكن يعلم ان الإمام كان يشفع له) فقطعت عنقه.

و على كل حال فقد جيء بالإمام الرضا عليه السلام على هذه الحال إلى مرو و قد وضعوا آل أبي طالب في مكان و الإمام الرضا عليه السلام في مكان لكن في ظل مراقبة و حراسة و في مرو طرح المأمون الموضوع مع الإمام الرضا عليه السلام. هذه من مسلمات التاريخ.

١ - للجلودي سابقة سيئة جداً و هي أنه في إحدى إنتفاضات العلويين التي فشلت أمر هارون الجلودي هذا أن يذهب إلى المدينة و يسلب كل أموال أبي طالب حتى زينة نساءهم و البستهم ما عدا لباساً واحداً. فجاء إلى بيت الإمام الرضا عليه السلام فصده الإمام عليه السلام من باب الدار و منعه من الدخول، فقال: لا بدّ أن أنقذ ما امرت به، يجب أن أدخل و أخلع الألبسة عن النساء و لا أبقى أكثر من لباس واحد فقال له عليه السلام: أنا آتيك بذلك كله و أما الدخول فلن أسمح لك، فلم يجز له الإمام عليه السلام ذلك مهما أصرّ حتى ذهب الإمام عليه السلام بنفسه و طلب من النساء ما عندهنّ من ألبسة فجمعها حتى الحلق و السوار، جمعها له فأخذها و رحل.

(٢) رفض الإمام الرضا(ع)

وإذا تركنا مسألة ان الموضوع لم يطرح مع الإمام(ع) في المدينة وإنما طرح في مرو فهناك رفض الإمام(ع) فقد ذكر أبو الفرج المتقدم ذكره في «مقاتل الطالبين» ان المأمون أرسل الفضل بن سهل والحسن بن سهل إلى الإمام الرضا(ع) وهذان الرجلان طرحا المسألة مع الإمام(ع) فرفض ولم يقبل حتى قال له أخيراً: لا خيار لك و نحن مأمورين بضرب عنقك هنا، إن أنت رفضت (ينقل هذا أيضاً علماء الشيعة) يقول أبو الفرج أيضاً: لم يقبل الإمام(ع) فذهبا إلى المأمون، أعاد المأمون الحديث نفسه مع الإمام وكرر تهديده بالقتل. وفوراً قال له: لماذا لا تقبل^(١) أولم يشترك جدك علي بن ابي طالب في الشورى؟ أراد أن يقول له: إن ولاية العهد هذه لا تنافي سننكم آل البيت أي عندما اشترك الإمام علي(ع) فى الشورى و تدخل (في أمر انتخاب الخليفة) فهذا يعني انه قد غضّ النظر عن حقه الذي يراه لنفسه من الله واستسلم للأوضاع ليرى إلى ماذا تؤول إليه الظروف وأوضاع الناس؟ أيؤول إليه الأمر أم لا؟ فلو ان الشورى أعطت الخلافة لعلي(ع) لكان قبل بها فعليك أنت أيضاً أن تقبل، إلى ان قبل الإمام الرضا(ع) أخيراً تحت

١ - يعلم هؤلاء ماذا يوجد في القلوب ولماذا لا يقبل الإمام الرضا(ع). فالإمام(ع) كان يرفض لما ذكره للمأمون فيما بعد: مالٌ مَنْ أنت تعطي؟ فالإمام(ع) طرح مسألة أن المأمون من مال مَنْ يعطي؟ و قبول المنصب منه تأييد لمنصب المأمون فإذا كان الإمام(ع) يعلم ان الخلافة حق إلهي له فهو يقول للمأمون لا تملك الحق في تعييني ولياً للعهد بل عليك أن تسلم هذا الأمر وتعترف أن لا حق لي والحق لك فأنت الذي يجب أن تقبل بالتخلّي وان الخليفة يعيّن بالانتخاب من الناس فأيضاً ما شأنك أنت بهذا.

التهديد بأنه ان لم يوافق يقتل، طبعاً يبقى السؤال: هل كان الأمر يستحق ان يقتل الإمام عليه السلام لإصراره عليه السلام على امتناعه عن قبول ولاية العهد؟ وهل هذا يشبه بيعة يزيد التي طلبت من الإمام الحسين عليه السلام أم لا؟ هذا ما سنبحث عنه فيما بعد.

(٣) شرط الإمام الرضا عليه السلام

ومن المسلّمات التاريخية الأخرى ان الإمام عليه السلام وافق بشرط وافقوا عليه وهو ان لا يكون له أي دخالة بأى شيء ولا يتحمّل مسؤولية تجاه أى عمل. أراد عليه السلام في الواقع أن لا يتحمّل مسؤولية أعمال المأمون وحسب ما يقال اليوم أراد أن يحفظ خطّ المعارضة وعدم التعاون وقد حافظ على ذلك (طبعاً المأمون وافق على هذا الشرط) ولهذا لم يكن يشترك الإمام عليه السلام حتى في صلاة العيد إلى ان حصل ما هو معروف من ان المأمون طلب من الرضا عليه السلام يوماً أن يصلي صلاة العيد، فقال له عليه السلام: هذا خلاف الإتفاق، فقال: إن رفضك لتقبّل أي عمل جعل الناس تقول عنا أشياء ولا بدّ أن تقبل فقيل الإمام عليه السلام هذه الصلاة بشرط^(١) جعل المأمون والفضل يندمان على ذلك وعلمنا ان الأمر ان وصل إلى هنا فإن ثورة ستحدث فتراجعا عن طلب الصلاة فأعادوا الإمام عليه السلام من الطريق ولم يسمحوا له بالخروج من المدينة.

(٤) طريقة تعامل الإمام عليه السلام بعد ولاية العهد

ومن المسلّمات التاريخية التي ينقلها السنّة كما ينقلها الشيعة، ونقلها أبو الفرج

أيضاً كما نقلت في كتبنا، هي مسلك الإمام عليه السلام بعد ولاية العهد و خصوصاً الكلام الذي كان يقوله عليه السلام في مجلس المأمون، وفي رأيي ان الإمام في خطبة لم تتعدّ السطر ونصف السطر - والتي نقلها الجميع - قد وضح موقفه، خطب ولم يأت على ذكر للمأمون ولم يبد أدنى شكر له. والطبيعي انه في مثل هذه الحالات ان يذكر اسمه وعلى الأقل أن يُقدم على شكره. يقول أبو الفرج انه أخيراً عيّن يوم لمبايعة الناس للإمام الرضا عليه السلام فجاء الناس وقد هبّ المأمون للإمام الرضا عليه السلام مجلساً وأول من أمر بمبايعة الإمام رضاء عليه السلام العباس ابن المأمون والثاني كان أحد السادات العلويين وتمّت البيعة بهذا الترتيب، عباسي علوي وكان المأمون يعطي جائزة لكل واحد من هؤلاء. عندما جاؤوا للبيعة أبزر الإمام عليه السلام يده للناس بشكل خاص، فقال له المأمون: مدّ يدك كي يبايعك الناس، قال عليه السلام: لا هكذا بايع جدّي النبي ﷺ وقد وضع يده بهذا النحو، فكان الناس يأتون و يأخذون بيده عليه السلام ويضعونها في أيديهم، ثم جاء الخطباء والشعراء - هؤلاء الذين يسايرون الأحوال والأوضاع - وأخذوا يخطبون ويتلون قصائدهم في مدح الإمام الرضا عليه السلام ومدح المأمون ومجدّوا فيهما ثم طلب المأمون من الرضا عليه السلام أن يخطب بين الناس ويتكلّم فيهم فقام عليه السلام، توقّع المأمون أن يكسب هنا من الإمام تأييداً لخلافته. قالوا: فقال بعد حمد الله والثناء عليه^(١)....

١ - في هامش الكتاب ان هذه الكلمات لم يضبطها شريط التسجيل مع الأسف إذ وصل إلى آخره.

الجلسة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

موضوع البحث مسألة ولاية العهد للإمام رضا عليه السلام من المأمون: وقد ذكرنا في الجلسة السابقة أن في هذه القصة سلسلة مسائل قطعية ومسئلة تاريخياً وسلسلة مسائل مشكوك فيها حتى أن بعض المؤرخين مثل جرجي زيدان يصرّحون بأن سياسة بنى العباس كانت كتومة و قليلاً ما كانوا يفسحون أسرار سياستهم ولهذا بقيت هذه المجهولات في التاريخ.

والأمر الذي لا ريب فيه و لا نقاش ان ولاية العهد لم تكن أولاً من الإمام الرضا عليه السلام أي لم يكن هناك أي عمل من الإمام عليه السلام بهذا الاتجاه بل كانت صادرة عن المأمون كما أنها ابتداءً لم تكن بحيث ان المأمون يقترح والأمام عليه السلام يوافق بل كانت بشكل انه وقبل إعلان الأمر يرسل جماعة من خراسان - خراسان القديمة، من مرو، من ماوراءالنهر، من هذه الأراضى التي تعتبر اليوم من أجزاء روسيا، حيث كان المأمون - و يحضرون جماعة من بني هاشم و على رأسهم الإمام الرضا عليه السلام. ولم يكن هناك حديث عن أي اختيار حتى ان الطريق الذي يسلكه الإمام عليه السلام كان مشخصاً و من المناطق و الطرق التي يكون الشيعة فيها بنسبة أقل من غيرها، أو لا وجود لهم اصلاً و حدد لهم بشكل خاص أن لا يعبروا بالإمام عليه السلام

من المدن التي يسكنها الشيعة. عندما دخلت هذه المجموعة مرواً فقد أسكنوا الإمام عليه السلام في بيت و الآخرين في بيت آخر. وفي مرو تطرح المسألة لأول مرة ويقترح المأمون ذلك (أن يقبل الإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد) وكلام المأمون الأول كان: إنني أريد أن أسلم الخلافة، ثم عرض عليه إن لم يقبل بها أن يقبل ولاية العهد.

ولكن الإمام الرضا عليه السلام امتنع امتناعاً شديداً، فعلى أي أساس رفض الإمام عليه السلام؟ ولماذا امتنع؟ طبعاً هذه الأمور لانستطيع أن نذكرها على نحو البتّ والجزم لكن في الروايات المروية عنه عليه السلام - و من جملتها رواية عيون أخبار الرضا عليه السلام. انه عندما قال المأمون: أرى أن أعزل نفسي عن الخلافة وأنصبك مكاني ثم أباعك فقال له الإمام عليه السلام: إما أن تكون ذا حقّ في الخلافة أولاً حقّ لك بها، فإن كانت الخلافة هي لك واقعاً وأنت صاحب حق فيها والحال ان الخلافة منصب إلهي فليس لك الحق إذا عينك الله أن تعطيها لغيرك وإن لم تكن حقاً لك فأيضاً ليس لك الحق في إعطاء الخلافة إذ الشيء الذي تفقده كيف تعطي لغيرك؟ معنى ذلك انك لست صاحب حق في الخلافة فعليك أن تعلن أنّك لست صاحب حق كما فعل معاوية بن يزيد. وهذا يعني - قهراً - ان تخطيء آباءك كما خطأهم معاوية بن يزيد الذي قال: ان آبائي لبسوا هذا الثوب بغير حق وأنا أيضاً لبسته بغير حق مدة من الوقت. فعليك أن تقول: أدع الخلافة لا أن تقول أعطيك الخلافة. عندما سمع المأمون ذلك تغيرت لهجته فوراً وقال: أنت مجبور على ذلك ثم هدّده المأمون

خالطاً التهديد بالاستدلال ايضاً^(١). فقال كلمة فيها استدلال من جهة وتهديد من جهة أخرى، وهي ان جدك علي بن ابي طالب قد اشترك في الشورى (شورى الستة) والخليفة عمر هدّد قائلاً: «على الشورى خلال ثلاثة ايام أن تقرّر فإن لم تفعل أو تمرّد بعضهم على قرار الأكثرية فإن أبا طلحة الأنصاري مأمور بقطع رقابهم». أراد المأمون من ذلك أن يقول: أنت الآن في الوضع الذي كان عليه جدك وأنا في وضع عمر فاسلك سيرة جدك علي واشترك في هذا الأمر. ففي هذه الجملة تلويح أن لماذا اشترك جدك علي عليه السلام في الشورى مع أنه كان يعرف أن الخلافة لهذا أم لذاك، وهذا بحد ذاته تنازل من جدك علي بن ابي طالب ولم يعقد المسألة ويقول لم الشورى؟ والخلافة لي فإما أن تنتخوها لأكون الخليفة وإلا أرفض الإشتراك في الشورى فاشترাকে فيها يعنى أنه غضّ النظر عن حقه القطعي والمسلّم به وساوى نفسه بين أفراد الشورى، وأنت الآن في وضع يشبه وضع علي بن أبي طالب، هذه هي الجهة الإستدلالية في القضية أما جهة التهديد فهي أن عمرأ كان خليفة يجعله المأمون سنداً تقريباً للعصر والزمان فهو يريد أن يقول إنني إذا اتخذت قراراً صلباً فالمجتمع سيقبل مني ذلك وسيقولون اتخذ القرار الذي اتخذته الخليفة الثاني الذي قال ان مصلحة المسلمين في الشورى ومن تخلف تُضرب رقبته وأنا خليفة أرى بأن مصلحة المسلمين تقتضي أن يقبل علي بن موسى ولاية العهد وإلا يضرب عنقه. إذن مزج الإستدلال بالتهديد ومن مسلّمات التاريخ ايضاً

١ - في الواقع كان المأمون رجلاً عالماً مطلعاً له اطلاع بالحديث، اطلاع بالتاريخ، اطلاع في المنطق، اطلاع في الأدبيات، في الفلسفة وقد يكون على معرفة بسيطة بالطب والنجوم فهو في الأصل من العلماء ولم يكن له نظير في فئة خلفاء و سلاطين العالم.

إياء الإمام الرضا عليه السلام عن قبول ولاية العهد إلا أنه قبل تحت التهديد.

الأمر الثالث الذي هو من القطعيات والمسلمات أن الإمام عليه السلام اشترط على المأمون من أول الأمر أن لا يتدخل بالأمور أي لا يكون جزءاً من النظام. فليطلقوا عليّ صفة ولاية العهد ولتضرب السكة باسمي ولتقرأ الخطب باسمي لكنني لن أكون شريكاً في الأعمال ولن أتحمل مسؤولية أي عمل لا في القضاء والمحاكم ولا في العزل والنصب أو أي عمل آخر^(١). في مراسم ولاية العهد أبرز الإمام عليه السلام أيضاً عدم تعلّقه بهذا النظام وأن الجملة التي قالها عليه السلام في أول خطبة بعد ولاية العهد لهي جملة عجيبة وقيّمة في رأيي. ذلك المجلس العظيم الذي شكّله المأمون والذي دعى إليه كل مسؤولي الدولة من وزراء وقياديين الجيش وسائر الشخصيات وقد لبس الجميع اللباس الأخضر الذي جعل شعاراً في ذلك الوقت^(٢). وأول شخص أمر بمبايعة الإمام الرضا عليه السلام على أنه وليّ العهد هو عباس بن المأمون الذي كان - ظاهراً - قد سمّي بوليّ العهد مسبقاً أو كان مهيباً لذلك. ثم جاء الآخرون الواحد تلو الآخر للبيعة ثم الشعراء ثم الخطباء حيث تليت الأشعار الراقية وأنشئت الخطب الغراء ثم صار الاتفاق على أن يخطب الإمام عليه السلام فوقف عليه السلام وتحدّث في سطر ونصف السطر في جملات كانت في الواقع اعتراضاً

١ - في الواقع لم يرد الأمام عليه السلام أن يكون جزءاً من المأمون بحيث يلازمه.

٢ - لماذا اللباس الأخضر؟ يقول البعض هذا من تدبير الفضل بن سهل لأن شعار العباسيين اللباس الأسود فأعطى الفضل من ذلك اليوم أمراً أن يلبس الجميع الأخضر، قالوا إنه في هذا التدبير تظهر روح زرادشتية واللون الأخضر هو شعار المجوس، إلّا أننا لا نعلم إلى أي حد هذا الكلام صحيح.

عليهم وهذا هو مضمون الخطبة: «إن لنا حقاً بولاية أمركم - و معنى ذلك ان هذا في الاصل حقاً لنا و ليس شيئاً نُعطاه من المأمون - ولكم علينا من الحق - (ولا أذكر عين العبارة). حَقِّكم أن ندير أمركم، فمتى ما أعطيتُمونا حقنا - أي قبلتُمونا ولاية أمركم - وجب علينا تأدية حَقِّكم والسلام. كلمتان: لنا حق الخلافة ولكم حق باعتبار أنكم شعب تحتاجون إلى خليفة عليكم أداء حقنا فإذا فعلتم وجب علينا أن نقوم بواجبنا اتجاهكم»^(١). لا ترى أي شكر للمأمون أو أي كلام آخر بل مضمون هذه الجمل مخالف لروح جلسة ولاية العهد. واستمر الإمام ﷺ على هذا النحو. أي كان مركز ولاية العهد بالنسبة للإمام الرضا ﷺ أشبه بمركز فخري فهو لم يكن على استعداد للتدخل. ولو قبل التدخل أحياناً - تحت الضغط - فلم يكن تدخلاً يحقق هدف المأمون مثل قضية صلاة العيد إذ أرسل المأمون إلى الإمام ﷺ إننا اتفقنا على أن لا نتدخل في أي عمل لكن هذا يوجب إتهام لنا فلا بأس بالقيام بهذا العمل^(٢) فقال الإمام ﷺ إذا أردت فعل ذلك فعلي أن أقوم به بطريقة جدِّي لا على النحو المتعارف عليه هذا اليوم فوافق المأمون. خرج الإمام ﷺ من داره فحدث ضوضاء وجلبة في المدينة بشكل جعلهم يعدلون عن طلبهم ويعيدون الإمام ﷺ من وسط الطريق، وعلى هذا الأساس فإن الأمر مسلَّم به إلى هذا الحد من أن الإمام ﷺ قد حُمِّل ولاية العهد تحت الإجبار والتهديد بالقتل وبعد التهديد قبل ﷺ بشرط أن لا يكون له دخل بأي عمل ولم يتدخل أبداً فقد عزل نفسه بنحو

١ - في بحار الأنوار ج ٤٩ ص ١٤٦: لنا عليكم حق برسول الله ﷺ ولكم علينا حق به فإذا أنتم أديتم إلينا ذلك وجب علينا الحق لكم.

٢ - أي صلاة العيد.

يَبَيِّنُ فِيهِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَنْسَجِمُ مَعَ هَؤُلَاءِ وَلَيْسَ لَهُ أَيُّ تَمَاسٍ مَعَهُمْ كَمَا أَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى تَمَاسٍ مَعَهُ.

المسائل المشكوكة

وهناك جملة مسائل مشكوك فيها قد عرضناها. وهي كثيرة. وهنا تختلف الاجتهادات من العلماء والمؤرخين. أصلاً ما هي ولاية العهد؟ وكيف حدث أن استعذّ المأمون لأن يطلب الإمام الرضا عليه السلام من المدينة ويفوض إليه ولاية العهد والخلافة وإن يخرجها من بني العباس إلى آل علي، فهل هي فكرته أم فكرة الفضل بن سهل ذي الرياستين السرخسي، ألزم المأمون بها باعتبار أنه كان وزيراً متسلطاً وكانت جيوش المأمون - والتي أكثرها من الإيرانيين - كانت تحت إشراف هذا الوزير وكان يستطيع فرض أي رأى يريده. ولماذا قام بذلك؟ يقول البعض - وهو قول ضعيف طبعاً - مثل جرجي زيدان وحتى إدوارد براد أن الفضل بن سهل كان شيعياً وكان حسن النية في طرح المسألة وأراد واقعاً نقل الخلافة إلى آل علي عليه السلام، ولكن لو كان هذا الاحتمال صحيحاً لكان من الطبيعي أن يتعاون الإمام عليه السلام مع الفضل بن سهل لأن الوسيلة كانت مهتأة تماماً لانتقال الخلافة إلى العلويين ولم يكن ليرفض حتى يضطرّ للقبول تحت التهديد وما يقبله هو أشبه بمركز فخري ليس له أي تدخل في أعمال الحكم.

بل لكان تحمسه إلى القبول شديداً ولتدخل في الأمور وخلع المأمون - عملياً من الخلافة - طبعاً هاهنا إشكال آخر وهو أننا لو فرضنا أنه كان بالأمكان عزل المأمون من خلال تعاون بين الإمام عليه السلام والفضل إلا أن الأوضاع لم تكن بحيث

تسير الخلافة حينها على ما يرام لأن خراسان لم تكن كل البلاد الإسلامية بل كانت جزء منها فلو تجاوزنا حدود خراسان ففي العراق الذي كان سابقاً مركز الخلافة وكذا الحجاز واليمن ومصر وسورية كان الوضع مختلفاً فلم يكن فيها ميل لما يميل إليه الإيرانيون وأهل خراسان بل كانت ميولهم بالصدّ أيّ أنّا إذا افترضنا أن القضية تمّت بذلك الشكل وصارت واقعيّة لكان الإمام الرضا عليه السلام خليفة في خراسان فقط أما بغداد فإنّها ستقف في وجهه بقوة كما انه بمجرد أن وصل خبر ولاية العهد إلى بغداد وأدرك العباسيون في بغداد ماذا فعل المأمون أعلنوا عزل المأمون وبايعوا شخصاً آخر من بني العباس هو إبراهيم بن شكلة - مع أنه كان بلا صلاحيات - وأعلنوا التمرد واننا لا يمكننا الخضوع لسلطة العلويين فقد كدّ أجدادنا مئة سنة وأتعبوا نفوسهم والآن وبدفعة واحدة تحوّل الخلافة إلى العلويين؟ قامت بغداد وتبعته المناطق الأخرى.

إلا أن ذلك كله مجرد فرض لا أساس له وغير مقبول ان الفضل بن سهل ذا الرياستين كان شيعياً وانه تحرّك وفعل ذلك بدافع الاخلاص والمحبة للإمام الرضا عليه السلام. فـ

اولاً: كون الفكرة فكرة الفضل مشكوك بها.

ثانياً: لو سلّمنا كونها فكرته فان يكون بدافع الحسّ الشيعي فالشكّ فيه قويّ. والإحتمال الأقوى^(١) ان الفضل بن سهل لازال جديداً على الإسلام، أراد بهذه

الوسيلة أن يعيد إيران إلى ما قبل الإسلام^(١) وقد علم ان الإيرانيين لا يقبلون بذلك لانهم في الواقع مسلمون معتقدون بالإسلام فيكفي ان يأتي بكلمة ضد الإسلام حتى يعارضوه. فرأى ان يكيد للخليفة العباسي عن طريق رجل ذي وجاهة، واختار - عجالة - الإمام الرضا(عليه السلام) لهذا الغرض الذي سيتلي خارجاً بمشاكل معارضة بني العباس ومن الداخل يعمل الفضل على تهيئة الفرصة لارجاع إيران إلى عصر الزرداشتية ولو صح هذا الفرض فإن الإمام(عليه السلام) سيتعاون مع المأمون لقلع وقمع هذا الخطر الأكبر أي خطر الفضل بن سهل على الإسلام الذي هو أشد من خطر المأمون لأنّ المأمون مهما كان فهو في النهاية خليفة مسلم. مسألة أخرى يجب ذكرها هي أننا لا يجب ان نظن ان جميع الخلفاء الذين كانوا معارضين للأئمة(عليهم السلام) أو قتلوهم، هم في رتبة واحدة. وعليه ففرق بين يزيد بن معاوية وبين المأمون بعد السماء عن الأرض فالمأمون في طبقة الخلفاء والسلاطين من أفضلهم سواء من الناحية العلمية أم من النواحي الأخر كحسن السياسة العدالة النسبية، الظلم النسبي، ومن جهة كونه حسن الإدارة وكونه مفيداً للناس. كان رجلاً ذا فكر واضح جداً. وهذا التمدن العظيم الذي نفتخر به اليوم قد تحقق على يد هارون و المأمون أي كان لهما سعة نظر و وضوح فكر مميز حيث قاما بأعمال كثيرة هي اليوم مفخر العالم الإسلامي لكن مسألة «الملك عقيم» وان المأمون لأجل الملك والسلطة قام ضد معتقده وسّم الإمام(عليه السلام) هي أمر و باقي الأمور أمر آخر.

١ - ذكرنا ان هذه الأمور ليس أي منها قطعي بل من الشبهات التاريخية إلا ان بعض الروايات تحكي الأمر كما ذكرنا.

وعلى كل حال لو كانت الفكرة واقعاً من ابتكار الفضل ابن سهل والفضل على ما تفيدته القرائن (كان سيء النية فمن الطبيعي في هذه الحال ان يقف الإمام عليه السلام إلى جانب المأمون) و الروايات تؤيد هذا المعنى من أن الإمام الرضا عليه السلام كان ينفر من الفضل أكثر من نفوره من المأمون وأحياناً كان يقف الإمام عليه السلام إلى جانب المأمون إذا وقع خلاف بين الفضل و المأمون. قد جاء في رواياتنا أن الفضل بن سهل مع هاشم بن إبراهيم قد جاء إلى الإمام عليه السلام وقال له: الخلافة حقكم وهؤلاء غاصبون فوافقوا ونحن نقتل المأمون ثم تصبح الخليفة الرسمي إلا ان الإمام عليه السلام طردهما شر طرده ولما فهمما فداحة الخطأ الذي ارتكباه ذهبا فوراً إلى المأمون قائلين له: كنا عند علي بن موسى فأردنا اختباره وعرضنا عليه الأمر الفلاني لنرى ان كان حسن النية تجاهك فأبنا منه ذلك، إذ قلنا له: هيا نتعاون معاً لقتل المأمون فطردنا، ثم ان الإمام عليه السلام طرح القضية مع المأمون في أحد اللقاءات - والمأمون كان على علم بالقضية - فقال له: قد جاء و كانا جديين وهما يكذبان عليك، ثم قال له: احذر منهما. فبناء على هذه الروايات فإن علي بن موسى عليه السلام يرى خطر الفضل^(١) فالإمام عليه السلام كان يرى ان هذه الولاية التي هي من تدبير هذا الرجل أمراً خطيراً جداً وكان يعتقد عليه السلام ان هناك نية مبيتة في المسألة، قد أرادوا جعله عليه السلام وسيلة لإعادة إيران إلى المجوسية. إذن نحن نتحدث بناء على فرض.

وإذا كان من ابتكار الفضل و كان واقعاً شيعياً (على ما يذهب إليه بعض

١ - فسواء أكان بنفسه دخل في الإسلام جديداً أم كان أبوه مسلماً على يد البرمكيين فهو إسلام سياسي باعتبار أن وزير الخليفة لا يصح ان يكون رجلاً زرادشتياً.

المؤرخين الأوروبيين) لكان على الإمام عليه السلام ان يتعاون مع الفضل ضد المأمون. ولو كانت الروح الزرادشتية هي الباعثة له على ذلك فإن موقف الإمام عليه السلام سيكون على العكس أي كان من اللازم التعاون مع المأمون لاسقاط هذه المؤامرة ورواياتنا تؤيد الرأي الثاني، أي ان العلاقة بين الإمام عليه السلام والفضل لم تكن على ما يرام حتى ولو لم تكن ولاية العهد فكرة الفضل وكان عليه السلام يحذر المأمون من خطر الفضل. وهذا بحسب رواياتنا مسلم به.

الفرضية الأخرى هي ان ولاية العهد لم تكن فكرة الفضل بل كانت فكرة المأمون. فإذا كان كذلك فلماذا أقدم على ذلك المأمون؟ وهل كان حسن النية؟ وان كانت نيته سليمة فهل بقي عليها حتى النهاية أم عدل عنها؟ والقول بأنه كان حسن النية حتى النهاية يصعب جداً القبول به ولم يكن الأمر كذلك أبداً بل أقصى ما يمكن قوله انه في بداية المسألة كان سليم النية إلا انه تراجع عنها أخيراً. وقد ذكرنا ان الشيخ الصدوق ومعه الشيخ المفيد ظاهراً يعتقدان بذلك. فيرى الشيخ الصدوق في كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام ان المأمون كان في البداية سليم النية وانه واقعاً قد نذر وهو في ذلك البلاء الشديد الذي ابتلي به مع أخيه الأمين انه ان نصره الله على أخيه ان يعيد الخلافة إلى أهلها وأن الإمام عليه السلام انما امتنع عن قبول ولاية العهد من جهة انه يعلم ان المأمون كان متأثراً بعواطف آنية وسيندم على ذلك ويتراجع، طبعاً أكثر العلماء لا يوافقون رأي الشيخ الصدوق ويعتقدون انه من أول الأمر لم يكن المأمون حسن النية بل كانت هناك خدعة سياسية، فما هي تلك الخدعة؟ هل كان يريد اسقاط النهضة العلوية بهذه الوسيلة؟ هل كان يريد الإساءة لسمعة الإمام عليه السلام بهذه الطريقة؟ لانهم لما كانوا منعزلين برزوا كمعارضة

فأراد المأمون ادخال الإمام عليه السلام في النظام فيصبح غير مرضي عنه لدى الناس كما هي الحال في أغلب السياسات أذ يقومون بذلك كي يفشلون عمله من جهة أخرى حتى يبتعد عنه الناس الذين كانوا يطعمون به. وهذا المعنى موجود في رواياتنا من ان الإمام عليه السلام قال للمأمون مرة: أنا أعلم انك تريد بهذه الوسيلة ان تفسد الأمر عليّ فيغضب المأمون وينزعج قائلاً ما هذا الكلام الذي تقول له ولماذا تتهمني بذلك.

تحليل الفرضيات:

وإذا تأملنا في هذه الفرضيات نجد:

ان على الإمام عليه السلام التعاون الشديد. وهو فرض كون الفكرة فكرة الفضل بن سهل مع فرض كونه شيعياً. وبناء على هذا الافتراض لا محذور في قبول الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد. ولو كان هناك ايراد فهو من جهة ان لم يقبل عليه السلام بها بشكل جدّي. إلا أننا من هنا ندرك ان الفرض غير صحيح، إذ نقول وبنظرة موضوعية - وليس بنظرة شيعية - إن الإمام الرضا عليه السلام اما ان يكون رجل دين أو رجل دنيا. فإن كان رجل دين فكان اللازم - وهو يرى الفرصة سانحة (لانتقال الخلافة من بني العباس إلى آل علي عليه السلام) - أن يتعاون مع الفضل. وان كان رجلاً دنياً فالتعاون لازم ايضاً. فعندما لا يتعاون الإمام عليه السلام مع الفضل بل يطرده. فهذا يدل على ان ذلك الفرض خاطيء.

اما إذا افترض ان ولاية العهد فكرة ذي الرياستين بهدف الانقلاب على الإسلام فإن عمل الإمام الرضا عليه السلام صحيح تماماً. أي ان الإمام عليه السلام يكون حينئذ بين شرّين ويختار أقلمها وهو التعاون مع المأمون و يقتصر من الأقل شراً على

أقل قدر ممكن منه.

ويقوى الاشكال عندما نقول ان الفكرة فكرة المأمون فهنا قد يقول البعض ان على الإمام (عليه السلام) عندما دعاه المأمون للتعاون مع ما عنده من نية سيئة ان يقاومه وإن هدد بالقتل لكان عليه ان لا يبالي بذلك. فعلى الإمام (عليه السلام) المقاومة والرضا بالقتل من أول الأمر ويستعد لذلك وان لا يقبل بولاية العهد هذه الظاهرية الفخرية بأي وجه من الوجوه. هنا يجب القضاء هل كان يجب على الإمام الرضا أم كان اللازم القبول؟.

ومن وجهة نظر شرعية: الإقدام على قتل النفس أي على عمل يؤدي إلى قتل النفس قد يكون جائزاً لكن ضمن ظروف بحيث يكون أثر القتل أهم من أثر البقاء حياً. أي حيث يدور الأمر بين أن يقتل الإنسان وبين ان يتحمل المفسدة العظمى الفلانية كما في قضية الإمام الحسين (عليه السلام)، فقد طلب من الإمام الحسين (عليه السلام) البيعة ليزيد حيث كانت لأول مرة تتحقق ولاية العهد عملياً من قبل معاويه. الإمام الحسين (عليه السلام) رجح القتل على البيعة اضافة إلى ان ظروف الإمام الحسين (عليه السلام) كانت بحيث يحتاج العالم الإسلامي فيها إلى يقظة وإلى اعلان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وان كان الثمن هو دمه. وقام (عليه السلام) بذلك وترتبت نتائجه. ولكن هل كانت ظروف الإمام الرضا (عليه السلام) بهذا النحو؟ أي ان الإمام الرضا (عليه السلام) كان واقعاً على مفترق طريقين بحيث يجوز ان يقدم نفسه للقتل؟ أحياناً يصل المرء إلى أن يُقتل من دون اختيار مثل قضية السم التي هي أمر قطعي من وجهة نظر روايات الشيعة. لكنها من جهة تاريخية ليست قطعية. وكثير من المؤرخين - حتى أن بعض مؤرخي الشيعة

كالمسعودي مثلاً^(١) - يعتقدون ان الإمام عليه السلام قد وافاه أجله الطبيعي ولم يقتل. لكن بناء على رأى المعروف عند الشيعة من أن الإمام عليه السلام قتله المأمون بالسم نقول ان الإنسان عندما يصير في ظرف يتخير فيه بين أمرين عليه ان يختار أحدهما اما القتل أو العمل الفلاني فإنه لا يصح القول أنه أخيراً سيموت فليختر القتل لانني إذا كنت أعلم انني عند الغروب سأموت والآن أنا مخير بين القتل أو العمل الفلاني أفصح لي ان أقول حيث انني سأموت عند الغروب فلا قيمة لما تبقى من ساعات. كلا بل عليّ ان أقوم بحساباتي وهل ذلك العمل يستحق ان أموت لأجله؟ والإمام الرضا عليه السلام كان مخيراً بين أمرين اما القبول بولاية العهد - التي أسميها «ولاية العهد^(٢) الشكلية» والتي هي من مسلمات التاريخ - واما ان يقتل وبالتالي يكون مداناً في التاريخ فيما بعد، وفي نظري ان من البديهي اختيار الأول، ولم لا يختاره؟ فان مجرد التعاون مع شخص مثل المأمون ليس ذنباً كما نعلم، بل المهم هو نوع التعاون.

التعاون مع الخلفاء في نظر الأئمة الأطهار عليهم السلام

نعلم انه في زمان الخلفاء العباسيين مع ما عليه أئمتنا عليهم السلام من مخالفة للخلفاء اومع منعهم لبعض الأفراد من التعاون معهم، كانوا في بعض الموارد الخاصة يجوزون التعاون مع النظام تحقيقاً لبعض الأهداف الإسلامية بل ويشجعون على

١ - يعتبر المسعودي في نظر كثير من العلماء من المؤرخين الشيعة.

٢ - التعبير بالفارسية «ولا يتعهد نجسب» اي ولاية العهد غير الملتصقة. أي التي لم تلزم الإمام عليه السلام بأي شيء.

ذلك]. وصفوان الجمال - وهو من شيعة موسى بن جعفر عليه السلام - يؤجر جماله لهارون لسفر الحج ثم يأتي لزيارة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فيقول له عليه السلام كل شيء فيك حسنٌ إلا شيئاً واحداً. يقول وما هو؟ قال: لماذا آجرت جمالك لهارون؟ قال: لم أفعل سوءاً فقد كان ذلك لأجل سفر الحج فلم أرفي ذلك سوءاً قال عليه السلام (يجب ان لا تفعل ذلك) وان كان لسفر الحج ثم قال: ألم يبق من الاجرة شيء تأخذه فيما بعد؟ قال: نعم قال: فلو قيل لك ان هارون يموت الآن فهل تكون راضياً أم لا؟ قلبك يتمنى أن يؤدي ما عليه ثم يموت. فأنت راض ببقائه حياً بهذا المقدار؟ قال: نعم. قال: الرضى ببقاء الظالم ولو بهذا المقدار ذنب. كان صفوان من الشيعة الخالص إلا انه ذو سوابق كثيرة مع هارون فذهب فوراً وباع كل ما عنده من وسائل (كانت عنده وسائل حمل ونقل) وصل الخبر إلى هارون ان صفوان قد باع - فجأة - كل ما عنده من جمال ووسائل للحمل والنقل، فأحضره هارون يسأله عن السبب، قال: قد عجزت ولم أعد أحسن إدارة شؤون عيالي فرأيت ان أنصرف كليّة عن هذا العمل، فقال له هارون: أصدقني القول، قال الأمر كما ذكرت، كان هارون ذكياً فقال له: أتريد ان أقول لك أنا سبب عمك هذا؟ فإني أعتقد أنك بعد أن اتفقت معي أشار عليك موسى بن جعفر عليه السلام بذلك. فقال: لا هذا الكلام غير صحيح فقال: لا تنكر فانكارك بدون فائده. فلو لا مالك من سوابق معي خلال هذه السنين لأمرت بأن تضرب عنقك هنا.

الأئمة عليهم السلام مع انهم نهوا إلى هذا الحد عن التعامل مع الخلفاء ويرونه ممنوعاً لكن في عين الحال لو كان تعاون شخص في مصلحة المجتمع الإسلامي، حيث يخفف من المظالم والشرور، أي يكون مؤثراً في تحقيق الهدف - وليس

ذلك العمل الذي هو تأييد وتعاون فقط - فهذا التعاون يكون جائزاً، أحياناً يذهب شخص ويحتل موقِعاً في الجهاز الظالم حتى يحسن الإستفادة من ذلك الموقع. وهذا بالضبط ما يجاز في فقهاءنا، تجيزه سيرة أئمتنا، والقرآن يجوزه أيضاً.

استدلال الإمام الرضا عليه السلام:

اعترض البعض على الإمام الرضا عليه السلام قائلين: يكفي ان إسمك قد ذكر معهم حتى تصبح جزءاً منهم؟ فقال: الأنبياء أفضل أم أوصياء الأنبياء؟ قالوا: الأنبياء. قال: السلطان المشرك. اسوأ أم السلطان المسلم الفاسق؟ قالوا: السلطان المشرك. قال: أيهما أشد الذي يتعاون طالباً لذلك أم الذي يفرض عليه ذلك؟ قالوا: الذي يطلبه. فقال عليه السلام: كان يوسف الصديق نبياً وعزيز مصر كان كافراً مشركاً و يوسف طلب بنفسه: «أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ»^(١) فقط أراد ان يأخذ موقِعاً بحيث يحسن الإستفادة من ذلك الموقع، اضافة إلى ان عزيز مصر كان كافراً والمأمون مسلم فاسق، يوسف نبي وأنا وصي نبي، هو طلب ذلك وأنا أجبرت على ذلك.

موسى بن جعفر عليه السلام الذي منع صفوان الجمال بشدة حيث كان عمله ليس فيه إلاّ النفع لهم، نجد ان علي بن يقطين الذي كان في السر على علاقة مع الإمام عليه السلام وكان شيعياً يكتنم تشيعه، كان يلقي من الإمام عليه السلام تشجيعاً على ضرورة بقاءه في ذلك النظام لكن مع التكتنم وان لا يفهم أحده شيعي. «توضاً بوضوئهم، صلّ بصلاتهم،

اكنتم تشيعك أشد مراتب الكتمان وابق في ذلك الجهاز وافعل ما تستطيعه».

هذا هو الشيء الذي يجيزه كل منطق. فكل شخص صاحب طريقة يجبر لاتباعه ان يدخلوا في جهاز العدو بشرط حفظ مسلكتهم وهدفهم والعمل لأجل الطريقة لا لأجل الطرف الآخر أي يجعلون من ذلك النظام وسيلة لتحقيق أهدافهم لان يستخدمهم ذلك الجهاز لتحقيق هدفه، وفرق بين الأمرين بين ان يكون المرء جزء النظام ويستخدم طاقة النظام لمصالح و منافع أهدافه وأفكاره وفي رأيي لو قال قائل هذا المقدار أيضاً ممنوع، فهذا تعصب وجمود بلا مبرر.

كل الأئمة عليهم السلام كانوا كذلك فمن جهة ينهون بشدة عن التعاون مع جهاز خلفاء بني أمية و بني العباس ولو قال قائل: لو لم نقم نحن بهذا العمل لقام به غيرنا، لم يكن يقبل منه هذا العذر و بقوا على منعهم، إذ عندما لا يقوم أي فرد بالعمل فان هؤلاء سيشلون، ومن جهة أخرى الافراد الذين كان يمكنهم وهم في جهاز خلافة بني أمية أو بني أمية أو بني العباس، ان يستخدموا ذلك الجهاز من أجل أهدافهم، كانوا يلقون تشجيعاً وأي تشجيع! مثل «على بن يقطين» المذكور أو «إسماعيل بن بزيع» وعندنا روايات مدهشة في المدح والثناء على أمثال هؤلاء، مثل ان هؤلاء من أولياء الله الأول. وقد ذكر تلك الروايات الشيخ الأنصاري في مسألة ولاية الجائر.

ولاية الجائر:

في الفقه مسألة بعنوان (ولاية الجائر) أي قبول الولاية من جهة الظالم، وقبول الولاية من الظالم في حد ذاته محرم لكن ذكر الفقهاء ان هذا الذي في حد ذاته

محرم يصير في بعض الحالات مستحباً وواجباً في حالات أخرى وذكروا انه إذا توقف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - ومعنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الواقع الخدمة - على قبول الولاية من الظالم فإن قبولها واجب، والمنطق يقبل هذا أيضاً. لأنك إذا قبلت فإنه يمكنك العمل لأجل هدفك وأن تفيد، تقوّي من طاقتك وتضعف طاقة عدوك، ولا أعتقد ان ذوي المسالك الأخرى مثل الماديين والاشتراكيين يرفضون قبول مثل هذه الولاية من أعدائهم بل يقولون: اقبل لكن قم بعملك.

ونحن نرى انه خلال المدة التي قبل فيها الإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد لم تكن هناك منفعة لهم بل كانت في نفع الإمام عليه السلام فالأتباع صاروا أكثر تشخصاً اضافة إلى ان الإمام عليه السلام في موقع ولاية العهد قد أبرز شخصيته العلمية بنحو غير مباشر بحيث لم تكن لتظهر في أية فرصة أخرى. ولم تظهر الشخصية العلمية لدى الأئمة عليهم السلام إلا شخصية الإمام الرضا عليه السلام و امير المؤمنين عليه السلام - والإمام الصادق عليه السلام أيضاً - فأميز المؤمنين عليهم السلام وخلال أربع سنوات الخلافة ظهرت له تلك الخطب والاحتجاجات التي وصلتنا، والإمام الصادق عليه السلام قد شكل حوزة دراسية من أربعة آلاف شخص خلال أيام ولاية العهد الأربعة، وحب المأمون للعلم وتلك الجلسات العجيبة التي شكلها المأمون من الماديين والمسيحيين واليهود والمجوس والصابئين والبوذيين ومن علماء جميع المذاهب وكان يحضر الإمام رضا عليه السلام ليتحدث معهم، في الواقع الإمام الرضا عليه السلام في هذه المجالس - التي ذكرت في كتب الاحتجاجات - قد أبرز شخصيته العلمية وقد خدم الإسلام، وفي الواقع قد استفاد من موقع ولاية العهد استفادة غير مباشرة، فهو مع رفضه لتلك الأعمال استفاد هذه الاستفادة.

سؤال و جواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال: عندما عين معاوية ابنه يزيد لولاية العهد اعترض عليه الجميع، لا على أساس انه شخص فاسد بل كانوا مخالفين من الأساس لفكرة ولاية العهد. فكيف لم يلق المأمون مثل هذا الإعتراض ؟

الجواب: أولاً: هذه المخالفة التي تذكر لم تكن مخالفة بتلك الشدة، أي لم يكن الآخرون ملتفتين إلى أخطار هذا الأمر وانما التفت إليها عدد قليل وقد كانت بدعة تطرح لأول مرة في المجتمع الإسلامي وردة فعل الإمام الحسين عليه السلام هي التي شخصت عدم اعتبار وبدعة و حرمة ذلك العمل، لكن في الأزمنة اللاحقة فقد هذا العمل صبغته الدينية وأخذ طابع ولايات العهد في عصور ما قبل الإسلام التي كانت تتركز على الاكراه فلم يكن لها أي طابع إسلامي، وأحدى علل رفض الإمام الرضا عليه السلام لقبول ولاية العهد هي هذه - ونجد في كلماته عليه السلام ذلك - أنه في الأصل عنوان (ولاية العهد) خطأ لان معنى (ولاية العهد) ان هذا حقي وأنا اختار زيدا خلفاً لي، وذلك الكلام الذي صدر من الإمام عليه السلام الذي يقول له فيه: هذا حقك أم غيرك؛ فإن كان حق الغير فلا يحق لك الاعطاء، فهو كلام يشمل ولاية العهد أيضاً.

سؤال: كان هناك افتراض ان الفضل بن سهل لو كان شيعياً واقعياً لكانت المصلحة تقتضي أن يتعاون الإمام عليه السلام في مسألة ولاية العهد مع الفضل حتى

يتسنى قلع المأمون من الخلافة فيما بعد، لكن هنا يرد اشكال وهو ان اللازم حينئذٍ على الإمام أن يصوّب أعمال المأمون مدة من الزمن و الحال انه مع الالتفات إلى سيرة الإمام علي عليه السلام لا يجوز بأي شكل من الأشكال تأكيد عمل الظالم.

الجواب: في رأيي هذا الاشكال لا يرد، قلتُم انه لو فرض كون الفضل ابن سهل شيعياً لكان اللازم ان يوافق الإمام عليه السلام مدة من الزمان على اعمال المأمون و هذا غير جائز، كما ان الإمام امير المؤمنين عليه السلام لم يثبت ولاية معاوية، لكن فرق كبير بين وضع الإمام الرضا عليه السلام مع المأمون وبين وضع امير المؤمنين عليه السلام مع معاوية، إذا ان امضاء الإمام علي عليه السلام كان هو بأن يبقى معاوية على أساس انه نائب و شخص منصّب من قبل الإمام عليه السلام و يقوم بالأعمال بهذا العنوان فيعمل بعنوان النيابة عن علي بن ابي طالب عليه السلام، أما الإمام الرضا عليه السلام فكانت القضية هي أن لا يكون للإمام عليه السلام دخالة بعمل المأمون مدة من الزمن أي لا توجد اية عقبة في طريق المأمون و بشكل عام من جهة منطقية ومن جهة شرعية، فرق بين ان يكون لنا تأثير في ايجاد مفسدة - حيث لنا وظيفة حينئذ - وبين أن تكون هناك مفسدة موجودة نريد إزالتها - وهنا لنا وظيفة اخرى - اذكر مثلاً: تارة اريد أن اوجه الماء إلى حائط الدار كي يفسد وهنا انا ضامن لساحة داركم من جهة أنني الموجب لخرابه. و تارة اخرى كنت ماراً أمام الزقاق فرأيت الماء يسيل والماء يصل إلى اسفل الحائط فهنا وظيفتي الاخلاقية ان أقفل حنفية الماء و أخدمكم فإن لم افعل فسيلحق بكم ضرر، هنا لا يجب علي ذلك، اقول هذا لأبين الفرق الواسع بين العمل الذي يريد ان يقوم به فرد أو مأمور الفرد وبين العمل الذي يقوم به شخص و يريد شخص آخر إبطاله، و معاوية كان بعد علي، أي أن تثبت معاوية معناه أن علياً عليه السلام

قد رضي معاوية يدأ له، اما تثبتت (المأمون بواسطة) الإمام الرضا (عليه السلام) (على حد قولكم) معناه ان يسكت الإمام (عليه السلام) مدة عن اعمال المأمون، وهاتان وظيفتان، فهناك علي (عليه السلام) هو صاحب السلطة العليا و هنا القضية معكوسة والمأمون له الصدارة فأن يتعاون الإمام (عليه السلام) مع الفضل بن سهل أو على حد تعبيركم أن يثبت المأمون فهذا يعني السكوت عن المأمون مدة والسكوت مدة لأجل مصلحة أهم وانتظار فرصة افضل لا مانع منه، إضافة إلى أن قضية معاوية لم تكن مجرد ان يرضى الإمام (عليه السلام) أن يكون معاوية ولياً يوماً (طبعاً هذا بحد نفسه مسألة، فعلي (عليه السلام) قال: لا ارضى ان يتولى الظالم ولو ليوم واحد) بل كان هناك امر آخر بعكس قضيتنا وهي أن الإمام (عليه السلام) لو احتفظ بمعاوية فإنه سيقوى يوماً بعد يوم ولن يتراجع عن أهدافه أما هنا فالفرض هو الصبر حتى يضعف المأمون يوماً بعد يوم و هم يزدادون قوة إذن لا يصح القياس بين الأمرين.

سؤال: سؤالي مرتبط بمسمومية الإمام الرضا (عليه السلام). فقد ذكرت مضمن إيضاحاتكم أنه من غير المعلوم أن الإمام الرضا (عليه السلام) قد سم، لكن الواقع أن المأمون قد اضطر إلى وضع السم للإمام الرضا (عليه السلام) لأنه يوماً بعد يوم كان يتضح أكثر ثبوت حق الخلافة للإمام الرضا (عليه السلام). و يذكرون لذلك دليلاً يرجع إلى عمر الإمام (عليه السلام) حيث أن عمره (عليه السلام) كان ٥٢ سنة عندما توفي و بعيد كل البعد ان يموت إمام في هذا السن مع رعايته لكل الجهات الصحية وليس مثلنا عنده افراط و تفريط. كما أن الحديث المعروف «ما منّا إلا مقتول أو مسموم» يدل على ذلك. وبناء عليه فالأمر مسلم به من جهة التاريخ الشيعي وإذا اشتبه صاحب «مروج الذهب» (المسعودي) فهذا لا يصير دليلاً للقول بأن الإمام الرضا (عليه السلام) لم يسم بل ان أكثر

مؤرخي الشيعة على أن الإمام الرضا عليه السلام قد سمّ قطعاً.

الجواب: انا لم اقل انهم لم يسموا الإمام الرضا عليه السلام، بل اني موافق ولجملة من القرائن على رأيكم فالقرائن تفيد أن الإمام عليه السلام قد سمّ واحدى العلل الاساسية قيام بني العباس في بغداد فالمأمون وضع السمّ للإمام الرضا عليه السلام عندما توجه إلى بغداد و قد كانت تصله التقارير بشكل مستمر عن الأوضاع في بغداد. فأخبر أن بغداد قد انتفضت فرأى نفسه غير قادر على عزل الإمام عليه السلام ولو اراد الذهاب بهذه الحال لكان الأمر معقداً جداً فحتّى يفسح لنفسه المجال بالذهاب إلى بغداد ويقول لبني العباس ان الأمر قد انتهى وضع السمّ للإمام عليه السلام. فتلك العلة الأساسية التي يذكرونها هي مقبولة والتاريخ يؤيدها، اي أن المأمون رأى ان ذهابه الى بغداد ليس ممكناً كما ان الابقاء على ولاية العهد لم يعد عملياً (مع ان المأمون كان أصغر إذ كان عمره في حدود الـ ٢٨ سنة و عمر الإمام عليه السلام ٥٥ سنة كما أن الإمام كان قد ذكر له في ابتداء الأمر: (انني أموت قبلك) فإذا اراد الذهاب الى بغداد وهو على هذا الحال لكان تسليم بغداد له محالاً وستقع معركة قاسية فرأى أن الوضع شديد الخطورة، لهذا صمم على أن يتخلص من الفضل والإمام الرضا عليه السلام معاً.

ففضى على الفضل وهو في حمام «سرخس» طبعاً القدر المعلوم ان الفضل ذهب إلى الحمام فدخل عليه جماعة شاهرين سيوفهم فقطّعوه ارباً ارباً ثم قالوا «ان الذي قتله مجموعة حاقدة عليه» (وقد صادف ان احد ابناء اخواله كان مع القتلة) لكن الظاهر ان ذلك فعل المأمون، إذ رأى أن قدرته في ازدياد وصار موجباً للانزعاج ففضى عليه ثم انتقل من سرخس إلى طوس وكانت التقارير تصل باستمرار عن بغداد فرأى انه لا يمكنه دخول بغداد مع الإمام الرضا عليه السلام ولي

العهد العلوي لهذا قتله هناك.

نحن تارة نتكلم على اساس ما هو مؤكد لدينا فمن جهة روايات الشيعة لاشك ان المأمون (قد سمّم الإمام الرضا عليه السلام) لكن بعض المؤرخين لا يوافقون على ذلك مثلاً المؤرخ الأوروبي لا يقبل بذلك فهو يقرأ في المراجع التاريخية فيقول: التاريخ يقول: مثل اغلب مؤرخي اهل السنة الذين نقلوا (هذه القضية) ذكروا أن الإمام عليه السلام مرض في طوس و توفي و قيل انه مات مسموماً. لهذا اردت ان اذكر كلام الذين لا يقولون بمقالة الشيعة وإلا فإن كل القرائن تؤكد أن الإمام مات مسموماً.

الفصل السابع

كلمة حول:

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

هذه ليلة ولادة الإمام العسكري عليه السلام، ليلة عيد، ليلة الإمام الحادي عشر، ليلة يجب على الجميع فيها تقديم التهئة لصاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه. طبعاً يجب أن نبرز المحبة ايضاً.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام المقدس، من الأئمة الذين (تعرضوا لضغط شديد) وكلما اقترب عصر الأئمة (من عصر إمام العصر عليه السلام) كانت الأمور تزداد صعوبة عليهم عليهم السلام.

كان في سامراء التي كانت عاصمة الخلافة في ذلك الوقت. وقد انتقلت العاصمة من بغداد إلى سامراء في أيام المعتصم الذي بقي مدة في بغداد ثم عدل عنها وعلّة ذلك أن جيش المعتصم كان يظلم الناس والناس تشكو منه ولم يكن يستمع المعتصم لشكواها في بادي الأمر وفي النهاية أرضاهم فحتى يبعد جيشه عن الناس نقل مركز الخلافة الى سامراء.

اجبر كل من الإمام الهادي و الإمام العسكري عليه السلام على العيش في سامراء في

محلة تعرف باسم «العسكر» أو «العسكري» أي حيث يتواجد العسكر وفي الواقع كانت معسكراً وقد اختير لهما عليهما السلام بيتاً يعيشان فيه في المعسكر وتحت المراقبة. توفي الإمام العسكري عليه السلام وهو في سن ثمانين وعشرين سنة (ووالده العظيم توفي بعمر اثنتين وأربعين سنة) ومدة أمانته كانت ست سنوات فقط وبنص التواريخ فقد قضى هذه السنين الستة إما في السجن وإما ممنوع عليه لقاء أحد، إذا لم يكن في السجن فلم يكن حراً في حياته ولو كان هناك أحياناً ذهاب وإياب أو أحياناً إذا طلبوا الإمام عليه السلام فإن ذلك يتم تحت المراقبة، كان الوضع عجبياً، تعلمون أن كل إمام من الأئمة عليهم السلام له صفة أكثر ظهوراً، وقد وصف الخواجه نصير في فصوله الستة كل إمام بوصفه الذي هو أكثر ظهوراً فيه، وقد تميز الإمام العسكري عليه السلام بجلالته وهيبته وحسن طلعته أي أن الجلال والهيبة والعظمة كانت ظاهرة على محياه بحيث يقع تحت تأثيرها كل من يلتقي الإمام عليه السلام قبل أن يتكلم معه أو يعرف شيئاً عن علمه، وعندما يتحدث ويشرع في الحديث فهو كالبحر الزخار والحالة حينئذ واضحة، وفي كثير من الحكايات والروايات ترى هذه المسئلة جليّة فحتى اعداء الذين كانوا يتشددون في المراقبة وأحياناً كانوا يأخذونه إلى السجن عندما كانوا يقابلونه وجهاً لوجه كانوا يرون وضعاً عجيباً لم يكن يمكنهم إلا أن يخضعوا له، وفي هذا المجال ينقل المحدث القمي في كتاب (الأنوار البهية) عن أحمد بن عبيد الله بن خاقان ابن وزير المعتمد على الله عن أبيه قصة وهو نفسه كان حاضراً فيها وهي قصة عجيبة تماماً ولا مجال في هذه العاجلة لذكرها.

العلة الأساسية لجعل الإمام تحت المراقبة الشديدة أنه شاع أن مهدي هذه

الأمة من صلب هذا الموجود المقدس. فنفس العمل الذي قام به فرعون مع بني اسرائيل عندما سمع بانه سيولد في بني اسرائيل صبي يكون زوال ملك فرعون والفراعة على يده، فقتل جميع اولاد بني اسرائيل وابقى على البنات وكان يأمر النساء بالتفتيش عن الحوامل، كل حامل تخضع للمراقبة، قام به جهاز الخلافة مع الإمام العسكري (ع) وما احسن قول مولوي:

هـجـمـت نـحو حـصـن الغـيـب كـي تـسـدّ الدـرب عـن رـجـال الغـيـب^(١)
اولم يفكر هذا الأحمق انه إذا كان الأمر صحيحاً فهل يمكنه أن يقف في وجه الأرادة الإلهية؟ وفي كل مرة يرسل فرقة للتفتيش في بيت الإمام (ع) وبالخصوص عندما توفي الإمام (ع) إذ كان يصلهم أحياناً خبر ولادة المهدي (ع)، وقد سمعتم بقصة ولادته (ع) فقد أخفى الله تعالى ولادة هذا الموجود المقدس ولم يلتفت احد ادنى التفات حين الولادة، كان عمر المهدي (ع) ست سنين عندما توفي والده وحين كان طفلاً، وكان خواص الشيعة الذين يأتون من كل مكان اليه يرونه، إلا أن عامة الناس لم تكن تعرف إلا أن هذا خبراً انتشر أخيراً من انه قد ولد للحسن بن علي العسكري (ع) مولودٌ وقد أخفوه فكانوا يرسلون إلى بيته الرجال لعلهم يعثرون على المولود ليقتلوه، لكن افيمكن للعبد أن يمنع ما يريد الله حدوثه؟ أي عندما يكون القضاء الإلهي محتوماً في مورد فلا يمكن للبشر أن يفعلوا شيئاً إزاءه، وقد احاط الجنود بالبيت عندما توفي الإمام (ع) - وبعد وفاته - وفتشوا البيت

تفتيشاً كاملاً وقد ارسلوا امرأة جاسوسة حتى تراقب كل النساء إماء و غير إماء وترى إن كان فيهن حامل.

أم العسكري عليه السلام اسمها (حديث) عرفت باسم الجدّة لأنها كانت جدة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه. وهناك نسوة في التاريخ باعتبار انهن اشتهرن بأحفادهن يعرفن باسم الجدّة، منهنّ جدّة الشاه عباس ولدينا في اصفهان مدرستان باسم الجدّة. فالمرأة التي تشتهر بحفيدها تعرف قهراً باسم الجدّة.

فهذه المرأة العظيمة عرفت باسم الجدّة، إلا أن شهرتها ليست من مجرد كونها جدة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بل كانت ذات مقام، ذات عظمة، ذات جلالة كانت شخصيتها بحيث ذكروا - وذكر ذلك المرحوم المحدث القمي رضوان الله عليه في (الأنوار البهية) - إنها كانت مفزع الشيعة، ملجأهم، وكان عمرها في ذلك الوقت - إذا لاحظنا أن عمر الإمام العسكري عليه السلام عندما توفي ٢٨ سنة وإذا لاحظنا عمر الإمام الهادي عليه السلام - بين الخمسين والستين.

كانت في جلال وكمال بحيث أن أي مشكلة تعترض الشيعة كانت تعرض على هذه المرأة. يقول رجل ذهب لزيارة عمّة الإمام العسكري السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام فتحدثت معها في العقائد والاعتقادات ومسألة الإمامة وغيرها ثم قالت الإمام فعلاً هو ابنه المخفي المستور. قلت: فإلى من نرجع في المشكلات وهو مستور قالت: يرجع إلى الجدّة قلت: عجباً مات مولانا ويوصي إلى امرأة؟ قالت قد قام العسكري بمقام به الإمام الحسين بن علي عليه السلام فقد كان الوصي الواقعي للإمام الحسين عليه السلام وفي الباطن علي بن الحسين لكنه اوصى في الظاهر إلى زينب عليه السلام فكذلك فعل الإمام الحسن بن علي العسكري. فوصّيه في الباطن

هذا الابن المخفي لكن في الظاهر، يمكن اعلان ذلك. فجعل الوصي الظاهري هذه المرأة ذات الجلال.

باسمك العظيم الأعظم الأعز الأجل الأكرم يا الله
الهي: هب لنا معرفة عظمة الإسلام والقرآن، الهي عرفنا عظمة النبي الأكرم
وعظمة أهل البيت الأطهار وانر قلوبنا بانوار محبتك و معرفتك وأنر قلوبنا بانوار
محبة و معرفة النبي وآل النبي وارحم واغفر لامواتنا.

الفصل الثامن: القسم الأول

العدل الشامل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلاق أجمعين، الصلاة والسلام على عبد الله ورسوله وحببيه وصفيه وحافظ سره ومبلغ رسالاته سيدنا ونبينا ومولانا أبي القاسم محمد (صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

انما بعث الأنبياء من قبل الله تعالى إلى البشر لأجل هدفين أساسيين:
أحدهما: تحقيق العلاقة الصحيحة بين العبد وخالقه، بين العبد والرب وبعبارة

أخرى منع البشر عن عبادة غير الله ويتلخص ذلك في الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله).

الهدف الثاني: الذي لأجله أرسل الله تعالى الأنبياء العظام، تحقيق الروابط الحسنة والسليمة بين البشر، بعضهم مع الآخر على أساس العدالة والصلح والصفاء والتعاون والاحسان والمحبة وخدمة كل منهم للآخر.

وقد صرح القرآن الكريم بهذين الهدفين للأنبياء كمال التصريح.

فبالنسبة إلى الهدف الأول قال عن خاتم الأنبياء عليه السلام: ﴿يَأْيُهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا^(١) ويقول عن الهدف الثاني: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(٢). فانظروا إلى صراحته في بيان ما اهتم به الأنبياء - بل ما أمر به الأنبياء وأرسلوا به - أي إقرار العدل بين البشر. فهو يقول في هذه الآية أرسلنا رسلنا بالدلائل وأنزلنا الكتاب والدستور مع الميزان أي القوانين والتشريعات العادلة من أجل ماذا؟ ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ حتى يتعامل البشر بالعدالة وتقر العدالة بين أفراد البشر. وبناء على هذا فمسألة اقرار العدالة حتى بالمقياس البشري هدف أصلي و عام لكل الانبياء أي ان الذين أتوا لهم عمل، عندهم وظيفة و رسالة هي العدالة بنص القرآن المجيد.

أمر آخر يجب ذكره هنا و هو: هل ان مسألة العدالة والمراد بها العدل العام

١ - سورة الأحزاب الآيتان: ٤٥، ٤٦.

٢ - سورة الحديد الآية ٢٥.

الشامل - لا العدل النسبي والفردى والشخصى - أي العدالة بمعنى ان يأتى يوم في هذه الدنيا لا أثر فيه لهذا الظلم والتفرقة والحروب والنفور والأحقاد وسفك الدماء والاستغلال ولوازم هذه الأمور من أكاذيب وتفاق و خدع وبالجملة ان لا يكون بين البشر أثر لهذه المفساد، هل سيكون للناس مثل هذا اليوم؟

هل سيكون للبشر في مستقبلها مثل هذا العصر، مثل هذا القرن؟ أم لا وليس ذلك إلا مجرد خيال و أمل لن يحدث في أي وقت من الأوقات، وهل يمكن لشخص ذي ذوق ديني مذهبي - طبعاً هذا المعنى يصدق في غير الشيعة - أن يقول: لست منكرًا للعدالة الشاملة ولست من أنصار ان تبني الدنيا على أساس الظلم إلا أنني أعتقد ان هذه الدنيا دنيّة وحقيرة، مظلمة حالكة، بحيث لا مجال لان يكون في الدنيا عدل عام، عدالة واقعية و صلح و صفاء واقعيين و إنسانية واقعية ولن يأتى يوم يكون فيه الأفراد واقعاً يعيشون مع بعضهم البعض بإنسانية فالدنيا دارالظلم والظلمات وكل الظلم سيعوّض عنه في الآخرة، العدالة محلها الآخرة؟ هذه الفكر موجودة عند غير المسلمين من الأديان الأخرى. و من المميزات المهمة للمعتقدات الإسلامية و بالأخص في نظرة الشيعة للإسلام - هي هذه: عدم التشاؤم فعصر الظلم والجور، عصر الحرب والصراع، عصر الاختلاف، عصر الفساد الأخلاقي، عصر الظلمة والسواد عصر مؤقت و العاقبة نور وعدالة. ولو فرض وجود ذلك (الإرشاد) في الأديان الأخرى إلا انه ليس بهذا الوضوح الذي نجده عند الشيعة قطعاً ولن تجده في أي مكان.

إذن هنا مطلب هو ان مستقبل البشرية في هذه الدنيا التي هي زينة و متاع سيشهد أفول الظلم و ظهور العدالة، ولو ان الإنسان يتأمل في الدرجة الأولى

بالقرآن الكريم سيرى ان القرآن يؤيد و يؤكد على ذلك المعنى و يرى فيه تفاعلاً بمستقبل الدنيا. والآيات كثيرة في هذا المجال منها هذه الآية التي قرأتها في بداية حديثي:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.

يعد أهل الإيمان والذين يعلمون الصالحات ان عاقبة الدنيا تحت يدهم والذي سيحكم في نهاية الأمر هذه الدنيا الدين لإلهي وكلمة (لا إله إلا الله) و سيفنى الماديون و طلاب المادة و محبي النفس، عاقبة الدنيا أمن ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ و آخر الدنيا توحيد بكل مراتبه.

و من هنا نستفيد من القرآن المجيد مطلبين:

أحدهما: ان الهدف الأساسي لبعثة الأنبياء أمران: التوحيد و اقرار العدالة والأول مرتبط بعلاقة الإنسان مع الله والثاني مرتبط بعلاقة الناس بعضهم مع البعض الآخر.

الثاني: أن مسألة العدالة ليست مجرد أمل و خيال، بل هي أمر واقعي تتحرك الدنيا باتجاهه أي إنها سنة إلهية والله قضى ان العدالة ستحكم في النهاية هذه الدنيا و سيحكم البشر على الدنيا قروناً و قروناً - ولا ندري مقدارها ولعله ملايين السنين ولعله مئات الملايين - لكن بشراً راشداً، بشراً إنسانياً واقعاً، لا يوجد فيهم أي من هذه المظالم والكدورات.

بحثنا في هذه الأمر من ان العدل العام سيتحقق في الدنيا و بشكل خاص في

جهة من جهاته وهي: ان الإسلام عندما يدعي ان العدل الشامل سيتحقق فعلى أي أساس يستند في دعواه؟ ومن هنا سنفصل في ثلاثة موضوعات:

أحدها: ان العدالة ما هي؟

ثانيها: هل في الخلقة والفضرة البشريتين ميل لوجود العدالة أم ان الفطرة البشرية خالية من هذا الميل من الأساس؟ ففي أي وقت تعطى العدالة للبشر وستعطى فهو اكراه واجبار، ومن المحال ان تلجأ البشرية إلى العدالة بميلها ورضاها؟.

ثالثها: هل ان العدالة أمر عملي أم لا؟ وان كانت عملية فكيف تصير كذلك؟.

تعريف العدالة:

المسألة الأولى في ماهية العدالة: ولعلها غنية عن التوضيح إلى حد ما، فالناس يعرفون الظلم بنحو أو بآخر فالعدالة هي ضد الظلم ضد التمييز بلا حق. وعبارة أخرى ان أفراد البشر في هذه الدنيا بمقدار ما عندهم من استعدادات وفعاليات وحسب فطرتهم يمتلكون جملة من الإستحقاقات، والعدالة عبارة عن اعطاء هذا الإستحقاق وهذا الحق الثابت لكل فرد بموجب خلقة وبموجب عمله وقدرته. فهي في الجهة المقابلة للظلم الذي يعني عدم اعطاء ذي الحق حقه وسلبه منه، وفي الجهة المقابلة للتمييز الذي يحصل بين شخصين متكافئين إذ يُضَيَّقُ على موهبة أحدهما دون الآخر.

و في نفس الوقت كان في القديم رجال بين البشر من فلاسفة اليونان القدامي حتى العصور الاوروية ينكرون وجود واقعي للعدالة ويقولون لا معنى للعدالة

أصلاً، والعدالة تساوي الإكراه، العدالة هي ذلك الشيء الذي يحكم به القانون الموجود.

والقانون الموجود هو ذلك الفرض الذي فرض على البشر فالعدالة إذن تعينها القوة، ولا أريد التحدث عن هذا الأمر إذ هذا سيعطل عليّ بحوثي. ولكنه كلام غير صحيح فللعدالة واقعية، لان للحق واقعية فمن أين هذه الواقعية للحق؟ الحق يثبت بالخلقة ولأن الخلقة واقعية وكل موجود بفطرته له قابلية واستحقاق والإنسان بقدرته ونشاطه يملك حقوقاً، والعدالة التي هي عبارة عن اعطاء كل ذي حق حقه، يتحقق معناها. وتلك الكلمات كلمات خيالية.

هل ان طلب العدالة فطري؟

المسألة الثانية تحتاج إلى بحث أكثر نسبياً وهي: هل أن في فطرة البشر حب للعدالة أم لا؟ فالبشر يطلبون أشياء بحكم طبعهم وفطرتهم، أي لا دليل (على ارادة تلك الأمور) إلا البناء البدني والروحي، مثلاً أنتم تشتركون في هذه الجلسة المحترمة و تقرأون هذه الكتابات الجميلة وترون هذه الـ (لا إله إلا الله) في الوسط وفي جهة اليمين (محمد رسول الله) وترون في جهة اليسار (علي ولي الله) وترون نجمة سوداء للدلالة على المعصومة الكبرى فاطمة الزهراء سلام الله عليها وترون أيضاً أسماء المعصومين الاثني عشر وترون الآيات القرآنية وكلها شعائر إسلامية ترون كلام النبي صلى الله عليه وآله وترون كلام أمير المؤمنين عليه السلام وترون كلام الإمام الحسين عليه السلام وكل منها يقارنها شيء مخصوص، وترون الشكل الكاشي^(١) الجميل. وترون

١ - آجر ملون مطبوخ واللون قد يكون أزرقاً أو أخضراً أو أبيضاً كما يرى في المقامات أحياناً وفي القرب أحياناً أخرى (المترجم)

الخط الجميل فتسرون بذلك و تستأنسون. لماذا؟ ومن الذي أجبركم على ان تكونوا مسرورين؟ لم يُجبر أحد. فلأنه جميل سررتم به ففي خلقه كل إنسان يوجد مثل هذه القوة بأن يحسّ الجمال وهذا لا يحتاج إلى قانون يوضع أو يفرض بالقوة على الإنسان.

هذا في فطرة الإنسان، وأمثال هذه الأمور يقال لها أمور فطرية. حب العلم وأمور كثيرة أخرى هي فطرية. فهل ان الميل نحو العدالة أي الميل إلى العدالة وحب عدالة الآخرين ولو لم يحصل المرء أي منفعة، و بعبارة أخرى ميل إلى عدالة البشر و عدالة المجتمع بغض عن أي منفعة للإنسان في العدالة، هل هو من جملة ما يطلبه البشر و مقتضى الفطرة البشرية أم لا؟

رأي نيتشه وماكيافيلي:

تعتقد جماعة عدم وجود مثل هذه القوة أساساً في الفطرة البشرية وأكثر فلاسفة أوروبا يعتقدون بذلك و هؤلاء الفلاسفة قد أحرقت الدنيا أفكارهم في نهاية الأمر، يقولون إن العدالة اختراع الشعوب الفقيرة فعند ما يواجه هؤلاء الفقراء الضعاف، الأقوياء و حيث لا يملكون القوة لمواجهةهم اخترعوا كلمة العدالة واستحسنوا العدالة وألزموا الإنسان ان يكون عادلاً. هذه الكلمات جوفاء والدليل على ذلك أن هؤلاء المؤيدين للعدالة لو ملكوا القوة فإنها سيقومون بما قام به الأقوياء الذين سبقوهم، يقول الفيلسوف الالماني المعروف نيتشه: «كثيراً ما حدثت أمور أضحكتني، عندما كنت أرى الضعفاء يتحدثون عن العدالة و طلبها أتأمل فيهم فأرى أن هؤلاء انما يتحدثون بالعدالة لانهم لا يملكون القبضة فأقول

له أيها المسكين لو كنت تملك القبضة لم تكن لتنطق بهذه الكلمات على الإطلاق». و هؤلاء الذين لا يعتقدون ان العدالة إحدى الأمور الفطرية على فرقتين: أحدهما: تقول العدالة لا ينبغي التوجه إليها والسعي نحوها حتى بعنوان إنها أمل، على الناس ان تتحرك باتجاه القوة والقدرة. العدالة كلام فارغ لا تتأملوا بها ولا تسعوا نحوها أصلاً. وليكن سعيكم نحو القوة فقط و عندهم مثل يناسب تعبيراتنا و خلاصته: ١٦/٢ ذراع من الغصن أولى من متر من زهر الفاكهة^(١) (والقوة هي الغصن والعدالة هي الزهر) ان نلت الغصن فماذا تعني العدالة؟ تحرك نحو القوة. و نيتشه وماكيافيلي من هؤلاء الأشخاص.

رأي برتراند راسل:

إلا ان جماعة أخرى لا يقولون بذلك بل يقولون. لا، يجب السعي نحو العدالة لكن لا على أساس إنها مطلوبنا بل على أساس ان مصلحة الفرد في عدالة المجموع. وهذا هو رأي برتراند راسل وهو - مع هذا الرأي - يدعي انه محب للإنسان أيضاً. حيث ان فلسفته تقتضي ذلك فليس له إلا أن يقول ذلك، يقول: الإنسان بحسب طبعه الذي جبل عليه يطلب مصلحته وهذا هو الكلام و لا كلام غيره فكيف يسعى لتحقيق العدالة؟ أنقول للبشر: يا أيها البشر اطلبوا العدالة؟ وهذا لا محيص معه عن القوة، إذ طلب العدالة ليس أمراً فطرياً، وكيف يمكننا ان نطلب

١ - المثل في الفارسية دو گرہ شاخ بريك ادم ترجيح دارد: وال «گره مقياس وحدته ١٦/١ من الذراع».

من الناس بالقوة طلب العدالة؟ لكن هنا طريق آخر وهو ان تقوي العقل والعلم والمعرفة عند البشر حتى نصل إلى مرحلة نقول للبشر بشر، صحيح أن الأصالة للمنفعة وأنت لا تريد إلا منفعتك الشخصية لكن المنفعة الشخصية انما تنال بواسطة العدالة الاجتماعية، لولا هالا يمكن تأمين منفعة الفرد، و صحيح انك بحكم طبعك تريد الإعتداء على جارك إلا انك إذا تعديت عليه سيعتدي عليك، فبينما أنت تريد تحصيل منفعة أكثر فإذا بك تنال منفعة أقل، إذن فكر بتلك ووازن الأمور فتفهم ان مصلحتك الفردية أيضاً في العدالة.

فهؤلاء يعتقدون بالعدالة إلا أن طريق تحصيلها هو تقوية الفكر والعلم والمعرفة، أي ان يدرك البشر ان المنفعة الفردية في العدالة الاجتماعية.

نقد هذه النظرية:

ومن الواضح أنها نظرية غير علمية لان ذلك انما يصدق في حق أفراد لا قوة لديهم و يمكن أن يصدق ذلك في حقي أنا الرجل الضعيف فعندما أخاف من جيرانى وأرى أن قوتي بحجم قوة جيرانى أصبح عادلاً خوفاً من قوتهم، لكن في الساعة التي أمتلك فيها القوة بحيث لا يكون عندي أي خوف من الجيران وأكون على يقين تام انني إن ضربت جاري فليس من قوة تقف في وجهي فكيف سأكون عادلاً حينذاك؟ وكيف يمكن لعلمي ان يصيرني عادلاً؟ لانك يا صاحب السماحة تقول ان البشر يطلبون منفعتهم والعلم يقول: كن عادلاً لأجل منفعتك وهذا انما يكون عندما أرى قوة تواجهني أما عندما لا تكون أية قوة تواجهني فكيف أكون عادلاً؟ ولذا فإن فلسفة راسل - خلافاً لكل الشعارات عن حبه للإنسان- تعطي

الحق لكل الأقوياء وذوي القوة العليا ان يظلموا الضعفاء الذين لا خشية منهم.

رأي الماركسية:

هنا فرقه ثالثة يمكن اعتبارها من الفرقة الثانية فهي تقول: العدالة أمر واقعي لكن ليس عن طريق الإنسان، لا يمكن للإنسان ان يقيم العدالة، وليست هي من عمل الإنسان، لا مجال لأن يربى الإنسان حتى يطلب العدالة واقعاً بكل روحه و لأن يحصلها عن طريق تنمية العلم والعقل البشريين، العدالة انما تطلب من الآلة لا الإله، العدالة تطلب من الوسائل الإقتصادية وعبارة أوضح لا يجوز ان تطلب، لا علاقة لكم بها، لا يمكنكم السعي نحو العدالة، وإذا اعتقدت انك تصير طالب عدالة فهذا خطأ، أنت أصلاً لست طالباً لها، وإذا اعتقدت أن عقلك سيهديك يوماً إلى العدالة فهذا خطأ أيضاً، لكن الآلة تأخذ بالبشرية شيئاً فشيئاً نحو العدالة مع التحولات التي تطرأ على الوسائل الإقتصادية والإنتاجية - ضمن معايير وضعوها لأنفسهم وكثير منها غلط، لم يتدبروها - تصل إلى الرأسمالية، ثم شيئاً فشيئاً إلى الاشتراكية حيث تفرض العدالة والمساواة قهراً بحكم الآلة، شئت أم أبيت فلست الذي يحقق العدالة فتأتي وتفكر هل عقلي يدعوني إلى العدالة؟ وهل تربيتي تشدني إلى العدالة؟ ويقولون: هذا الكلام خاطيء.

رأي الإسلام:

أما الرأي الثالث: - وباعتبار آخر الرأي الرابع^(١) - الموجود في هذه المسألة

١ - أي ان جعلنا الرأي الماركسي رأياً ثالثاً فهذا هو الرأي الرابع وان ادخلناه في الرأي الثاني كان ثالثاً.
(المترجم)

فيقول: هذه الأفكار كلها نوع من سوء النظر إلى الطبيعة والفطرة البشرية وان كنت ترى البشرية اليوم تهرب من العدالة فذلك لأنها لم تصل إلى مرحلة الكمال. العدالة فطرية فإذا تربى البشر جيداً في ظل رجل مرّبٍ كامل سيصلون إلى حيث يطلبون العدالة واقعاً ويرجّحون العدالة الاجتماعية على المنفعة الفردية فكما ان البشرية تحب الجمال فكذلك هي محبة للعدالة، العدالة من مقولة الجمال المعقول لا الجمال المحسوس، ثم يأتون^(١) بدليل فيقولون: في عقيدتنا التي هي عقيدة دينية لدينا دليل على المطلب هو: أنكم الذين تقولون: أن البشرية لا تطلب العدالة بحسب فطرتها والعدالة تفرض عليها فرضاً أو تقولون: عليها أن تصل بعقلها إلى ان تدرك ان منفعتها في ذلك، أو تقولون ان (تكامل) وسائل الإنتاج (تحققها شيئاً فشيئاً). لكن لدينا موارد نرشدكم إليها حيث نجد أفراداً عادلين وطلاب عدالة مع ان منافعهم لا توجب ذلك وكانت العدالة فكرتهم وهدفهم وأملهم على خلاف منافعهم الفردية بل كانوا يحبونها كمحسوب و يضحون بأنفسهم في سبيل تحقيقها، وهؤلاء نماذج كَمَل من البشر في العصور الماضية وهذه النماذج دلّت على ان البشر يمكنهم ان سيلكوا درب العدالة حتى يصلوا إلى رتبته وعلى الأقل يمكن للبشر ان يصيروا نموذجها الصغير.

علي بن أبي طالب عليه السلام من تلك النماذج التي تبطل تلك الفلسفات كلها، علي عليه السلام ويد علي الربانية وجماعة كثيرة من أفراد البشر وجدوا في كل العصور. ونحن عندما نذكر أمير المؤمنين عليه السلام مثلاً، قد يظن البعض ان علياً عليه السلام فرد واحد، لا ليس

الأمر كذلك، فالآن يوجد بين المؤمنين الواقعيين الكثير ممن عندهم حب للعدالة واقعاً و فطرته مرتبطة بالعدالة، وأي ارتباط؟ وكذلك سيكون البشر في العصور الآتية.

يتخيل الكثير من البشر ان مسألة ظهور الحجة (عجل الله تعالى فرجه) أمر ملازم لا نخطا الدنيا وتقهقرها والقضية عكس ذلك فإن كل الشواهد والأدلة التي وصلتنا من الدين تدل على إنها مساوية للراقي الفكري والأخلاقي والعلمي البشري، وهذا الدين الذي ذكر لنا موضوع ظهور الحجة والعدل التام قد ذكر لنا هذه الأمور أيضاً ففي حديث في أصول الكافي انه عندما يظهر الإمام الحجة فإن الله تعالى ييسط يده فوق البشر ويرقي عقل أفراد البشرية ويزداد فكرهم وعلمهم، عندما يظهر وجوده المقدس فلا وجود بعد للذنب و الغنم في الدنيا حتى ان الذئاب التي تعيش في الصحاري؟ أم الذئاب البشرية. أي ان الذنب يتخلى عن طبيعة الذئبية و تنتزع منه.

و قبل ان أذكر قسماً من القرائن الكثيرة الأخرى عن وضع زمان الإمام الحجة عليه السلام يجب ان أذكر مسألة مهمة وهي:

مسألة عمر الإمام الحجة عليه السلام:

فكثير من الناس عندما يطرحون موضوع الإمام الحجة عليه السلام يقولون: هل يمكن لبشر ان يعيش ١٢٠٠ سنة؟ هذا خلاف قانون الطبيعة. هؤلاء يتخيلون ان جميع الأمور التي حدثت في هذه الدنيا متلائمة تمام الملاءمة مع قوانين الطبيعة العادية - يعني تلك القوانين التي يعرفها العلم اليوم- أصلاً كل التحولات الكبرى في

تاريخ حياة عموم الموجودات الحية - من نبات و حيوان - التي حدثت كلها تحولات غير عادية، فهل ان أول نطفة حية التي وجدت على الأرض مطابقة لأصول علوم حياة؟ ومع أي قانون طبيعي تنسجم أول حياة وجدت على هذه الأرض؟ وبناء على فرضيات اليوم العلمية وفي نظر علم اليوم المسلم به ان عمر الأرض يتجاوز حدود الـ ٤٠ مليار سنة و منذ مليارات السنين كانت أرضنا كرة مذابة بحيث كان يستحيل ان توجد عليها أرواح تحيا، وبناءً على التخمينات العلمية مضت مليارات السنين حتى وجد أول ذي روح على الأرض، و علم اليوم يقول أنّ ذا الروح انما يوجد من ذي روح ولا يمكنه ان يفيد ان ذا الروح يوجد من غير ذي روح. والعلم لم يستطع إلى الآن أن يعطي جواباً عن مسألة وجود أول ذي روح على الأرض، يعني ذلك التحول الكبير الأول وتلك النطفة الأولى للحياة التي ارتبطت بالأرض، كيف ارتبطت؟

ثم يقولون أن أول نطفة محياة وأول خلية عندما توجد تتكامل فتصل إلى مرحلة تتحول إلى عنصرين: العنصر النباتي والعنصر الحيواني أضيف إليهما مشخصات أخرى حيث تكون بعض أقسامها ضد بعضها البعض وأحدها يكمل الآخر وهذا من العجائب: فإذا لم يكن نبات فلا حيوان ولو لم يكن الحيوان فلا نبات وبشكل خاص من جهة الأخذ والعطاء عبر البخار المنتشر في الفضاء.

والعلم لم يستطع إلى الآن بيان ان هذه المرحلة التي هي مرحلة تحول كبير في الحياة، كيف حدثت؟ وكيف وجد عنصر النبات وكيف وجد عنصر الحيوان؟ وكذلك الأمر في المراحل الأخرى لوجود الإنسان، وجود موجود بهذه القدرة وهذا العقل والفكر والإرادة والاختيار أفاستطاع العلم إلى الآن ان يبين هذا؟

وهل أمر الوحي أمر عادي؟ وهل أن نفس الوحي الذي ينزل على بشر يعطيه الأوامر مما وراء الطبيعة أضعف من مسألة ان يحيا شخص مدة ١٣٠٠ سنة^(١) بل هذا أمر عادي طبيعي، شيء تسعى إليه البشرية الآن ولعل له قانونه الطبيعي البشرية اليوم تتحرك نحوه و تسعى لتهيئة الوسائل - بأدوية خاصة أو تركيبات خاصة - كي يطول عمر البشر. فلا يمكن لأحد ان يقول إنَّ قانون الطبيعة يقتضي ان يعيش البشر ١٠٠ سنة أو ١٥٠ أو ٢٠٠ سنة أو ٥٠٠ سنة، صحيح ان خلايا البدن الإنساني لها دورتها الحياتية إلاَّ أن هذا ضمن شرائط خاصة محدودة. فلعله يأتي اليوم الذي يمكن فيه من خلال وسيلة صغيرة جداً تطويل عمر البشر إلى ٥٠٠ سنة. وهذا ليس أمراً يشك فيه الإنسان بل هو عادي أكثر ممَّا هو عادي وحدث في دنيا الحياة.

والله تعالى دائماً يدلنا على ان وضع الدنيا سيصير إلى مراحل فكأن يداً تخرج من عالم الغيب ويحدث تحول فجائي، ويحصل وضع غير قابل لملاحظته مع قانون الطبيعة.

وبناءً على هذا، فهذا الموضوع لا بحث فيه بحيث يفكر فيه الإنسان أو يبتلى والعياذ بالله في بلاء الشك والترديد. وعالم الدين انما هو لأجل ان يفتح عين الإنسان ويخرج فكر الإنسان معه عن الحوادث والمجريات العادية المحدودة. ففي ذلك العصر - الذي ذكرت وهو عصر تكامل العلم والعقل والأخلاق والمجتمع - ماذا سيحصل؟ أذكر قسماً كأنموذج لذلك.

مميزات عصر الإمام المهدي عليه السلام:

هذه الجملة قد تواترت عن النبي الأكرم ﷺ باتفاق علماء أهل السنة والشيعة. ولم يتردد أحد في ان النبي الأكرم ﷺ قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك يوم حتى يخرج رجل من ولدي.

والمقصود منه ان هذا قضاء إلهي حتمي بحيث لو فرضنا انه لم يبق من عمر الدنيا إلا يوماً واحداً فأن هذا القضاء واقع لا محالة. وهذه رواية قد رواها كل من أهل الشيعة وأهل السنة ولا شك فيها.

كان بعض الأصدقاء يتعجب عندما يرى أخانا الحجازي الشيخ خليل الرحمن^(١) دائماً يتحدث عن انتظار ظهور الإمام الحجة إذ أنه لم يكن شيعياً فكيف يؤمنون بمسألة انتظار ظهور الحجة؟ فهم واقعاً عندهم انتظار ظهور الحجة وأغلبنا يقول ذلك على أساس العادة والبيئة التي يعيشها اما هم فعلى أساس الاعتقاد والإيمان يقولونها. فقلت: ليس في هذا الأمر سنة وشيعة فإن أهل السنة يتكلمون كثيراً بهذا الكلام.

الآن انظروا كيف يبين ذلك اليوم؟ وكيف أنه يرى ذلك اليوم عصر كمال البشرية؟ فهو عليه السلام يقول: «المهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلزال» (وليس المقصود الزلازل الأرضية) في الأصل الأرض تتزلزل بأيدي الناس

وتهدد البشرية بأن لا أرض وتبقى «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً». يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض «أي يرضى عنه إله السماء وخلق إله السماء والناس الذين هم على الأرض فيقولون: الحمد لله الذي نجانا من شر هذا الظلم ثم يقول ﷺ: «يقتسم المال صحاحاً» قالوا: يا رسول الله وكيف يقسمها صحاحاً؟ قال: «بالعدل والسوية». «ويملأ الله قلوب أمة محمد غنى ويسعهم عدله»^(١) أي لا تنوهم أن المقصود خصوص الثروة المادية، يصبح الغنى في القلب والفقر والحاجة والحقارات والمسكنة والأحقاد والحسد تزول كلها من القلوب.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة:

«حتى تقوم الحرب بكم على ساق، بادياً نواجذها، مملوءة أخلافها، حلواً رضاعها علقماً عاقبتها» فهو ﷺ يتنبأ بما قبل الظهور بفتنة عجيبة وحروب كثيرة مهيبة وخطرة في الدنيا فتقف الحرب على قدمها وتبدي نواجذها كحيوان مفترس وتبرز حليب ثديها فينظر مسعروا نار الحرب لثدي الحرب فيرون حليبها حلواً أي في نفعهم لكنهم لا يعلمون ان عاقبة هذه الحرب في ضررهم.

فرضاعها حلو لكن عاقبتها علقم «ألا وفي غدٍ، وسيأتي غدٌ بما لا تعرفون - أي هذا حاصل في غدٍ وسيأتي بما لا تعرفون - يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوئ أعمالها» وأول عمل يقوم به الوالي الإلهي ان يأخذ العمال والحكام

واحداً واحداً ويصلح أعوانه وتصلح الدنيا «وتخرج له الأرض أقاليد كبدها» أي ان الأرض تُخرج ما عندها من طاقات من معادن وكل ما يمكنكم تصوره «وتلقي إليه سلماً مقاليدها» أي وتسلم له مفاتيحها كغلام حالة الاستسلام يسلم مفاتيحه (كل هذه كفايات) أي لا يبقى في الطبيعة سر الا وينكشف في ذلك العصر «فيربكم كيف عدل السيرة» سيربكم في ذلك الوقت معنى العدالة الواقعية وان كل هذه الأحاديث التي ينطقون بها عن الصلح وبيانات حقوق البشر والحرية، إن هي إلا كذب ونفاق (يعرض القمح ويبيع الشعير) «ويُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ» أي ما ترك من الكتاب والسنة ومات في ظاهر الأمور وانتفى سحيبه.

وقال أيضاً: «إذا قام القائم حكم بالعدل» كل إمام من الأئمة عليه السلام له لقب فأما المؤمنين عليهم السلام مثلاً: علي المرتضى، الإمام الحسن، الحسن المجتبي، الإمام الحسين: سيد الشهداء، والأئمة الآخرون: السجاد، الباقر، الصادق، الكاظم، الرضا، النقي، الزكي العسكري عليه السلام والإمام الحجة له لقب خاص به، لقب أخذ من معنى القيام، يقوم في العالم (القائم) وفي الأصل نحن نعرف الإمام المهدي عليه السلام بالقيام والعدالة، كل إمام له صفة عرف بها وهذا الإمام عليه السلام عرف بالقيام والعدالة. «وارتفع في أيامه الجور وأمنت به السبل» أي ان الطرق البرية والبحرية والجوية تصبح آمنة لأن سبب عدم الأمن في هذه المجالات هو المضايقات وانعدام العدالة وعندما تقرر العدالة، حيث ان فطرة البشر هي فطرة العدالة فلا وجه بعد كي يكون للأمن وجود.

«وأخرجت الأرض بركاتها ولا يجد الرجل منكم يؤمنذٍ موضوعاً لصدقته ولا برّه... وهو قوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾» أي أتدرون ما هو الضيق الذي

سيحصل للناس ذلك اليوم؟ ضيق الناس هو انهم لو أرادوا الصدقة والمساعدة لشخص فلن يجدوا شخصاً (مستحقاً) ولن يجدوا فقيراً. ويقول بالنسبة للتوحيد الإلهي «حتى يوحدوا الله ولا يشرك به شيئاً» وحول الأمن يقول «وتخرج العجوزة الضعيفة من المشرق تريد المغرب لا يؤذيها أحد». (١)

كثير ذلك الذي قيل عن العدالة، والذي قيل عن الصفاء والسلام بالمعنى الواقعي والذي قيل عن الحرية والأمن الكاملين، وعن الثروة والبركة الواسعة، وعن تقسيم الثروة العادل، وعن توفر الوسائل - وسائل المحافظة على الحيوانات وغيرها - بشكل واسع وما قيل عن الفاكهة والغنم وعن انعدام المفساد إذ لا شرب للخمر بعد ذلك ولا وجود للزنا، وسينفر الناس من الكذب، ينفرون عن الغيبة، ينفرون من التهمة، ينفرون من الظلم، هذه كلها على أساس أية فلسفة؟

أساسه ذلك الذي ذكرته: الإسلام يقول العدالة هي عاقبة البشر لكن ليست العدالة التي ستأتي في نهاية الأمر هي التي ينتهي إليها الفكر البشري، من أن منفعتي الشخصية هي حفظي لمنافع الآخرين. لا، (في ذلك الزمان) العدالة محبوبة البشر كأنها معبودهم أي تترقى أرواحهم وتتربى كاملاً وهذا لا يمكن إلا إذا حكمت العالم حكومة عادلة على أساس الإيمان، الإيمان بالله، ومعرفة الله وعلى أساس حكم القرآن، ونحن المسلمين لحسن حفظنا اننا على خلاف هذا التشاؤم الموجود في دنيا الغرب في النظرة إلى البشرية فنحن متفائلون بمستقبل البشرية، فراسل هذا المتقدم ذكره يقول في كتاب (الآمال الجديدة): «أغلب العلماء اليوم قد يؤسوا

من البشرية ويعتقدون ان العلم قد وصل إلى حد يوجب قرب القضاء على البشرية بواسطة هذا العلم، ويقول: أحد هؤلاء العلماء اينشتين، ثم يعتقد ان البشر لم يبق لهم إلا خطوة حتى يصلوا إلى قبر حفروه بأيديهم، والبشرية وصلت إلى مرحلة لا تحتاج إلا ضغط عدة أزرار والأرض تصبح كأنها لم تكن شيئاً مذكوراً.

في الواقع، لو لم نكن مؤمنين بالله ويد الغيب ولولا اطمئناننا بما يدل عليه القرآن من أن المستقبل للبشرية، أي لو اننا قصرنا نظرنا على هذه الظواهر الدنيوية لرأينا أن الحق معهم فكل يوم يأتي تزداد وسائل التخریب قوة وهيبة ورعباً، منذ عشرين عاماً تقريباً عندما أُلقيت القنبلة الذرية في هيروشيما حتى اليوم أنظروا كم هو الضعف الذي بلغته القدرة الصناعية البشرية التخريبية؛ وصلت إلى مرحلة بحيث يقولون ان الدنيا اليوم ليس فيها غالب ولا مغلوب فلو وقعت حرب عالمية ثالثة، الخاسر هو الأرض والبشرية ولا غالب أبداً.

لكن نحن نقول ان الأرض والبشرية لها مخلص من هذه المزالق، يد الله فوق جميع الأيادي ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾^(١) قالوا لنا «أفضل الأعمال انتظار الفرج»^(٢) وهذا تفاؤل، ولماذا انتظار الفرج أفضل الأعمال؟ لان ذلك ايمان في المرتبة العليا جداً.

إلهي إجعلنا من المنتظرين الواقعيين لفرج إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه.
إلهي هب لنا لياقة ادراك دولة الحق.

١ - سورة آل عمران الآية رقم ١٠٣.

٢ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٢٢.

أَللّهُمَّ إِنَّا نَرْغِبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةِ كَرِيمَةٍ تَعْزِيهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ وَتَذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ
وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدَّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ.
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

القسم الثاني من الفصل الثامن:

المهدي الموعود (عجل الله تعالى فرجه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، بارىء الخلاق اجمعين، و الصلاة و السلام على
عبدالله و رسوله و حبيبه و صفيه و حافظ سره و مبلغ رسالاته سيدنا و نبينا، مولانا
أبى القاسم محمد ﷺ و آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (١)

استمراراً للبحث الذي ذكرنا في الاسبوع الماضي في هذا المجلس الموقر
تحت عنوان العدل الكلي، و بمناسبة الولادة السعيدة للحجة ابن الحسن المقدس
عجل الله تعالى فرجه نخص هذه الجلسة في البحث حول وجوده المقدس و بحثنا
هذا اكثره تاريخي. يعني انني اريد في هذه الليلة ان اذكر قسماً من الامور المسلّمة
في تاريخ الإسلام حول الإمام المهدي الموعود ﷺ.

يتخيل بعض الذين لا اطلاع عندهم في هذا المجال - وخصوصاً أولئك الذين لا يعتقدون بأصول ومباني التشيع وقراءوا شيئاً من الكلام في بعض الكتب - يتخيلون أن الاعتقاد بالمهدوية إنما بدأ من نصف القرن الثالث الهجري تقريباً عندما ولد الإمام الحجة عليه السلام، واريده أن اذكر أن هذا الموضوع منذ متى طرح وكيف سواء أكان بشكل تفصيلي أم بشكل اجمالي و عام وبنحو الإشارة.

المهدوية في القرآن والاحاديث النبوية

ابتداءً: القرآن ذكر هذا الأمر كبشرى بصراحة تامة، يعنى أن كل من يقرأ القرآن الكريم يرى أن القرآن الكريم قد ذكر في آيات كثيرة على نحو القطع أن تلك النتيجة التي تترتب على وجود الحجة المقدس، هي حاصلة في المستقبل و من تلك الآيات:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١)

يقول تعالى في هذه الآية اننا في الماضي أخبرنا في الزبور ايضاً بعد أن كتبنا في الذكر - وقالوا ان المراد بالذكر التوراة أي بعد ان كتبنا في التوراة - نحن اعللنا فإذن لا محالة ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ وليس الكلام عن منطقة أو محلة أو مدينة، بل الفكرة واسعة وكبيرة إلى حد أن الكلام عن كل الأرض فلن تبقى الارض تحت سلطة الجبارين و الظالمين و الاقوياء بل هذا امر مؤقت وستتحقق في المستقبل دولة الصالحين و تحكم كل الأرض و ليس في الآية ادنى

ترديد في هذا المعنى.

كذلك الأمر بالنسبة إلى ما في القرآن من حديث عن أن الدين الإسلامي المقدس سيصبح الدين لكل البشر و تزول جميع الاديان الأخر في مقابلة و تمحق و هذا اثر آخر من آثار و نتائج وجود الإمام المهدي المقدس ﷺ الموعود ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١) أى أن كل الانسان في هذه الدنيا سيتبع هذا الدين.

و هناك آيات اخرى لكن اكتفي بهذا المقدار بعد أن لم يكن البحث حول آيات القرآن، نمضي من الآيات الى الأحاديث النبوية فماذا ذكر النبي الأكرم ﷺ في هذا المجال؟ هل ذكر شيئاً أم لم يذكر شيئاً؟ لو كانت روايات الإمام المهدي الموعود ﷺ منحصرة بروايات الشيعة لكان هناك مجال لتشكيك المشككين بأنه لو كانت مسألة المهدي الموعود واقعية لوجب أن يقوله النبي الأكرم و لو قاله ﷺ لوجب نقله من قبل جميع الفرق الإسلامية مع انكم وحدكم رويتم هذه الروايات. و الجواب عن هذا الاعتراض واضح جداً: فإن الواقع أن روايات باب الإمام المهدي الموعود ﷺ لم تنفرد بروايتها الشيعة و الروايات التي يوردها أهل السنة في هذا الباب ليست أقل من روايات الشيعة إن لم تكن أكثر، و قد صنفت الكتب في هذا المجال فاذا رجعتم إلى الكتب ترون أن الامر كما ذكرنا، في هذه السنين التي كنا فيها في قم صُنِّفَ كتابان احدهما للمرحوم آية الله الصدر (اعلى الله مقامه) طبعاً باللغة العربية باسم (المهدي) واعتقد أنه طبع. و ما ينقله في ذلك الكتاب من

روايات كلها من روايات اهل السنة، عندما يقرأ المرء يرى أن مسألة المهدي الموعود عليه السلام في روايات اهل السنة اكثر من روايات الشيعة وليست أقل.

الكتاب الآخر و لحسن الحظ باللغة الفارسية هيء بأمر من المرحوم آية الله السيد البروجردي واسمه (منتخب الاثر) الذي صنفه احد فضلاء الحوزة العلمية في قم و هو الآن ايضاً موجود في قم و هو الميرزا لطف الله الصافي من فضلاء قم البارزين (كلبايگانی) (و قد ألّف هذا الكتاب) في ظل ارشاد المرحوم آية الله البروجردي أي أنه اعطى الأمر بهذا الكتاب و عين موضوعه و شكله و رسمه ثم اهتمّ هذا الرجل الفاضل و كتب الكتاب، طالعوا ايضاً هذا الكتاب لتروا الروايات الكثيرة في المسألة و بشكل خاص من اهل السنة بمعان و الفاظ مختلفة، هذا.

وكما لم يكن بحثي في آيات القرآن الواردة في هذا المجال كذلك ليس بحثي في الجهة الروائية من المسألة. وإنما اريد الحديث عن الموضوع من جهة اخرى وهي: ما هو تأثير هذه المسألة على التاريخ الإسلامي؟ عندما نقرأ تاريخ الإسلام نرى و بغض النظر عن الروايات الواردة على هذا الصعيد عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله أو امير المؤمنين عليه السلام، نرى اساساً أن اخبار المهدي الموعود عليه السلام صارت منشأً لحوادث في تاريخ الإسلام ابتداءً من النصف الثاني للقرن الأول. إذ كانت تحصل احياناً سوء استفادة من مثل هذه البشرى و مثل هذه الاقوال الواردة في كلمات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، و هذا بنفسه دليل على أن مثل هذا الخبر قد انتشر بين المسلمين عن لسان النبي صلى الله عليه وآله و إلا لم يكن هناك مجال لسوء الاستفادة تلك.

بيان علي عليه السلام

و قبل أن أذكر أول حادثة تاريخية في هذا المجال أنقل جُملاً عن

امير المؤمنين علي عليه السلام - وهي موجودة في نهج البلاغ - وقد سمعت من المرحوم آية الله العظمى البروجردى أن هذه الجمل متواترة أي لم يقتصر ذكرها في نهج البلاغة بل لها اسانيد متواترة، ففي حديث لامير المؤمنين عليه السلام مع كميل بن زياد النخعي (الذى يبين فيه اموراً في هذا الباب) يقول كميل: اخذ علي عليه السلام بيدي ذات ليلة (والظاهر أن ذلك في الكوفة) و اخذني معه إلى الصحراء «فلما أصرحت تنفس الصعداء»^(١) أي عندما وصلنا الى الصحراء أخذ نفساً عميقاً أي قال آهاً، صادرة من عمق القلب و أخذ يبرز ما في قلبه من آلام فيبدأ بالتقسيم المعروف «الناس ثلاثة فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة و همج راع» ثم يشكو فيقول لكميل: لم أجد رجلاً اهلاً لأن اقول له ما أعلمه، هناك اناس جيّدون لكنهم حمقى وهناك افراد اذكياء لكنهم بلا دين جعلوا الدين وسيلةً للدنيا. قسّم الناس ثم شكى الوحدة يقول لكميل: اشعر بالوحدة، أنا وحيد لا أجد رجلاً اهلاً وقابلاً لأن اقول له ما في قلبي من أسرار لكنه في النهاية يقول: «اللهم بلّئ لا تخلوا الأرض من قائم لله بحجة إمّا ظاهراً مشهوراً وإمّا خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله و بيناته. يحفظ الله بهم حججه و بيناته حتى يودعوها نظراءهم و يزرعوها في قلوب أشباههم.

ثورة المختار و الاعتقاد بالمهدية:

و اول مرة يظهر فيها اثر الإيمان بالمهدوية في تاريخ الإسلام هي حادثة انتقام المختار من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، و لاشك في أن المختار كان رجلاً سياسياً

جيداً و نهجه قبل ان يكون نهج رجل دين و مذهب فهو نهج رجل سياسي طبعاً لا اريد أن أقول أن المختار كان رجلاً سيئاً أو جيداً لا شغل لنا الآن في هذا الأمر. و كان المختار يعلم أن الناس لن تنقاد له لما يريد من عمل، و ان كان اخذ الانتقام من قتلة سيّد الشهداء أمر عظيم و لعله (بناء على رواية) اتصل بالإمام زين العابدين عليه السلام فلم يستفد فطرح مسألة المهدي الموعود التي اخبر بها النبي الكريم ﷺ باسم محمّد بن الحنفية ابن أمير المؤمنين و اخي سيّد الشهداء لأن اسمه محمد و قد جاء في الروايات النبوية «إسمه اسمي» فقال: ايها الناس انني نائب مهدي الزمان، ذلك المهدي الذي اخبر به النبي ^(١) فالمختار لعب سياسته مدة باسم النيابة عن مهدي الزمان. الآن هل أن محمّد ابن الحنفية قبل واقعاً بأنه المهدي الموعود؟ يقول البعض أنه قبل حتى يمكنه الأخذ بالتأثر. إلا أن هذا غير ثابت نعم لا شك في أن المختار قد عرّف محمّد بن الحنفية على أنّه المهدي الموعود ثمّ ظهر مذهب الكيسانيّة و عندما مات محمد بن الحنفية قالوا المهدي الموعود لا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً. إذن محمّد بن الحنفية لم يمت بل غاب في جبل رضوى.

كلام الزهري

و في التاريخ الإسلامي حوادث أخرى ايضاً. يذكر أبو الفرج الأصفهاني وهو

١ - و ليلتفت ايضاً إلى انه في صدر الإسلام لم يعط أي علامة لزمان ظهور المهدي عليه السلام نعم بعض الخواص كانوا يعلمون انه فلان بن فلان بن فلان أي ان ما جاء في روايات النبي ﷺ بهذا المقدار فقط ان المهدي من آل البيت لا بد أن يظهر، مقدار لم يرد عنه أي تشخيص لتاريخ الظهور.

اموى الأصل و مؤرخ غير شيعي في (مقاتل الطالبين) انه عندما وصل إلى الزهري^(١) خبر استشهاد زيد^(٢) بن علي بن الحسين قال: «لماذا يستعجلون اهل البيت؟ و سيأتى يوم يظهر المهدي منهم» فيعلم أن كون المهدي الموعود من أولاد النبي ﷺ قطعي مسلّم به إلى درجة انه عندما يصل خبر استشهاد زيد الى الزهري ينتقل ذهنه فوراً اليه ويقول عن ثورة زيد: لماذا يستعجل أولاد النبي؟ يجب أن لا يثوروا الآن و ثورتهم هي للمهدي الموعود».. و لا اريد أن ابحت عن صحة اعتراض الزهري و عدمه و ان كان اعتراضاً غير صحيح إلا أنّ الذي اريده هو هذه العبارة من الزهري انه سيأتى يوم يثور فيه احد اولاد النبي ﷺ و ثورته تكون ثورة ناجحة و موفقة.

ثورة (ذى النفس الزكية) و الإيمان بالمهدوية

كان للإمام الحسين عليه السلام ولد اسمه الحسن ايضاً يقال له الحسن المثنى أي الحسن الثاني، الحسن بن الحسن، و الحسن الثاني صهر ابي عبدالله الحسين عليه السلام

١ - الزهري من اهل السنة، الزهري و الشعبي من التابعين أي من الذين ادركوا اصحاب النبي ﷺ و لم يدركوا النبي ﷺ و هما من كبار مشايخ و علماء عصرهم.

٢ - تعلمون أن للإمام زين العابدين عليه السلام ولدا اسمه زيد. ثار واستشهد، و يدور حول زيد أنه رجل جيد أو غير جيد، كلام كثير لكن يستفاد من روايات الشيعة ان ائمتنا قد عظموا زيدا، و قد جاء في رواية الكافي أن الإمام الصادق عليه السلام قال: «والله ان زيدا لشهيد» و زيد هذا هو الذي ينسب اليه الزيديون أي الشيعة الزيديين الذين يحيون الآن في اليمن و كلهم أو اكثرهم يرون أنه الإمام بعد الإمام زين العابدين عليه السلام، و على كل حال فهو رجل جيد، رجل زاهد متقي و بناء على روايتنا فإن قيامه كان للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، لا لإدعاء الإمامة و ما عليه نظرنا زيد رجل شريف صالح.

فإن فاطمة بنت الحسين زوجة الحسن المثنى فأولداً صبياً اسمه عبدالله ولأن نسبه يرجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام والزهراء عليها السلام من طرف الأم ومن طرف الأب معاً فكان نسبه خالصاً، سُمّي بعبد الله المحض أي أنه رجل علوي محض وفاطمي محض فمن طرف أبيه له نسب إلى علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام و أيضاً من طرف أمه. وكان لعبد الله المحض ولدان، اسم أحدهما محمد والآخر إبراهيم و زمانهما مقارن لأواخر العصر الأموي قريب سنة ١٣٠ هـ، و محمد بن عبدالله المحض رجل شريف جداً عرف باسم (ذی النفس الزكية)، و قد تار في أواخر العهد الأموي بعض السادات الحسينيين - و هذا له بحث مفصل - حتى أن العباسيين بايعوا محمد بن عبد الله المحض.

الإمام الصادق عليه السلام دعي أيضاً إلى هذه الجلسة و قالوا له اننا سنثور و نريد جميعاً أن نبايع محمد بن عبد الله المحض فبايع، و انت سيّد الحسينيين، فقال لهم الإمام عليه السلام: ما هدفكم؟ إن كان محمد يريد الثورة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأنني أوّيده، أمّا إن كان يريد الثورة على أنه مهدي هذه الأمة فهو مشتبه فليس هو مهديّها بل المهدي شخص آخر ولن أوّيده على الإطلاق، و لعل الأمر قد اشتبه على محمد بن عبد الله المحض إلى حدّ ما لأن اسمه اسم النبي و له خال على كتفه^(١) فظن الناس أن هذه العلامة علامة انه المهدي و كثير من الناس بايعوه على أنه مهدي هذه الأمة. فعلم أن مسألة المهدي عليه السلام كانت قطعية بين المسلمين بحيث أنّهم إذا تار رجل وهو على شيء من الصلاح يقولون هذا هو المهدي الذي أخبر به

النبي، فلو لم يكن هناك كلام من النبي ﷺ لم يكن ليصير الأمر كذلك.

خدعة المنصور الخليفة العباسي

حتى أننا نرى ان إسم الخلفاء العباسيين هو المهدي و هو ابن المنصور والخليفة العباسي الثالث فإن الخليفة الأول السفاح و الثاني المنصور و الثالث ابن المنصور المهدي العباسي و يذكر المؤرخون و من جملةهم «دارمستر»، أن المنصور قد تعدد أن يسمي ابنه المهدي حتى يستفيد سياسياً من ذلك بل حتى يتمكن من خدعة جماعة الناس و يقول: ذلك المهدي الذي أنتم في انتظاره هو ابني و لهذا يذكر في مقاتل الطالبين و غيره أنه في بعض الأحيان عندما كان المنصور يقابل خواصه (يعترف لهم بكذبه بهذا الأمر) فعندما يلتقى مع مسلم بن قتيبة و هو من المقربين إليه يسأله عن محمد بن عبد الله المحض، ماذا يقول؟ قال: انه يقول أنه مهدي هذه الأمة فقال له: هو مشتببه، لا هو مهدي الأمة و لا ابني مهديها لكنه احياناً أخرى عندما يقابل اشخاصاً آخرين يقول لهم: «ليس هو مهدي الأمة بل المهدي ابني» و ذكرت أن كثيراً ممن بايعوا محمداً بايعوا على هذا الأساس، إذن الروايات الواصلة عن النبي الأكرم ﷺ في المهدي عليه كانت كثيرة و هذا الذي سبب الاشتباه لدى الناس إذ لم يحققوا تحقيقاً كاملاً كي ينالوا مشخصات أكثر فكانوا يؤمنون سريعاً بأن هذا مهدي الأمة.

محمد بن عجلان و المنصور العباسي

كما أننا نلاحظ أحداثاً أخرى في تاريخ الإسلام، منها: أن احد فقهاء المدينة

وهو محمد بن عجلان «قد بايع محمد بن عبدالله المحض، وبنو العباس بعد أن كانوا يدافعون عنه عندما تمكنوا من الخلافة استلموها ثم قتلوا السادات الحسينيين فطلب المنصور هذا الفقيه وحقق في أمره حتى ثبت له أنه بايع، فأمر بقطع يده قائلاً يجب أن تقطع هذه اليد التي بايعت عدوي قالوا: إن فقهاء المدينة اجتمعوا وتشفعوا لذلك الرجل وقد برّوا له عمله بهذا النحو: قالوا يا أيها الخليفة إنه رجل فقيه عالم بالأخبار، وقد تخيل هذا الرجل أن محمد بن عبدالله المحض مهدي الأمة ولهذا بايعه وإلا فهو لم يقصد عداوته لك.

فالذي نراه في تاريخ الإسلام أن موضوع «المهدي الموعود» من المسائل المسلمة جداً وهكذا كلما لاحظنا كل عصر نجد ظهور حوادث في تاريخ الإسلام ناشئة من هذا الإيمان بظهور المهدي الموعود، وكثير من أئمتنا عندما توقّوا ذهبت جماعة إلى أنه لعل الإمام لم يمت، ولعله غاب وقد يكون هو مهدي الأمة. وهذا ما حصل مع الإمام الكاظم عليه السلام بل ومع الباقر عليه السلام والظاهر أيضاً مع الإمام الصادق عليه السلام وكذلك الأمر بالنسبة لبعض آخر من الأئمة عليهم السلام.

كان للإمام الصادق عليه السلام ولد اسمه اسماعيل وهو الذي تنتسب إليه الإسماعيلية، توفي اسماعيل في حياة الإمام عليه السلام وقد كان عليه السلام كثير الحب لاسماعيل وعندما توفي اسماعيل غسله عليه السلام وكفنه ثم وقف عليه السلام حيث اسماعيل مؤسّد ونادى أصحابه ثم فتح الكفن وأراه وجه اسماعيل ثم قال: هذا إني اسماعيل قد مات فلا تقولوا غداً إنه مهدي الأمة وقد غاب فانظروا جثته وانظروا وجهه، اعلّموا ثم اشهدوا.

هذا كله يدل على أن مسألة مهدي الأمة كانت قطعية بين المسلمين بحيث

لامجال للشك و التردد فيها.

وفي كل مورد حَقَّقَتْ فيه إلى زمان ابن خلدون لم أجد حتى شخصاً واحداً من علماء الإسلام من يقول أن أحاديث المهدي عليه السلام من أصلها بلاء أساس بل قبل الجميع ذلك وإن كان هناك اختلاف ففي الجزئيات، هل المهدي هو هذا الشخص أم ذاك؟ وهل هو ابن الإمام الحسين عليه السلام، لكن في ان لهذه الأمة مهدياً وأنه من اولاد النبي صلى الله عليه وآله و اولاد الزهراء عليها السلام، يملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً فهذا الأمر فيه شك.

كلام دعبل

يأتى دعبل إلى الإمام الرضا عليه السلام ويقول له اشعاره الرثائية:

افاطم لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشاناً بشط فرات

التي يخاطب فيها الزهراء عليها السلام و يبين المصائب الواحدة تلو الاخرى التي نزلت باولادها عليهم السلام وهي تعتبر من القصائد العربية الغراء، وفي اشعاره هذه و اظهاره لتأثره يعدد دعبل قبور اولاد الزهراء عليها السلام، واحداً واحداً، فقبر في (فخ) و قبر في (كوفان) و يشير إلى شهادة محمد بن عبدالله المحض المتقدم ذكره و يشير إلى شهادة اخيه و يشير إلى شهادة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام (و قبرٌ ببغداد لنفس زكية) و هنا ذكروا أن الإمام الرضا قال له اصف اليه هذا الشعر الذي اقله (و قبر بطوس يا لها من مصيبة) فقال له انا لا اعرف هذا القبر فقال عليه السلام هذا قبري.

في هذه الاشعار يذكر دعبل بيتاً من الشعر يشير إلى موضوعنا حيث يصرح دعبل في هذا الشعر بان كل هذه القضايا ستبقى موجودة حتى ظهور إمام، هذا

الظهور الذي هو لا محالة واقع.

وإذا اردنا أن نأتى ايضاً بشواهد من التاريخ فإن هناك الكثير منها إلا أنه لازوم لذكرها كلها لكم، و كان الغرض من ذكر تلك الشواهد القول أن مسألة المهدي الموعود كانت أمراً قطعياً و مسلماً به بين المسلمين منذ صدر الإسلام و زمان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله و أنها كانت منشأً لحوادث تاريخية كبرى منذ القرن الأول للهجرة.

الإيمان بالمهدوية في عالم السنة

وإذا اردتم أن تدركوا ان المسألة ليست مختصة بالشيعة^(١) فانظروا إلى مدعى المهدوية، فهل كثر بين الشيعة فقط ام كان هناك منهم بين اهل السنة؟ فترون أن مدعي المهدوية، بين اهل السنة كانوا ايضاً كثر، احدهم المهدي السوداني او المتمهدي السوداني الذي ظهر قبل هذا القرن الأخير في السودان و قد أسس جمعية لازالت حتى هذه الأيام موجودة، أساساً هذا الرجل ظهر على اساس انه المهدي، أي ان الاعتقاد بالمهدي في تلك البلاد السنية - كان كبيراً إلى حد انه يسمح ب بروز ادعاء كاذب بالمهدوية - و غيرها من البلاد الإسلامية فقد كثر مدعو المهدوية في الهند و باكستان، و القاديانيون ظهوروا على اساس ادعاء المهدوية و قد جاء في رواياتنا انه سيوجد مدعون بالمهدوية كاذبون كثر و سيظهر دجالون يدعون ذلك.

١ - طبعاً الذي له اختصاص بالشيعة، هو تلك الشخصيات التي لا يؤمن بها كل السنة وإن كان يقبلها البعض.

كلام حافظ

انا لا ادري هل ان حافظاً شيعي ام سني؟ ولا اعتقد ان أحداً بمقدوره القطع
بكونه شيعياً إلا اننا نجد في أشعاره (اشارة الى هذه المسألة) واذكر منها موردين
أحدهما حيث يقول:

أين الصوفي، كالرجال عينه، كالملحد شكله

قل له احترق فالمهدي ملجأ الدين ^(١) أتى ^(٢)

والمورد الثاني حيث يقول بانسجام تام في غزله المعروف:

بشارة يا قلبي نفس كال المسيح يأتي

من انفاسه الطيبة رائحة شخص تأتي

فلا تتأوه من الغم والألم

تفاءلت و مجيب النداء أتى

١- بالفارسية:

بگو بسوز که مهدی دین پناه رسید
که ز أنفاس خوشش بوی کسی می آید

کجاست صوفي دجال چشم ملحد شکل
مژدهای دل که مسیحا نفسی می آید

۲-

زدهام فالی و فریادرسی می آید
موسی اینجا به امید قبسی می آید
اینقدر هست که بانگ جرسی می آید
نالهای می شنوم کز نفسی می آید

از غم ردر مکن ناله و فریاد که دوش
ز آتش وادی ایمن نه منم خرّم و بس
کس ندانست که منزلگه مقصود کجاست
خبر بلبل این باغ میرسد که من

ولست وحدي فرحاً من نار وادي (ايمن)

فموسى على أمل قبسٍ إلى هنا يأتي

لم يلتقِ احداً يرشده اين المنزل المقصود

ليس إلا أن صوت الجرس يأتي

يخبر بلبل هذى الحديقة أنى

اسمع أنات من قفص تأتي

كلماتي التي اردت ذكرها في هذا المجال و التي اردت ان يكون البحث فيها

من الجهة التاريخية قد انتهت، كم هم كثر مدعو المهدوية الكذابون بعد زمان

الحجة عليه السلام؟ و هذا بحد ذاته له قصته الخاصة، لا اريد الدخول فيها لكن اريد ان

اخصص نهاية كلامي بثلاثة مطالب أخرى:

هذا الذي ذكر من ان العدل الشامل يحصل بعد ان تملأ الأرض ظلماً وجوراً

يتولد منه مسألة وهي أن البعض يعارض أي اصلاح اعتماداً منه على ذلك و يقول

يجب ان تملأ الدنيا ظلماً و جوراً حتى تحصل الثورة فجأة و تمتلىء عدلاً. و لو

لم يقولوا ذلك بلسانهم فإنهم في أعماق قلوبهم مخالفون (للاصلاح) و إن شاهدوا

رجلاً يقدم رجلاً في طريق الاصلاح يتأذون، و عندما يرون أن في المجتمع

علامة على توجه الناس نحو الدين، يتألمون واقعاً و يقولون: يجب أن لا يحصل

هذا الشيء بل يجب أن يزداد الأمر سوءاً حتى يظهر الإمام عليه السلام فلو أردنا أن نقوم

بهداية الناس نحو الدين فنحن نخون الإمام الحجة عليه السلام و نؤخر ظهوره.

فهل ان الأمر واقعاً كذلك ام لا؟ سأقدم لكم توضيحاً حتى يكون الأمر معلوماً

جيداً.

ما هي ثورة الإمام المهدي عليه السلام

بعض الحوادث في هذه الدنيا إذا وقعت لامجال لها إلا الانفجار تماماً مثل الدمل في البدن إذا ظهر. فهذا الدمل يجب أن يصل الى حد الانفجار وأي عمل يمنع هذا الانفجار يكون مضراً وإذا اردتم استعمال دواء فيجب ان يكون دور الدواء الإسراع في تفجير الدمل.

بعض الفلاسفات والتي يوافق عليها بعض الهيئات الاجتماعية والسياسية تؤيد الثورة بمعنى الانفجار و يعتقدون أن أي شيء يقف في وجه الانفجار ضرر و لذا نرى ان بعض المذاهب و الهيئات الاجتماعية معارضة تماماً لأي اصلاح اجتماعي و يقولون: ما هي هذه الاصلاحات التي تقومون بها؟ دعوها واتركوا المفساد تزداد و العقد و الاحقاد تزداد و الأذى و الظلم يزداد و الامور تزداد اضطراباً، اضطراب من هنا و اضطراب من هناك و يتضارب الاساس من فوقه و من تحته و تحصل الثورة.

ولفقهنا هنا موقف واضح، هل يجب علينا نحن المسلمين ان نفكر بهذا النحو نسبةً الى ظهور الإمام الحجة عليه السلام؟ و يجب أن نقول: دعوا المعصية والذنوب تزداد، ودعوا الأوضاع تصبح اكثر اضطراباً، إذن لانأمر بالمعروف و لاننهي عن المنكر و لا نربي اطفالنا بل علينا نحن انفسنا ان لا نصلي - والعياذ بالله - حتى - نساهم في ظهور الإمام الحجة عليه السلام و لانصوم و ان لانقوم بأى واجب و ندعوا الآخرين لترك الصلاة و نرغبهم بذلك و نرغبهم في ترك الصيام و ترك الزكاة و ترك الحج، و دعوا هذه الأمور كلها تزول حتى تنتهياً مقدمات الظهور؟

كلا، هذا بلاشك مخالف لأصل إسلامي قطعي! أي ان انتظار ظهور الحجة عليه السلام لا يسقط عنا أي تكليف، لا التكليف الفردي ولا التكليف الاجتماعي، ولن تجدوا في الشيعة - حيث ان تلك النظرة لا توجد إلا في العالم الشيعي - فضلاً عن أهل السنة عالماً يقول أن انتظار ظهور الحجة يسقط عنا أدنى تكليف، لا يسقط أي تكليف عنا على الاطلاق. هذا نوع (من تفسير ظهور الحجة عليه السلام).

التفسير الآخر هو أن الكلام في الظهور والاثمار لا في الانفجار كالفأكة وهي في طريق نموها، فالفأكة لها موقعها كما ان الدمل لها موقعها لكن موقع الدمل حيث تنفجر فيه اما الفأكة، فموقعها حيث تثمر أي إنها تطوي نموها و سيرها التكاملي و تصل الى مرحلة وجوب قطفها و مسألة ظهور الإمام الحجة عليه السلام هي بنضج الفأكة اشبه منها بانفجار دمل أي ان الإمام عليه السلام إذا لم يظهر الى الآن فليس لأن الذنوب قلت بل لأن الدنيا لم تصل إلى مرحلة النضج ولذا ترون في روايات الشيعة الكثير منها يقول أنه عندما تتوفر تلك الأقلية التي يبلغ عددها ٣١٣ شخصاً فإن الإمام سيظهر، فإلى الآن لم يتوفر هذا العدد - أو الأقل أو الأكثر - أي يجب ان يتقدم الزمان بحيث من جهة ينتشر فيه الفساد ومن جهة أخرى يظهر اولئك الذين سيشكلون الحكومة و يمسون بزمام الأمور تحت قيادته عليه السلام و في ظل لوائه عليه السلام، و إلى الآن لم يوجد مثل هؤلاء الرجال المؤهلين لذلك في الدنيا، نعم «مالم يزد الاضطراب لن يصل الأمر إلى حد الاستقرار» لكن بين اضطراب و اضطراب فرقاً فالدنيا لم تخل من اضطراب و من استقرار بعد اضطراب ثم يتبدل الاستقرار باضطراب لكنه اضطراب بدرجة أعلى لا الاضطراب الخفيف ثم يتبدل الاضطراب إلى استقرار و برتبة أعلى من الاستقرار السابق ثم يتلوه اضطراب

أشد من سابقه أي أن هذا الاضطراب الذين تلا ذلك الاستقرار يكون اقوى حتى من هذا الاستقرار و لهذا يقولون أن حركة المجتمع البشرى حركة حلزونية أي حركة دائرية ارتفاعية ففي نفس الحال الذي يدور فيها المجتمع البشرى فهو لا يدور في افق واحد بل يدور إلى أعلى. نعم فالاستقرارات دائماً تميل إلى اضطرابات لكن هذا الاضطراب، فهو مع كونه اضطراباً إلا انه في رتبة أشد وبلاشك فإن دنيانا اليوم هي دنيا مضطربة و منطقية و ممزقة. دنياً خرجت عن سلطة يد الحكام الكبار لكن هذا الاضطراب الحاصل على مستوى العالم يفترق عن الاضطراب الحاصل في قرية من القرى فرق السماء عن الأرض. و نسبته الى الاستقرار في قرية من القرى فرق السماء عن الأرض، و نسبته الى الاستقرار في قرية من القرى بعد السماء عن الأرض، و هو أبعد عن استقرار مدينة من المدن بعد السماء عن الأرض أيضاً.

و لهذا فحيث أننا في نفس الوقت الذي نتحرك فيه نحو اضطراب فإننا أيضاً نتوجه نحو الاستقرار فلا يمكن للإسلام أن يأمر (بترك كل التكليف) و إلا لأمر بارتكاب المحرمات و ترك الواجبات، اتركوا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، لاتربوا أبناءكم، دعوا الفساد يكثر، أنتم الذين تصلون و تصومون و تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تصنفون الكتب و تلقون المحاضرات و تبلفون تريدون توسعة التبليغ، انتم الذين تريدون الاصلاح انتم تؤخرون ظهور الحجة. فهذه الاصلاحات تقرب من ظهور الحجة ﷺ كما أن تلك الاضطرابات تقرب ظهوره، ابداً يجب أن لاتدخل مسألة انتظار ظهور الحجة إلى ادمغتنا بذلك النحو من أننا منتظرون فإذاً يسقط ذلك التكليف - الصغير و الكبير - كلا لا يسقط

أي تكليف على الإطلاق.

هناك أمور أخرى لكن لا يسمع الوقت بالتعرض لها و عليّ أن انهي الحديث.
لكن اذكر لكم أمراً و ليكن آخر المطالب:

المهدوية فلسفة عالمية كبرى

اسعوا كي تكون افكاركم حول مسألة الإمام الحجة عليه السلام موافقة لما جاء في متن الإسلام، و نحن غالباً ما نتحدث عنها مثل أمل طفولي كرجل عنده عقدة يريد الانتقام فيقال ان الحجة عليه السلام فقط ينتظر متى يعطيه الله تعالى الاذن كي يأتي و يغرق شعب ايران في السعادة أو يغرق الشيعة في بحر السعادة و المقصود أولئك الشيعة الذين هم نحن ولسنا بشيعة، كلا تلك فلسفة عالمية كبرى مرتبطة بان الإسلام دين عالمي و بأن التشيع بمعناه الواقعي أمر عالمي فيجب أن نتلقى ذلك كفلسفة عالمية كبرى، عندما يقول القرآن: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١) إنما يتحدث عن الأرض، لا عن هذه المنطقة و تلك المنطقة و هؤلاء القوم و ذلك العرق.

فأولاً: الأمل بالمستقبل من أن الدنيا لن تفتنى و قد ذكرت مراراً أن هذه أوروبا اليوم ترى ان البشر في تمدنهم وصلوا إلى مرحلة يحفرون فيها قبورهم بأيديهم و ما هي إلا خطوة حتى يصلون الى ذلك، و ظواهر الأمور تعطي هذه النتيجة ايضاً لكن الاصول الدينية و المذهبية تقول لنا أن الحياة السعيدة للبشرية هي في

المستقبل و الأمر الموجود الآن مؤقت.

ثانياً: إن ذلك العصر عصر العقل و العدالة، و انتم تلاحظون أن للفرد مراحل ثلاثة عامة: مرحلة الطفولة و هي مرحلة اللهو و الافكار الطفولية، و مرحلة الشباب و هي مرحلة الغضب و الشهوة، و مرحلة العقل الرجولي و الكبر و هي مرحلة النضج و الاستفادة من التجارب، مرحلة الابتعاد عن العواطف، و مرحلة حكم العقل. و كذلك المجتمع البشرى، فالمجتمع البشرى له ثلاث مراحل لابد من طيها: المرحلة الاولى: مرحلة الاساطير و الأوهام و بتعبير القرآن مرحلة الجاهلية. المرحلة الثانية: مرحلة العلم لكن علم و شباب يعنى مرحلة حكم الغضب و الشهوة فعلى أي محور يدور عصرنا؟ و إن أجرى الإنسان حساباً دقيقاً يرى أن المحور الذي يدور زماننا حوله إما الغضب أو الشهوة.

فعرنا هو قبل كل شيء عصر الانفجار (أي الغضب) و عصر (الميني جيب) (أي الشهوة). ألن تأتي مرحلة تكون مرحلة حكومة غير حكومة الأساطير و غير حكم الغضب و الشهوة و الانفجار (و الميني جيب)؟ مرحلة في الواقع تكون مرحلة المعرفة و العدالة و السلم و الإنسانية و المعنوية و حكم هذه الأمور؟ كيف يمكن أن لا تأتي مثل هذه المرحلة؟ أما يمكن لخالق هذا العالم و الذي خلق البشر على انه اشرف المخلوقات أن لا يوصل البشرية إلى مرحلة بلوغها و يقرب البشرية رأساً على عقب دفعة واحدة؟

إذن المهدوية فلسفة كبرى جداً، و انظروا المعاني التي لدينا في الإسلام كم هي راقية؟ و قد قرب شهر رمضان و ستوفقون لدعاء الافتتاح و تقرأونه في ليالى شهر رمضان المبارك، و هناك قسم كبير من آخر هذا الدعاء مختص بوجود الإمام

الحجة المقدس و سأقرأه لكم و أجعله دعائي:

اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام و أهله و تذلل بها النفاق
و أهله و تجعلنا فيها من الذعاة إلى طاعتك و القادة إلى سبيلك. الهي اجعلنا من
الذين تشملهم رحمتك و عنايتك في الدنيا و الآخرة.
إلهي نقسم عليك بذاتك المقدسة و بحقيقة أوليائك الكرام ان تجعلنا من الذين
يليق بهم هذا الأمل الكبير.

الفهرست

مقدمة في التاريخ و السيرة للمترجم	٥
السيرة	٩
مقدمة شوري الأشراف على نشر آثار الأستاذ مطهري	١٣
مقدمة الكتاب مقايسة نهج الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> مع سائر الأئمة <small>عليهم السلام</small>	١٦

الفصل الأول:

مشاكل الإمام علي <small>عليه السلام</small>	٢٧
أ - مقتل عثمان	٢٩
ب - مشكلة النفاق	٣٠
ج - إصرار حاسم في تطبيق العدالة	٣١
د - الصراحة والصدق في السياسة	٣٢
هـ - الخوارج: مشكلة علي <small>عليه السلام</small> الأساسية	٣٣
مسلك علي <small>عليه السلام</small> مع الخوارج	٣٨
أصول مذهب الخوارج	٣٩

٤١	ردّة فعل عليّ <small>عليه السلام</small> مع الخوارج
٤٣	خصوصيات الخوارج
٤٩	استشهاد عليّ <small>عليه السلام</small>

الفصل الثاني:

٥٥	صلح الإمام الحسن <small>عليه السلام</small>
٥٦	النبيّ والصلح
٥٨	عليّ <small>عليه السلام</small> والصلح
٦١	موارد الجهاد في الفقه الشيعي
٦٥	قتال أهل البغي
٦٥	الصلح في الفقه الشيعي
٧٣	سؤال و جواب
٧٧	الفوارق بين ظروف الإمام الحسن و ظروف الإمام الحسين <small>عليه السلام</small>
	العوامل المؤثرة في ثورة الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> و مقارنتها مع ظروف الإمام
٨١	الحسن <small>عليه السلام</small>
٨٩	بنود الإتفاق
٩٢	سؤال و جواب

الفصل الثالث

٩٩	كلمة عن الإمام زين العابدين <small>عليه السلام</small>
١٠٠	عبادة الإمام <small>عليه السلام</small>

الفصل الرابع:

- الإمام الصادق عليه السلام ومسألة الخلافة ١٠٣
- استفادة بني العباس من عدم رضى الناس ١٠٥
- رسالة أبي سلمة إلى الإمام الصادق عليه السلام و عبدالله المحض ١١٠
- ردّة فعل كل من الإمام عليه السلام و عبدالله المحض ١١٢
- تحليل ١١٤
- الاجتماع السري لرؤساء بني هاشم ١١٥
- اليعة لـ «محمد ذي النفس الزكية» ١١٦
- خصوصيات عصر الإمام الصادق عليه السلام ١٢٠
- مقارنة بين عصر الإمام الحسين و عصر الإمام الصادق عليه السلام ١٢٣
- معركة المذاهب ١٢٦
- تعاطى الإمام الصادق عليه السلام مع هذه المجرىات الفكرية المختلفة ١٢٩
- كلام مالك بن أنس حول الإمام الصادق عليه السلام ١٣٠
- رأى أحمد أمين ١٣١
- إعتراف الجاحظ ١٣٢
- رأى مير علي هندي ١٣٢
- كلام أحمد زكي صالح ١٣٣
- إهتمام الشيعة بالمسائل العقلية ١٣٤
- جابر بن حيّان ١٣٥
- هشام بن الحكم ١٣٦

العوامل المؤثرة في النشاط العلمي في زمان الإمام الصادق <small>عليه السلام</small>	١٣٨
سؤال و جواب	١٤٣

الفصل الخامس:

أسباب إستشهاد الإمام موسى الكاظم <small>عليه السلام</small>	١٤٥
تأثير مقتضيات الزمان في شكل الجهاد	١٤٦
الإمام <small>عليه السلام</small> في سجن البصرة	١٤٩
الإمام في السجون المختلفة	١٥٠
طلب هارون من الإمام	١٥٠
سبب اعتقال الإمام <small>عليه السلام</small>	١٥١
كلام المأمون	١٥٣
النفوذ المعنوي للإمام	١٥٥
سنتان عند الأئمة <small>عليهم السلام</small>	١٥٧
خطة نظام هارون	١٥٨
بشر الحافي و الإمام الكاظم <small>عليه السلام</small>	١٥٩
صفوان الجمال و هارون	١٦٠
كيفية إستشهاد الإمام <small>عليه السلام</small>	١٦٣

الفصل السادس:

ولاية العهد للإمام الرضا <small>عليه السلام</small>	١٦٧
مسلك العباسيين مع العلويين	١٦٨

١٧١	ولاية العهد للإمام الرضا <small>عليه السلام</small> والمنقولات التاريخية
١٧٣	المأمون والتشيع
١٧٤	رأى الشيخ المفيد والشيخ الصدوق
١٧٥	الإحتمال الثاني
١٧٨	الإحتمال الثالث: (أ) الحصول على تأييد الإيرانيين
١٧٩	(ب) قطع الطريق على انتفاضات العلويين
١٧٩	(ج) نزع السلاح من يد الإمام الرضا <small>عليه السلام</small>
١٨١	مسلمات التاريخ
١٨٣	(١) إحصار الإمام <small>عليه السلام</small> من المدينة إلى مرو
١٨٤	(٢) رفض الإمام الرضا <small>عليه السلام</small>
١٨٤	(٣) شرط الإمام الرضا <small>عليه السلام</small>
١٨٦	(٤) طريقة تعامل الإمام <small>عليه السلام</small> بعد ولاية العهد
١٩١	المسائل المشكوكة
١٩٦	تحليل الفرضيات
١٩٨	التعاون مع الخلفاء في نظر الأئمة الأطهار <small>عليهم السلام</small>
٢٠٠	استدلال الإمام الرضا <small>عليه السلام</small>
٢٠١	ولاية الجائر
٢٠٣	سؤال و جواب

الفصل السابع:

٢٠٩	الإمام الحسن العسكري <small>عليه السلام</small>
-----	---

الفصل الثامن:

- ٢١٥ القسم الاول: العدل الشامل
- ٢١٩ تعريف العدالة
- ٢٢٠ هل ان طلب العدالة فطري؟
- ٢٢١ رأي نيتشه وماكيافيلي
- ٢٢٢ رأي برتراند راسل
- ٢٢٣ نقد هذه النظرية
- ٢٢٤ رأي الماركسية
- ٢٢٤ رأي الإسلام
- ٢٢٦ مسألة عمر الإمام الحجة عليه السلام
- ٢٢٩ مميزات عصر الإمام المهدي عليه السلام
- ٢٣٥ المهدي الموعود عليه السلام
- ٢٣٦ المهودية في القرآن و الاحاديث النبوية
- ٢٣٨ بيان علي عليه السلام
- ٢٣٩ ثورة المختار و الاعتقاد بالمهدية
- ٢٤٠ كلام الزهري
- ٢٤١ ثورة (ذى النفس الزكية) و الايمان بالمهدوية
- ٢٤٣ خدعة المنصور الخليفة العباسي
- ٢٤٣ محمد بن عجلان و المنصور العباسي
- ٢٤٥ كلام دعبل

- ٢٤٦ الإيمان بالمهدوية في عالم السنة.
- ٢٤٧ كلام حافظ
- ٢٤٩ ما هي ثورة الإمام المهدي عليه السلام
- ٢٥٢ المهدوية فلسفة عالمية كبرى